

مَعَاهِدُ النَّصِيحِ عَلَى شَوَاهِدِ النَّخِصِ

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
المتوفى في عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهرسه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ

مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمناهد الدينية

الجزء الثاني

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط، وإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها

مصطفى محمد

جميع حق الطبع محفوظة

شواهد الفن الثاني ، وهو علم البيان

٧٣ - وَكَأَنَّ مُحْمَرَّ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَدَّدَ
أَعْلَامُ ياقوتٍ نُشِرَ نَ عَلَى رَمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدٍ

علامد التشبيه
الخيالي

البيتان من الكامل المجزوء المرفل ، ولم أقف على اسم قائلهما ، ورأيت
بعض أهل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر .
والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النُّورُ المعروف ، ويطلق على الواحد
والجمع ، ومسمى بذلك لحرته تشبيها بشقيقة البرق ، وأضيف إلى النعمان بن المنذر
— وهو آخر ملوك الحيرة — لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين
أصفر وأحمر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال: ما أحسنها!
انجوها ، فكان أول من حماها ، فنسبت إليه .

وكان أبو العَمَيْثَل يقول: النعمان اسم من أسماء الدم ، ولذلك قيل شقائق
النعمان نسبت إلى الدم لحررتها . قال : وقولهم « إنها منسوبة إلى النعمان بن
المنذر » ليس بشيء . قال : وحدثت الأصمى بهذا فنقله عنى ، انتهى . والذي
قمنناه هو الذي ذكره أرباب اللغة .

والشاهد فيهما : التشبيه الخيالي ، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور
كل واحد منها مما يدرك بالحوس ، فان الأعلام الباقوتية المنشورة على الرماح
الزبرجدية مما لا يدركه الحس ، إنما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند
المحرك على هيأت محسوسة مخصوصة ، لكن مادته التي تتركب منها كالأعلام
والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر .

وقريب من هذا النوع قول بعضهم [من المقنضب] :

كَلْنَا بِاسِطِ الْيَدِ نَحْوَ نَيْلِ فَرِيدِ
كَتَابِيسٍ عَسَجِدٍ قُضِبُهَا مِنْ زَبَرَجَدٍ

ومثله قول أبي الفنائم الحمصي [من مجزوء الكامل] :

خودٌ كَأَنَّ بِنَاتَهَا فِي خُضْرَةِ النَّقْشِ الْمَرْزُوقِ
مِمَّاكَ مِنَ الْبُلُورِ فِي شَبَكٍ تَكُونُ مِنْ زَبَرْجَدٍ

وقد تفتن الشعراء في وصف الشقائق : فما ورد من ذلك قول ابن الرومي أو
الأخطل الأهوازي [من البسيط] :
وهذه الشقائقُ قد أَبْصَرْتُ حُمْرَتَهَا
كَأَنَّهَا أَدْمَعٌ قَدْ غَسَلَتْ كَحُلًّا

مع السواد على قُضْبَاتِهَا الذُّبُلِ
جَادَتْ بِهَا وَقْفَةً فِي وَجْنَتِي خَجَلٍ
وقول سيدوك الواسطي [من مجزوء الكامل] :

انظر إلى مَقَلِّ الْعَقِيقِ تَضَمَّنَتْ حَقَقَ السَّيِّحِ
من فوق قَامَاتٍ حَسَنٍ وَمَا سَمِعَ مِنْ الْعَوْجِ

وقول الخباز البلدي من أبيات [من الوافر] :

إِلَى الرُّوضِ الَّذِي قَدْ أَضْحَكْتُهُ شَايِبُ السَّحَابِ بِالْبَكَاءِ
كَأَنَّ شَقَائِقَ النِّعَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ

وقول ولد القاضي عياض رحمه الله تعالى [من السريع] :

انظر إِلَى الزَّرْعِ وَخَامَاتِهِ تَحْكِي وَقَدْ وَلَّتْ أَمَامَ الرِّيحِ
كَتَيْبَةٍ خُضْرَاءَ مَهْزُومَةٍ شَقَائِقَ النِّعَانِ فِيهَا جِرَاحُ

وقول الخالدي أيضاً [من الوافر] :

وَصِغَ شَقَائِقَ النِّعَانِ بِحِكِي يَوَاقِينَا نُظْمِنَ عَلَى اقْتِرَانِ
وَأَحْيَانًا تُشَبِّهُهَا خَدُودَا كَسَاهَا الرِّيحُ قُبُوبًا أَرْجَوَانِي

شَقَائِقُ مِثْلُ أَقْدَاحٍ مِلَاءِ وَخَشْخَاشٌ كَفَارِغَةِ الْقَنَاقِ
وَلَمَّا غَارَ لَتْنَا الرِّيحَ خِلْنَا بِهَا جَيْشِي وَغَى يَنْقَالَانِ

وقول الصنوبري [من الوافر] :

وجوه شقائق تبدو وتحقق
 تراها كالمندارى مُسيلاتٍ
 عليها من حميم الشعر سبغا
 وإن غرّبت أرتك الشرج تطفأ
 نخال إذا هي اعتدلت قواماً
 زُجاجات ملئن الراح صيرفا
 تنازعت الحدود الحر حُسناً
 فما قد أخطأت منهن وصفا
 وقول ابن الدويبة [من المتقارب] :

كأن الشقائق والأفحوان خُدود تقبلهنّ الثُغور
 فهاتيك أحنجلهن الحياه وهاتيك أضحكهن الشرور
 وقول أبي الحسن بن وكيع من أرجوزة [من الرجز] :

يضحك فيها زهر الشقيق كأنه مدأهنّ العقيق
 مُضْمَنَات قطعاً من السَّيْح فأشرقت بين احمرار ودعج
 كأنما الحمرة في المسود منه إذا لاح عيون الرُمْد

وقول أبي الفضل الميكالى [من الطويل] :

تصوغ لنا أيدى الربيع حدايقاً كعقد عقيق بين سخط لال
 وفيهن أنوار الشقائق قد حكت خدود عذارى نُقِطت بفوأل

وقول الخبز أُرزى أيضاً [من المنسرح] :

وروضة راضها الندى فندت لها من الزهر أنجم زهر
 تنشر فيها أيدى الربيع لنا ثوباً من الوشي حاكه القطر
 كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
 ثم تبدت كأنها حدق أجفانها من دمانها حمر

٧٤ - • وَمَسْنُونَةٌ زُرُقُ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ •

هَامِدُ الْقَتَنِيبِ
الرَّمِي

هو من الطويل ، وصدره :

• أَيْقَنْتُكَرُ وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِجِي •

وقائله امرؤ القيس الكندي ، من قصيدة (١) أولها :

وَهَلْ يَمِينُ مَنْ كَانَ فِي الْمَصْرِ انْخِلَالِي	أَلَا عَيْمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالُو
قَلِيلُ هُمُومٍ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ (٢)	وَهَلْ يَمِينُ إِلَّا سَعِيدٌ مَحَلُّ
ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالِ (٣)	وَهَلْ يَمِينُ مَنْ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ
أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْخَمَ مَطَالِ	دِيَارٍ لَسَلَى عَافِيَاتٌ يَذَى الْخَالِ
يُوَادِي الْخُرَاقَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ	وَنَحْسَبُ سَلَى لَا تَزَالُ كَهْدَنَا
كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يَشْبَهُ اللَّهُ أَمْثَالِ (٤)	أَلَا زَعَتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي
بِأَنْسَةِ مَكَانَهَا خَطُّ نَمَالِ	بَلَى رُبَّ يَوْمٍ قَدْ هَوَتْ وَلِيلَةٍ
كَمَصْبَاحٍ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذَبَالِ	يُضَى الْفَرَاشِ وَجْهَهَا لَضَجِيمَا
تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مَطَالِ (٥)	إِذَا مَا الضَّجِيعُ أَبْزَاهَا مِنْ نِيَابِهَا
لَمَّا احْتَسَبَا مِنْ لَبَنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالِ (٦)	كَدَعَصِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَ أَنْ فَوْقَهُ

(١) انظرها في الديوان (١٣٧)

(٢) في الديوان « قليل المهوم »

(٣) في الديوان « أحدث عهد » وفيه « في ثلاثة أحوال »

(٤) في الديوان « وألا يحسن السر أمثالي »

(٥) في الديوان « غير مجبال » وغير مجبال : أي ليست لفة ولا حليلة

(٦) في الديوان « كدعص النقا » وفيه « بما احتسبا »

إِذَا مَا اسْتَحَبَّتْ كَانَ فَيْضٌ حَمِيمًا عَلَى مَتْنَيْهَا كَالْجَنَانِ لَدَى الْجَلَالِ (١)
تَوَرَّتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَتْرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَلِيٌّ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَمَالِ (٢)
تَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ
فَقَالَتْ سَبَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السَّمَاءَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ لَا أَنَا بَارِحٌ وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي (٣)
فَلَا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ هَصُرْتُ بِفَضْنِ ذِي شَمَارِيخٍ مِيَالِ
فَصَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَبَّةُ أَى إِذْلالِ
حَافَتْ لَهَا بِاللَّهِ جَلْفَةً فَاجِرِي لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي
فَأَصْبَحْتُ مَعشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ قَتَامٌ كَاسْفُ اللَّوْنِ وَالْبَالِ (٤)
يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدَّ خَنَاقَهُ لِيَقْتُلْنِي وَالْمَسْرُءَ لَيْسَ بِقَتَالِ
وَبَعْدَ الْبَيْتِ ، وَبَعْدَهُ :

وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ فَيَقْتُلْنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ وَلَيْسَ بِبَيْتَالِ
أَيَقْتُلْنِي وَقَدْ قَطَرْتُ فُؤَادَهَا كَمَا قَطَرَ الْمُهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي (٥)

- (١) في الأصل « لدى الحالى » بالهاء مهملة، وليس بشيء . وما أثبتناه عن الديوان ، والجالي : صراف الدرام
(٢) تشب : توقد ، والتقال : جمع قافل من قفل من الغزو والسفر إذا رجع
(٣) في الديوان « يمين الله أروح قاعدا » وهذا هو المحفوظ ، وهو من شواهد النحاة على حذف حرف النفي بعد القسم ، وما في الأصل ضعيف في العربية
(٤) في الديوان « عليه القتام سىء الظن والبال »
(٥) في الديوان :

ليقتلنى أنى شغفت فؤادها كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَى وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا بَأَنَّ الْفَقَى يَهْدَى وَلَيْسَ بِعَالٍ
وَمَا ذَا عَلَيْهِ إِنْ ذَكَرْتُ أَوْ أُنْسًا كَغَزَلَانِ رَمَلٍ فِي مَحَارِيبِ أَقْوَالٍ (١)
وهي طويلة .

والمشرفى - بفتح الميم والراء - نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب ، تدنو من الريف ، منها السيوف المشرفية . والمسنون : المحدد المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مَجْلُوءَةً ، وأراد بقوله « أنياب أغوال » أى شياطين ، وإنما أراد أن يَهْوَلَ . قال أبو نصر : سألت الأصمعي عن الغول ، فقال : همجة من همجة الجن .

والشاهد فيه : التشبيه الوهمي ، وهو الغير المدرك (٢) بإحدى الحواس ، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركاً بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .

وذَكَرْتُ بأول القصيدة ما حكاه ناشب بن هلال الحَرَّانِي الواعظ الهندي - وكان يلقب به لقوله الشعر بديهاً - قال : قصت دُيَّارَ بَكَرٍ متكبباً بالوعظ ، فلما نزلت قلعة ما بردين دعاني بها صاحبها تمرّداس بن المغان بن أرتق للإفطار عنده في شهر رمضان ، فحضرت إليه ، فلم يرفع مجلسي ولم يكرمنى ، وقال بعد الإفطار لغلّام عنده : إئتنا بكتاب ، فجاء به ، فقال له : ادفه إلى الشيخ ليقرأ فيه ، فأزاد غيظي لذلك ، وفتحت الكتاب ، فإذا هو ديوان امرئ القيس ؛ وإذا أول ما فيه :

أَلَا عِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَمِنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

(١) الأقوال : جمع قيل ، وهو من بلى الملك من ملوك حمير
(٢) من حق الاستعمال العربي أن يقال « غير المدرك بإحدى الحواس »

صَلَّتْ فِي غُصْنٍ : أَنَا ضَيْفٌ وَغَرِيبٌ ؛ وَأَسْتَفْتَحُ مَا أَقْرَأَهُ عَلَى سُلْطَانٍ كَبِيرٍ
وَقَدْ مَضَى هَزِيعٌ مِنَ اللَّيْلِ أَلَا عِمٌّ صَبَاحًا ، صَلَّتْ :
أَلَا عِمٌّ مَاءُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِي . وَلَا زَلَّتْ فِي عَزِيمٍ ، وَإِقْبَالَ
نَمْ أَتَمَّتِ الْقَصِيدَةَ ، فَهَلَّلَ وَجْهَ السُّلْطَانِ لِذَلِكَ ، وَرَفَعَ مَجْلِسِي ، وَأَدْنَانِي
إِلَيْهِ ، وَكُنْ فَلَكَ سَبَبٌ حَظُّونِي عِنْدَهُ .

٧٥ - وَكَانَ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنَ لَاحَ بَيْنَهُنَّ أَبْتَدَاعُ
الْبَيْتِ لِقَاضِي التَّنَوُّخِي ، مِنْ أَيْنَاتٍ مِنَ الْخَلِيفِ ، أَوَّلَهَا (١) :
رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتُهُ بِصُدُودٍ أَوْفَرَاكِ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
وَحْشٍ كَالْقَلِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْسُنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْإِسْمَاعُ

شاهد القافية
التخييل

وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

مُشْرِقَاتُ كَأَنَّهُنَّ حَجَاجُ تَقَطَّعُ الْخُفَمَ وَالْفَلَاحَ انْقِطَاعُ
وَكَانَ السَّمَاءُ خِيَمَةً وَثَنِي وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شِرَاعُ
وَالْهَجَى : جَمْعُ دُجْيَةٍ ، وَهِيَ الظُّلْمَةُ ، وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّيَالِي أَوِ النُّجُومِ ،
وَالْإِبْتِدَاعُ : الْخَبَرُ فِي الدِّينِ بَعْدَ الْكَمَلِ ، أَوْ مَا اسْتَبَدَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْمَالِ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : التَّشْبِيهُ التَّخْيِيلِي ؛ وَهُوَ أَنْ لَا يُوْجَدُ فِي أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ أَوْ فِي
كِلَيْهِمَا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيلِ وَالتَّأْوِيلِ ، وَوَجْهُهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ : الْمِثْلَةُ

(١) أَقْرَأَهَا فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ لِلشَّعَالِي (٢ - ٣٣١ بِتَحْقِيقِنَا) وَفِيهَا بَيْتٌ
سَادِسٌ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

كَانَ لَيْلًا فَصِيرَتُهُ نَهَارًا كَتَبَ تَكَبَّتِ الْعَدَى وَرَقَاعَ

الحاصلة من حصول أشياء مُشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود ، فتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل ، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل فجهل صاحبها كمن يمتنى في الظلمة فلا يبتدىء للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بالظلمة ، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور ، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل ، كما أن النور يقابل الظلمة .

ترجمة القاضي
التنوخى

والقاضى ^(١) التنوخى : هو على بن محمد بن داود ، أبو القاسم التنوخى ، قدم بغداد ، وتمع على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، وكان حافظاً للشعر ، ذكياً وله عروض بديع ، وولى القضاء بمكة بلدان ، وهو والد أبي على المحسن ^(٢) التنوخى صاحب «نوار المحاضرة» وكتاب «الفرج بعد الشدة» وغيرهما . وكان أبو القاسم هنا بصيراً بعلوم النجوم ، قرأ على الكسائى المنجم ، ويقال : إنه كان يقوم بشرة علوم ، وكان يحفظ للطائيين سبعائة قصيدة ومقطوعة ، سوى ما يحفظ لعيرم من الحديين وغيرهم ، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً ، وكان فى القمه والقراض والشروط غاية ، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة ، وكان فى الهيئة قدوة .

وقال الثعالبي فى حقه رحمه الله تعالى : هو كما قرأته فى فصل للصاحب ^(٣) إن أردت فأتى سبعة ناسك ، أو أحببت فأتى فتاحة فأتك ، أو اقترحت فأتى مدرة راهب ، أو آثرت فأتى نخبة شارب .

وكان الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جلاء ، ويتمصبون له ، ويُمدُّونه ريحانة الندماء وتاريخ ^(٤) الظرفاء ، ويأثرون ممن من تعذيب عشرته

(١) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبي (٢ - ٣٣٥ - ٣٤٥ بتحقيقنا)

(٢) فى الأصول «أبى على الحسن» محرفاً ، ولأبى على ترجمة فى اليتيمة تلو ترجمة والده

(٣) يزيد الصاحب بن عباد

(٤) كذا فى الأصول ونسخ اليتيمة ، وأحسبه محرفاً عن «ونارنج الظرفاء»

وتلین قشرته ، وتكرم أخلاقه [وتحسن أخباره] ^(١) ، وتسیر أشعاره [ناظمة] ^(٢)
حاشيق البر والبحر ، وناحيتی الشرق والغرب .

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادون الوزير المهلبى ويحتمعون
عنده فى الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، وم
ابن قريعة وابن معروف والأينجى وغيرهم ، ومامنهم إلا أبيض اللحية طويلها
وكناش كان المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولد السماع ، وأخذ
الطرب منهم مأخذه ، وهبوا أثواب الوار للعقار ، وتقلبوا ٣ ، أعطاف العيش ،
بين الخفة والطيش ، ووضع فى يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملو
شرباً قطربلها أو عكبريا ، فيفمس لميته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره
ثم يرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون بأجمعهم ، وعليهم المصبغات ومخاق
البرم ، وإيام عنى السرى الرفاء بقوله [من المنسرح] :

تجالسُ ترقصُ القضاةُ بها	إذا انتشروا فى مخانيقِ البرم
وصاحبٌ يخلطُ المحونَ لنا	بشيمة حلوة من الشم
نخضبُ بالراح شيبه عبنا	أناملٌ مثل حمرة العنم
حتى تحالَ العيونُ شيبته	شيبة عئان صُرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لمعادتهم من التزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة
الشايع الكبراء .

وكان له غلام يؤثره على غيره من غلمانه يسمى نسبا ، فكتب إلى القاضى
التنوخى بعض أصحابه [من الرمل] :

هل على لامة مدغمة
لاضطرار الوزن فى ميم نسيم؟

فوقع تحته ، نعم ، ولم لا؟!

وقال منصور الخالدي : كنت ذات ليلة عند التنوخي في ضيافة ، فأغنى
إغفاده فخرج منه ريح ، فضحك بعض القوم ، فاتبعه بضحكه وقال : لعل ريحاً ،
فسكرتنا من هيئته ، فكث ساعة ثم قال : [من الطويل] :

إذ نامت العينان من مُتَبَقِّظٍ تراخت بلاشك تشاريحُ فَمَحَنَهُ
فمن كان ذا عقلٍ فيمندر نائمًا ومن كان ذا جهل ففي جوفٍ لحينه
وهذه نبذة من شعره .

قال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر
شعره [ويرى أنها من أمهات قلائده ^(١)] وهي [من الكامل] :

أحِبُّ إلى نَهرٍ مَمْلُوكٍ الذي فِيهِ لِقَابِي مِنْ هُمُومِي مَعْقُلٍ
عَذَبٌ إِذَا مَا عَبُّ مِنْهُ نَاهِلٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ رِيْقٍ حَبٍّ يَنْهَلُ ^(٢)
مَنْسَلَسٌ وَكَأَنَّهُ لَصَفَاءُهُ دَمْعٌ يَجْدِي كَاعِبٍ يَتَسَلَسَلُ
وَإِذَا الرِّيحُ جَرَيْنَ فَوْقَ مَتُونِهِ فَكَأَنَّهُ دَرْعٌ جَلَاهَا صَيْقُلُ ^(٣)
وَكَأَنَّهُ دَجَلَةٌ إِذْ تَغْطِظُ مَوْجَهَا مَلِكٌ يُعْظَمُ خِيفَةً وَيُجَبَلُ
وَكَأَنَّهُ يَاقُوتَةٌ أَوْ أُعِينُ زَرْقٌ يَلْأَمُ بَيْنَهَا وَيُوصَلُ ^(٤)

(١) الزيادة عن يتيمة الدهر فإن هذه الترجمة نقلت بحذفها عنها ، وإن
لم تكن مساقها على ترتيبها هناك

(٢) في اليتيمة « إذا ما عب فيه »

(٣) في الأصل « فكأنها درع » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة ،
والضير يعود إلى النهر وهو مذكر ، وفي اليتيمة « علاها صيقل » وأراها
معرفة عما هنا

(٤) في اليتيمة « وكأنها ياقوتة » ولكل منها وجه ، فإن الضير هنا
يجوز أن يعود إلى النهر ، وإلى دجلة وانظروا مؤنت

عذبت ف نرى أماء ملؤها عند المناقة أم رحيق سئل
 وطأ بجزر بعد جزر فاهير جيشان يذبرا وهنا يقبل
 وبذا نظرت إلى الأبنية خلفها من جنة الفردوس حين تحيل
 كم متزل في نهرها آتى السرد ربه في غيره لا يتزل
 وكأني تلك القصور عرائس والروض حلّى في فيه رزق
 غنت قيل الزرق في أرجلها هزجا يقل له التقليل الأول
 وصاحت تلك النصوص فأذكرت يوم الوداع وعيرهم ترحل
 ربح الربيع بها فحاكب كفه حلاها عقد الموم تحل
 فنبج وموشع ومدبر ومعد وعبر ومهلل
 فتخل فاعينا وفانرا وفا خذا يفض مرة وقبل
 ومن شعره أيضا قوله [من السريع] :

كانما المريج والمشرى أمله في شليخ الرّفه (١)
 منصرف بليل عن دعوة قد أوقدت قمامه شمه (٢)

ومثله قول أبي عتيق السفر [من الرمل] :

وكان البدر والمر يسخ إذ وافى إليه
 ملك توقد ليلاً شخفة بين يديه

رجع إلى شعر القاضي التنوخي رحمه الله ، قال [من الطويل] :

(١) في البيمة « قمامه » في مكان « أماء » وكذا في كتب البيان ، وفي التلخيص فيما يأتي

(٢) في البيمة « قد أخرجوا » في مكان « قد أوقدت »

وبينة مشتق كاذب فجمها قد اغتصبت عني الكرى فهي قوم^(١)
 كين سواد البذر والفجر ضاحك يلوح ويخفى أسود يتبسّم
 وله أيضاً في غوز الكواكب عند الصباح [من البسيط]:
 عهدي بها وضياء الصبح يطفئها كالشرح تطفأ أو كالأعين العور
 عجب بها حين واني وهي تيرة فظلاً يطمس منها التنور بالتنور
 وكتب إلى الوزير المهلب، وقد منه المظن ختمته [من الطويل]:
 سحب أنى كالامن بعد تخوف له في الترى فل الشفاء يندفع
 اكب على الآلق إطراق مطوق يكر أو كالنديم المتلف^(٢)
 ومد جناحيه على الأرض جانحاً فراح عليها كالتراب المرفرف
 غدا البريجمراً آخراً وانتقى الضحى بظلمته في نوب ليل مسج
 يمس عن برقي به متبسّم عبوس بخيلو في تبسم مفتى
 نحاول منه الشمس في الجو مخرجاً كاحاول المنلوب نجريد مرهف

أبن هنا من قول ابن المعتز رحمه الله [من الوافر]:
 نحلول فتق غيم وهو ياني كعنين يريد نكلح بكر

فأفرغ ماء قال وارد حوضه أسل مال أم سلاة قرف^(٣)

-
- (١) في البينة «وهي قوم» وبين البيتين في البينة بيت آخر، وهو
 كان عيون الساهر يطلها إذا شخصت لأنجم الزهر أنجم
 (٢) في الأصل «أو كالنائم المتلف» وما أثبتناه موافق لما في البينة
 (٣) في البينة «فأفرغ ماء»

أَتَى رَحْمَةً لِلنَّاسِ غَدِيرِي ، فَإِنَّهُ عَلَى عَذَابٍ مِثْلِهِ مِنْ تَكْثُفِ
 سَحَابٍ عَدَّ ابْنِي عَنْ سَحَابٍ ، وَعَارَضُ مُنَعْتُ بِهِ مِنْ عَارِضٍ مُتَكَفِّفٍ
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ لِحَمْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيِّ [مِنْ الْخَفِيفِ] :
 لَسْتُ أُدْرِي مَاذَا أَذَمُّ وَأَشْكُو مِنْ مِثْمَاءٍ تَعَوَّقَنِي عَنْ سَمَاءٍ
 وَمِنْ شَعْرِ الْقَاضِي التَّنَوُّخِيِّ أَيْضاً^(١) [مِنْ الْبَسِيطِ] :

أَمَّا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ وَعَسْكَرَ الْحَرِّ كَيْفَ انْصَاعَ مَنْطَلَقًا
 فَالْأَرْضُ تَحْتَ ضَرْبِ السَّلَاحِ تَحْسِبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حُبُكًا أَوْ غُشِيَتْ وَرَقًا
 فَاتْرُضْ بِنَارٍ إِلَى فَحْمٍ كَأَنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ ظِلٌّ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا
 جَاءَتْ وَنَحْنُ نَكْفُلُ الصَّبَّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصَرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشَقَا
 وَمِنْهُ أَيْضاً^(٢) [مِنْ الطَّوِيلِ] :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَلِيهِ مَشِيبٌ وَسَخَطُكَ دَاءٌ لَيْسَ مِنْهُ طِبِيبٌ
 كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ النَّفْسِ مُرَكَّبٌ فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ النَّفْسِ حَبِيبٌ
 وَلَهُ فِي مُعَذَّرٍ [مِنْ السَّرِيعِ] :

قُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ مَرَّ بِي مَنْتَقِبًا بَعْدَ الضِّيَاءِ بِالظُّلَمِ
 بِاللَّهِ يَا أَهْلَ وَدَادِي قُفُّوا كَيْ تَبْصُرُوا كَيْفَ زَوَالُ النُّعْمِ

وَحَاسِنُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَةٌ ، وَهَذَا الْأَمْثُودُجُ كَافٍ فِيهَا . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةً
 اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ

(١) أَنَشَدَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ فِي أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ
 (٢٠٠ طَبْعَةٌ ثَالِثَةٌ)

(٢) قَالَ الشُّعَلْبِيُّ قَبْلَ إِشَادِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : « وَمَا أَنَشَدْتُ لَهُ وَلَمْ أَجِدْهُ
 فِي دِيْوَانِهِ »

٧٦ - وقد لآح في الصبح الثرى بالمرأى كمنقود ملاحية حين نوراً (١) شاهد للركب الحسى البيت لأبى القيس (٢) بن الأسلت ، من الطويل .

والملاحى - بضم الميم وتخفيف اللام ، وقد تشدد - عنب أبيض فى جبّه طول . ومعنى نور : تفتح نوره . والثريا : مصفرة ، قيل : تصغير تعظيم ، وقيل : تصغير تقريب إعلاماً بأن نجومها قريب بعضها من بعض ، ومكبرها تروى ، وهى الكثرة . وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها ، وقيل : لكثرة نجومها مع صغر مرآها ، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق الحبل . وعدد نجومها سبعة أنجم : ستة ظاهرة ، وواحد خفى تختبر به الناس أبصارهم ، وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجماً .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرأه مفردان ، الحاصل من الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض الصغار المتقادر فى المرأى وإن كانت كباراً فى الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار الخصوص ، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماع النضام والتلاصق ، ولا هى شديدة الافتراق ، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجدّه فى رأى العين بين تلك الأنجم . والطرفان المفردان هما : الثريا ، والعنقود .

ومساجه فى وصف الثريا أيضاً قول امرئ القيس [من الطويل] :
إذا ما الثرى فى السماء تمرّضت تمرّض أثناء الوشاح المفضل

آيات فى وصف
الثريا

(١) المحفوظ فى هذا البيت * وقد لآح فى الصبح الثريا كما ترى *
(٢) أنشده الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٧٥) ونسبه إلى قيس بن الخطيم ، ولبس بشيء

وقد أبدعَ المتأخرون في وصفها : فمن ذلك قول ابن المعتز^(١) [من المنسرح] :

قَدِ انْقَضَتْ دَوْلَةُ الصَّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُقْمُ الْهَلَالِ بِالْعِيدِ
يَتَلَوُ الثَّرِيَاءُ كَفَاغَرِ شَرِّهِ يَفْتَحُ فَاهُ لَا كُلَّ عُنُقُودِ
ومثله قوله أيضاً [من الخفيف] :

زَا رَأَى وَالِدُجِي أَحْمُ الْحَوَاشِي وَالثَّرِيَاءُ فِي الْغَرْبِ كَالْعُنُقُودِ
وَهَالِكُ السَّاءِ طَوْقُ عَرُوسٍ بَاتَ يُجَلِّي عَلَى غَلَاثِلِ سُودِ
وقول ابن بابك [من مجزوء الرجز] :

وَلَيْلَةٍ جَوْرًاؤُهَا مِثْلُ الْخِيَاءِ الْمُنْتَهِكِ
قَطَعْتُهَا وَالدَّرُ عَنْ تَمَتَّتِ الثَّرِيَاءُ مُنْفَرِكِ
كَأَنَّهَا فِي عُرْضِهِ بَارِزٌ عَلَى كَفِّ مَلِكِ

وقول سهل بن المرزبان [من الكامل] :

كَمْ لَيْلَةٍ أُحْيَيْتَهَا وَمُؤَانَسَى طُرْفُ الْحَدِيثِ وَطَيْبُ حَثِّ الْأَكُوسِ^(٢)
شَبَّهْتُ بَدْرَ سَاهِئِهَا لَمَّا دَنَتْ مِنْهُ الثَّرِيَاءُ فِي قَيْصِ سِنْدُسِي
مَلِكًا مَهِيًّا قَاعِدًا فِي رَوْضَةٍ حَيَّاهُ بَعْضُ الزَّاثِرِينَ بِنَرْجِسِ
ومثله قول ابن المعتز أيضاً [من الطويل] :

أَتَانِي وَالْإِصْبَاحُ يُرْفَلُ فِي الدُّجَى بِصَفَرَاءَ لَمْ تَفْسُدْ بِطَبِيخٍ وَإِحْرَاقِ

(١) أنشدهما الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (٧٦ الطبعة الثالثة)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة مانصه « قوله حث الأكوس هكذا في النسخ ، ومعناه شربها ، ولم أجده بهذا المعنى في القاموس ، فلعله محرف عن حسو ، فتدبر » اهـ

فناوَلَيْهَا وَالتَرِيَا كَأَنَّمَا جَنَى نَرْجِسٍ حَيَا الدَّامِي بِهِ السَّاقِ
ومثله قول الناشئ الأصغر [من الطويل] :

وَلَيْلٌ تَوَارَى النِّجْمُ مِنْ طُولِ مُكْنَهٍ كَمَا أَزْوَرَ حُبُوبٌ نَخُوفَ رَقِيهِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِيهِ بَاقَةٌ نَرْجِسٍ يُحْيِي بِهَا ذُو صَبُوءٍ لَحِيْبِهِ
وقول أبي الفرج البيهقي من أبيات [من المنسرح] :

نَرَى الثَّرِيَا وَالبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يُحْيَا بَنَرْجِسٍ مَلَكُ
وقول الوزير أبي العباس الضبي [من مجزوء الرجز] :

خَلَّتْ الثَّرِيَا إِذْ بَدَتْ طَالِعَةً فِي الْحَدِيدِ
مِرْسَلَةً مِنْ لَوْلُؤٍ أَوْ بَاقَةً مِنْ نَرْجِسٍ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

إِذَا الثَّرِيَا اعْتَرَضَتْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
حَسِبْتَهَا لَامِعَةً سَبِيكَةً مِنْ دُرٍّ

وفنيس قول ابن حمديس أيضاً من قصيدة [من الرمل] :

فَاسْقِنِي عَنْ إِذْنِ سُلْطَانِ الْهَوَى لَيْسَ يَشْفِي الرُّوحَ إِلَّا كَلَسُ رَاخٍ
وَانْتَظِرْ لِلْحَلَمِ مَنَى كَرَّةٍ كَمْ فُسَادٍ كَانَ عَقْبَاهُ صَلاخٍ

فَالْقَضِيبُ اهْتَزَّ وَالبَدْرُ بَدَا وَالكَثِيبُ ارْتَجَّ وَالعَنْبَرُ فَاخَ

وَالثَّرِيَا زَجِجَ الْجَوْيَا كَابِنِ مَاءِ ضَمِّ اللُّوْكَرِ جَنَاحٍ

وَكَأَنَّ الْقَرَبَ مِنْهَا نَاشِقٌ بَاقَةٌ مِنْ يَابِسِينَ أَوْ أَفَاخٍ

وقول الصاحب بن عباد [من الطويل] :

تُنِيرُ الثَّرِيَا وَهِيَ قُرْطٌ مُسَكَّلٌ وَيَعْقِلُ مِنْهَا الطَّرْفُ دُرٌّ مُبَدَّدٌ

وما ألفت قول ابن حصن [من المقتضب] :

عَلَى أَنْ أَتَذَلَّلَ لَهُ وَأَنْ يَتَذَلَّلَ
خَذَتْ كَأَنَّ الثَّرِيَا عَلَيْهِ قُرْطٌ مُسْلَسِلٌ

وقول أبي الفرج البغواء [من البسيط] :

خَفُّوا مِنَ الْعَيْشِ فَالْأَعَارُ فَانِيَةٌ وَالدهرُ مَنْصَرِفٌ وَالْعَيْشُ مَنْقَرَضٌ
فِي حَامِلِ الْكَأْسِ مِنْ بَدْرِ الدَّجَى خَلْفَ وَفِي الْمَدَامَةِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى عِوَضُ
كَأَنَّ نَجْمِ الثَّرِيَا كَفْتُ ذِي كَرَمٍ مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَنْقَبِضُ

وقول ابن سكرة الهاشمي [من المنسرح] :

تَرَى الثَّرِيَا وَالْغَرْبُ يُجَذِّبُهَا وَالْبَدْرُ يَسْرَى وَالْفَجْرُ يَنْفَجِرُ
كَفْتُ عُرُوسٍ لَاحَتْ خَوَاتِمُهَا أَوْ عِقْدٌ دُرٍّ فِي الْجَوْ يَنْتَثِرُ

ومثله قول أبي القاسم علي بن جلبات [من الطويل] :

وَحَلَّتْ الثَّرِيَا كَفَّ عَذْرَاءَ طَلْعَةٍ مَحْتَمَّةٌ بِالْأَدْرِ مِنْهَا الْإِنَامِلُ
تَحْيِلُنَهَا فِي الْأَفَقِ طُرَّةَ جَبَّةٍ مُكْوَكَّةٌ لَمْ تَعْتَلِقْهَا حَبَائِلُ

وقول أبي القاسم بن هانيء الأندلسي [من الطويل] :

وَوَلَّتْ نَجْمُ الثَّرِيَا كَأَنَّهَا خَوَاتِمُ تَبْدُو فِي بَنَانٍ يَدُ تَخْفَى

وما أحسن قول محبي الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

مَلَكَتِ اللَّيَالِي مِنْ عَلَاً وَخَتَمَتْهَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ مَحْشُوءَةً مِنْ مَكَارِكُ
خَتَمَتْ عَلَيْهَا بِالثَّرِيَا قُلُّ لَنَا أَهَذَا الَّذِي فِي كَفِّهَا مِنْ خَوَاتِمِكُ

وقد أحسن الصنوبري في تشبيهه الثريا في جميع أحوالها حيث يقول من

أبيات [من المنسرح] :

قُمْ فَاسْتَقِ وَالظَّلَامُ مُنْهَزِمٌ وَالصُّبْحُ بَادٍ كَأَنَّهُ عِلْمٌ
وَالطَّيْرُ قَدْ طَرَبَتْ فَأَفْصَحَتْ الْإِلْحَانَ طَرًّا وَكُلَّهَا عَجَمٌ

وَمَيَّلَتْ رَأْسَهَا الثَرِيَا لَاسِرَارٍ إِلَى الثَّرَبِ وَهِيَ تَحْتَشِمُ
 فِي الشَّرْقِ كَأَسْ فِي مَغَارِبِهَا قُرْطٌ وَفِي أَوْسَطِ السَّمَاءِ قَدَمٌ
 وَقَدْ وَصَفَهَا الْوَأَوَاءُ الدَّمَشْقِيُّ فِي حَالَتِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فَقَطَّ قَطْلًا
 [من مجزوء الرمل] :

قَدْ تَأَمَّلْتُ الثَرِيَا فِي شُرُوقٍ وَغُرُوبٍ
 فَهِيَ كَأَسْ فِي شُرُوقٍ وَهِيَ قُرْطٌ فِي غُرُوبٍ
 وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ أَيْضًا [من مجزوء الكامل] :
 وَكَأَنَّمَا نَجْمُ الثَرِيَا إِذْ بَعَرَّضَ كَالْوِشَاحِ
 كَأَسْ بِكَفِّ خَرِيدَةٍ تَسْقَى الْمَسَاءَ بَيْدَ الصَّبَاحِ
 وَقَوْلُ الْوَأَوَاءِ الدَّمَشْقِيِّ [من مجزوء الكامل] :

وَجَلَا الثَرِيَا فِي مَلَأَ مِقْدَ نُورِهِ بِدُرِّ الْقَمَامِ
 فَكَأَنَّمَا كَأَسُ لَيْشَ سَرَبِهَا الدَّبَجِ وَالْبَدْرِ جَامِ
 وَكَأَن زُرْقَ نَجُومِهَا حَقَّقَ مُفْتَحَةَ نِيَامِ
 وَبَدِيعُ قَوْلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْأَزْدِيِّ الْمَشْهُورِ بِالْمُتَقَالِ [من مخلع البسيط]

يَأْسَاقِي الْكَأَسَ اسْقِ صَحْبِي وَأَسْقِنِي إِنِّي أَوَّاسِي
 وَانْظُرْ إِلَى حَيِّثُ الثَرِيَا وَاللَّيْلُ قَدْ سُدَّ بِأَنْدَمَاسِ
 مَا بَيْنَ بَهْرَامِهَا الْمُلَاحِي وَبَيْنَ مَرِيخِهَا الْمَوَاسِي
 كَأَنَّمَا رَاحَةٌ أَشَارَتْ لِأَخَذِ تَفَاحَةٍ وَكَأَسِ
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا [من مخلع البسيط]

رَأَيْتُ بِهْرَامِ الثَرِيَا وَالْمُشْتَرَى فِي الثَّرَانِ كَرَّةً
 كَرَاخَةً حَبِطَتْ يَدَاهَا مَا بَيْنَ يَاقُوتَةٍ وَدُرَّةً

قال عبد الوهاب المذكور هذين البيتين لما أنشده ابن رشيق قوله
[من الخفيف]:

والثريا قُبالة البدر نَحْكِي باسطاً كَفَّهُ لِيَأْخُذَ جَامَا
وللأواء الدمشقي [من الخفيف]:

رُبَّ لَيْلٍ مَازَلْتُ أَلْتَمِ فِيهِ قَرَأَ لَابِسًا غُلَّالَةً وَرِدِ
والثريا كأنها كَفَتْ خَوْدِ داخلتها للبين رِعْدَةً وَجِدِ
ومثله قول بعضهم [من الطويل]:

كَأَنَّ الثَّرِيَّا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ وَقَدْ سَلَّمَتْ لِلصَّبْحِ طَوْعًا عَيْنَاهَا
مُرْوَعَةً بِالْبَيْنِ نَحْوَ أَلْفِهَا تُقَلِّبُ مِنْ خَوْفِ الْفَرَاقِ بَنَاتَهَا
وقول الآخر [من الكامل]:

وَاللَّيْلُ قَدْ وَلِيَ يَقْلُصُ بُرْدَهُ كَذَا وَيَسْحَبُ ذَيْلَهُ فِي الْمَغْرِبِ
وَكَأَنَّمَا نَجْمُ الثَّرِيَّا سَحْرَةٌ كَفَتْ تَمْسَحُ عَنْ مَعَاطِفِ أَشْهَبِ
ولأبراهيم بن العباس الصولي في اقتران الثريا والهِلال [من البسيط]:

وَلَيْلَةٌ مِنْ لَيْلَى الْأَنْسِ بَتْ بِهَا وَالرَّوْضُ مَا بَيْنَ مَنْظُومٍ وَمَنْضُودِ
وَالنَّسْرُ قَدْ حَامَى فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ ظِلَا وَلِلْمَجْرَةِ نَهْرٌ غَيْرُ مَوْزُودِ
وَإِنَّ الْغَرَالَةَ فَوْقَ النَّجْمِ مَنَعُطٌ كَمَا تَأَوَّدُ عُرْجُونٌ بَعْنُودِ

ولأبي عاصم البصري في اقتران الهِلال والثريا والزهرة [من المتقارب]:

رَأَيْتُ الْهِلَالَ وَقَدْ أَحْدَقَتْهُ نَجُومُ السَّمَاءِ لَكِي تَسْبِقُهُ
فَشَبَّهَتْهُ وَهَوْنِي إِثْرَهَا وَبَيْنَهُمَا الزَّهْرَةُ الْمَشْرِقَةُ
يَقُوسُ لِرَامٍ رَمَى طَائِرًا فَاتَّبَعَ فِي إِثْرِهِ بُنْدُقُهُ

ولأبي الحسن السرخسي في مثله [من الطويل]:

كَأَنَّ الْهَلَالَ الْمُسْتَنِيرَ وَقَدْ بَدَأَ وَنَجْمَ الثَّرِيَا وَاقِفٌ فَوْقَ هَائِلَةِ
مَلِكٍ عَلَى أَعْلَاهُ تَاجٌ مَرْصَعٌ وَيُزْمَى عَلَى مَنْ دُونَهُ بِجِلَالَتِهِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ طَبَاطَبَا الْعُلُوِي [مَنْ الطَوِيلُ] :

أَمَّا وَالثَّرِيَا وَالْهَلَالَ جَلَّتْهُمَا إِلَى الشَّمْسِ إِذْ وَدَعَتْ كُرْهًا نَهَارَهَا
كَاسِبًا إِذْ زَارَتْ عَشِيًّا وَغَادَرَتْ دَلَالًا لَدَيْنَا قُرْطَهَا وَسِيَّارَهَا
وَقَوْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَاتَمِيِّ [مَنْ الطَوِيلُ] :

وَلَيْلٍ أَقْنَا فِيهِ نَعْمَلُ كَأَسْنَا إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصَّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرُ
وَنَجْمِ الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَبَبٌ مُدْنَرُ
وَمَنْ بَدِيعُ أَوْصَافِ الثَّرِيَا قَوْلُ الْبَدِيعِ الْقَلْبِيِّ الْكَاتِبِ [مَنْ الطَوِيلُ] :
وَصَافِيَةٌ بَاتَ الْغَلَامُ يَدِيرُهَا عَلَى الشَّرْبِ فِي جَنَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ أَدْعَجِ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ فِي وَجَنَاتِهَا فَرَائِدُ دُرٍّ فِي عَقِيقٍ مُدْحَرَجِ
وَلَا ضَوْءَ إِلَّا مِنْ هَلَالٍ كَأَنَّمَا تَفَرَّقَ عَنْهُ الْغَيْمُ عَنْ نِصْفِ دُمْلَجِ
وَقَدْ حَالَ دُونَ الْمُشْتَرَى مِنْ شِعَاعِهِ وَمِيضُ كَنْثَلِ الزُّبْقِ الْمُتَرَجِّجِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا نَجِيَّةٌ وَزَدِ فَوْقَ زَهْرِ بَنْفَسَجِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ فَضَالٍ [مَنْ السَّرِيعُ] :

كَأَنَّ بَهْرَامَ وَقَدْ عَارَضَتْ فِيهِ الثَّرِيَا نَظَرَ الْمُبْصِرِ
يَاقُوتَةُ يُعْرِضُهَا بِأَنْعَ فِي كَفِّهِ وَالْمُشْتَرَى الْمُشْتَرَى

وَبَدِيعُ قَوْلِ الشَّهَابِ مَحْمُودٍ فِي تَشْبِيهِ الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ وَالِدَارَةَ [مَنْ الطَوِيلُ] :
كَأَنَّ الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ وَدَارَةً حَوَّتَهُ وَقَدْ زَانَ الثَّرِيَا التَّشَامُهَا
حَبَابُ طَقْمٍ مِنْ فَوْقِ زُورْقِ فُضَّةٍ بَكَتْ فَنَاءَ طَافَ بِالرَّاحِ جَامَهَا
وَقَدْ أَغْرَبَ ابْنُ عَوْنٍ بِقَوْلِهِ [مَنْ مَجْزُوءَ الرَّمْلِ] :

رُبَّ لَيْلٍ لَمْ أُنْعَمْ وَنَجْمِ اللَّيْلِ تَشْهَدُ
وَالثَّرِيَا فِي مَدَاها حِينَ تَنْحَطُّ وَتَصْفَدُ
عُتْرَبٌ يُسَمَّى مِنَ الدِّ رُّ عَلَى صَحْنٍ زَبْرُجْدُ
خَلْفَهَا طَالِبُ نَارِ وَشِهَابٌ لَيْسَ بِخَمْدُ
فَهِيَ حَيْرَى مَا أَرَاهَا مِنْ سَبِيلِ الْغَيِّ تَرُشِدُ

وَبَدِيعُ قَوْلِ ظَافِرِ الْحَدَّادِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ الثَّرِيَا تَقْدُمُ الْفَجَرَ وَالْدُجَى يَضُمُّ حَوَاشِي سِجْفِهِ لِلْمَغَارِبِ
مَقْدَمُ جَيْشِ الرُّومِ أَوْماً بِكَمْفِهِ لَتَبْدِيدِ جَيْشٍ مِنْ بَنِي الزَّنَجِ هَارِبِ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ نَجْمِ اللَّيْلِ لَمَّا تَنَحَّلَتْ تَوَقَّدَ جَمْرٌ فِي سَوَادِ رَمَادِ
حَكِي فَوْقَ مَمْدَةِ الْحَجَرَةِ شَكْلُهَا فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ لُجَّةِ وَادِ
وَقَدْ سَبَحَتْ فِيهِ الثَّرِيَا كَأَنَّهَا بَقِيَّةُ وَشَى فِي قَبِصِ حِدَادِ
وَلَا حَتَّ بِتَوَلُّشٍ كَتَفَقِطَ كَاتِبِ يُسْرَاهُ لِلتَّعْلِيمِ هَيْئَةً صَادِ
إِلَى أَنْ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ رَدَاءُ عَرُوسٍ فِيهِ صَبْنُ مِدَادِ

وَقَوْلُهُ أَيْضاً [مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَلَيْلَةٌ مِثْلُ عَيْنِ الظَّيِّ دَاجِيَةٍ عَسَفَتْهَا وَنَجْمِ اللَّيْلِ لَمْ تَقْدِ
كَأَنَّ أَتَجَمَّهَا فِي اللَّيْلِ زَاهِرَةٌ دَرَاهِمٌ وَالثَّرِيَا كَفَتْ مُنْتَقِدِ

وِظْرِيْفُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي شِكَايَةِ طَوْلِ اللَّيْلِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنَّ الثَّرِيَا رَاحَةً تَشْبُرُ الدُّجَى لَتَعْلَمُ طَالَ اللَّيْلِ أَمْ لِي تَعَرَّضَا
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرَبِ يُقَاسُ بِشَبْرِ كَيْفَ يُرْجَى لَهُ تَقْصَا

ولبعضهم [من الخفيف] :

والثريا كأنها رأس طير في أدم زين باللباس الحلي
ومثله قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا فاسقنيها والظلام مقوَّض ونجم الدجى في لجة الليل يركض
كأن الثريا في أواخر ليلها مفتوح نور أو لجام مفضض^(١)
والاطلاع على تفنن الأدب له في أوصاف الثريا يفترق الاطالة هنا .

وأبو قيس^(٢) لم يقع لي إلى الآن اسمه ، والأسلت : لقب أبيه ، واسمه ترجمة أبي قيس ابن الأسلت
عامر بن جشم بن وائل ، ينتهى نسبه للأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ،
وأسلم ابنه عقبه بن أبي قيس رضى الله عنه واستشهد يوم القادسية ، وكان يزيد بن
مرداس السلتى أخو عباس بن مرداس السلتى الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في
بعض حروبهم ، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد
ابن مرداس فقتله بقيس ابن عمه ، ولقيس يقول أبوه أبو قيس بن الأسلت
المذكور [من الوافر] :

أقيس إن هلكت وأنت حي فلا تعدم مواصلة الفقير
وقال هشام الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بغاث^(٣) إلى

- (١) أنشد الشيخ عبد القاهر هذا البيت في أسرار البلاغة (١٤٣)
- (٢) تجد لأبي قيس بن الأسلت ترجمة في الأغاني (١٥ - ١٦٠) ومن
المعجب أن أبا الفرج هو الذي يقول « لم يقع لي اسم أبي قيس » وأن المؤلف
ينقل بعد تناول القرون هذه العبارة ولا يكلف نفسه البحث عن اسمه ، واسم
أبي قيس - في أرجح الأقوال - صيفي وقد كتبها مش نسخة الأغاني ما نصه
« وهما مش نسخة هكذا : اسمه صيفي ، وهو أشهر من أن لا يقع لأحد » اهـ
- (٣) بغاث - بزنة غراب - بالعين المهملة ، وبالفين المعجمة - موضع قريب
المدينة وقع فيه يوم مشهور بين الأوس والخزرج

أبي قيس بن الأسلت الوائلي ، فقام بحرجهم ، وأثرها على كل أمر حتى شجب
وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدى على امرأته وهي كبشة
بنت ضمرة بن مالك من بني عمرو بن عوف ، ففتحت له ، فأهوى بيده إليها ،
فأنكرته ودفعته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت
فقال في ذلك أبو قيس ^(١) [من السريع] :

قالت ولم تقصدِ مقال الخنا مهلاً فقد أبلةتِ اسماعى ^(٢)
استنكرتِ لونا له شاجباً والحرب غول ذات أوجاع ^(٣)
من يذوق الحرب يجد طعمها مرّاً وتركه يجمع ^(٤)
لا نالم القتل ونجزي به إلا عدا كيل الصاع بالصاع ^(٥)

ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير رضى الله عنهما خطب
الناس بالنخيلة فقال في خطبته : أيها الناس، دعوا الأهواء المضلة والآراء المشتتة
ولا تكلفونا أعمال المهاجرين وأنتم لا تعملون بها ، فقد جاريتمونا إلى السيف
برأيتم كيف صنع بكم ، ولا أعرفكم بعد الموعظة تزدادون جراءة ، فاني لا أزداد
فعداها إلا عقوبة ، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال أبو قيس بن الأسلت ^(٦) :

- (١) الأبيات من أول قصيدة له في المفضليات ، وفي الأغاني
- (٢) في المفضليات « ولم تقصد ل قيل الخنا » وكذلك هو في الأغاني
- (٣) في المفضليات « أنكرته حين توسمته » وفي الأغاني مثل ما هنا
- (٤) في المفضليات « ونحبسه بجمع جاع » والجمع جاع : الحبس في المكان
الضيق القليظ ، وفي الأغاني مثل ما هنا
- (٥) بين هذا البيت والذي قبله في المفضليات سبعة أبيات لم يروها المؤلف
وروى أبو الفرج هذا البيت متصلاً بالذي قبله في صوت
- (٦) القصة والأبيات في الأغاني (١٥ - ١٦٧)

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلاذَنْبٍ وَتِرْلَاهُ يَصِلْ نَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَارٍ^(١)
 أَنَا النَذِيرُ لَكُمْ مِنْ مُجَاهَرَةٍ كَيْلًا أَلَامَ عَلَى نَهْبِي وَإِعْذَارِ
 فَإِنْ عَصَيْتُمْ مَعَالِيَ الْيَوْمِ فَاعْتَرِفُوا أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْيَ ظَاهِرِ الْعَارِ
 لَتَنْزُكَنَّ أَحَادِيثًا وَمَلْعَبَةً عِنْدَ الْمُقِيمِ وَعِنْدَ الْمُذَلِّجِ السَّارِ
 وَصَاحِبِ الْوَتْرِ لَيْسَ الدَّهْرُ يَدْرُكُهُ عِنْدِي وَإِنِّي لَطَلَّابٌ لِأَوْتَارِ
 أَقِيمِ عَوْنَهُ إِنْ كَانَ ذَا عَوَجٍ كَمَا يَقُومُ قَدَحَ النُّبَعَةِ الْبَارِ^(٢)

وعن المهيم بن عديّ ، قال : كنا جلوسا عند صالح بن حسان ، فقال لنا :
 أنشدوني بيتاً خفراً في امرأة خفرة ، فقلنا قول حاتم [من الطويل] :
 يُضِيءُ بِهَا الْبَيْتُ الظَّلِيلُ خُصَّاصُهُ إِذَا هِيَ يَوْمًا حَاوَلَتْ أَنْ تَبْسُمَ^(٣)
 فقال : هذه من الأصنام ، أريد أحسن من هذا ، فقلنا : قول الأعشى
 [من البسيط] :

كَأَنَّ مَشِيئَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
 فقال : هذه خراجة ولاجة كثيرة الاختلاف ، فقلنا : ما عندنا شيء ،
 فقال : قول أبي القيس بن الأسلت [من الطويل] :

وَيُكْرِمُهَا جَارًا نَهْمًا فَيَزُرُّهَا وَتَعْتَلُّ عَنْ إِيْتَابِنِ فَتَعْتَدُرُ
 وَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَسْتَبِينَ بِجَارَةٍ وَلَكِنَّهَا مِنْهُمْ تَحِيًّا وَتَخْفَرُ

-
- (١) في الأصل « غير عوار » محرفا وما أثبتناه موافقا لما في الأغاني
 (٢) في الأصل « أقيم نخوته » وفيه « كما يقيم لقدح النبعة » وما أثبتناه
 موافقا لما في الأغاني
 (٣) في الأغاني « يضيء لها »

م قال : أنشدوني أحسن بيت وصفت به الثريا ، قلنا : بيت الزبير
الأسدي وهو [من الطويل] :

وقد لآحَ في الغور الثريا كأنما به رايةٌ بيضاء تنفقُ للطنين
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما الثريا في السماء تعرّضتُ تعرّضَ أثناء الوشاح المنفصل
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت ابن الطيرة^(١) [من الطويل] :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جُمانٌ وهى من سلكه فتسرعا
قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا شيء ، قال : قول أبي قيس
ابن الأسلم [من الطويل] :

وقد لآحَ في الصبح الثريلن رأى كفتقد ملاحية حين نوراً
قال : فحكم له بالتقدم عليهم في هذين المعنيين ، والله أعلم .

٧٧ — كأن مَنَارَ النعم فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

أحمد المربك
الحسي

البيت لبشار بن برد ، من قصيدة من^(٢) الطويل يمدح بها ابن هبيرة ،
وأولها :

جَآوَدَه فَآزَرُ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ وَأَزَرَنِي بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يَمَاتِبُهُ
خَلِيلِي لَا تَسْتَكْنِرُ الْوَعْدَةَ الْهَوَى وَلَا سُلُوءَ الْحَزُونَ شَطَطَتْ حَبَابُهُ

(١) في الأصل « ابن الطيرة » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأنفا

(٢) انظر أبياتاً منها في حماسة ابن الشجري (١٤٣ ر ٢٣٤) وأبياتاً

منها في المختار من شعر بشار (٧٤ ر ٧٤) وأبياتاً منها في حماسة البحري (٧٢)

يقول فيها :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبه
نفسَ واحدًا أوَّصلَ أخاكَ فإنه مفارقُ ذنبٍ مرةً ومُجانبه
إذا أنتَ لم تشرب مراراً على القَدَى ظمئتَ وأىُّ الناسِ تصفو مشاربهُ
رؤيدا نصاهل بالعراق جسادنا كأنك بالضحك قد قام نادبه

ومنها :

وسامِ لمروان ومن دونه الشُّجَا وهولُ كلِّج البحر جاشت غواربه
أحلت به أمُّ المنسايا بناتها بأسافنا إنا ردَى من نَحاربه
وكنا إذا دبَّ العدوُّ لسخطنا وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبه
رَكبنا له جهرًا بكلِّ مثقَّفٍ وأبيضَ تسنقى الدماء مضاربهُ
وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحِصَا وبالشوك والخطيُّ حمراً ثالبهُ

ومنها :

غدونا له والشمسُ في خِدرِ أمها تطلعا والطللُ لم يجر ذائبهُ
بضربِ ينوقُ الموتَ من ذاق طعمه وتدرِكُ من نَحِيٍّ الفرارُ مثالبهُ

وبعد البيت ، وبعده :

بعثنا لهم موتَ الفُجَاءةِ إنا بنو الموتِ خَطَّاقٌ علينا سبائبهُ
فراحوا فريقٌ في الأسارى ومثلهُ قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربهُ
إذا الملكُ الجبارُ صعرَّ خدَهُ مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

وهي طويلة ، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم ، وكانت أول عطية
سَنِيَّةٍ أُعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره .

والنقع : الغبار ، ومعنى « تهاوى كواكبه » يتساقط بعضها في إثر بعض والأصل « تهاوى » تخذفت إحدى التاءين .

والشاهد فيه : المركب الحسى فى التشبيه الذى طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شئ مظلم ، فوجه الشبه مركب كما ترى ، وكذا طرفاه ، كما فى أسرار البلاغة .

يروى أنه قيل لبشار ، وقد أنشد هذا البيت : ما قيل أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها ؟ فقال : إن عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إنبه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكره قريحته ، وأنشدهم قوله [من الطويل] :

عُبتُ جُنَيْناً والذِكة من العِمي فجئتُ عجيب الظن للعالم مَوْثَلاً
وغاضَ ضياه العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيعَ الناسُ حصلاً
وشعرُ كَنُوزِ الروض لاءمتَ بينه بقول إذا ما أحرزَ الشعرُ أمهلاً
وحدث أبو يعقوب الخريجي الشاعر أن بشاراً ، قال : لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس فى تشبيهه شيتين بشيتين فى بيت واحد ، حيث يقول [من الطويل] :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
أعمل نفسى فى تشبيه شيتين بشيتين ، حتى قلت :

* كَأَنَّ مَثَارَ النِّقْعِ — الْبَيْت *

وقد ذكره بشار ، فقال [من الطويل] :

خَلَقْتَ سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا سَيُوفًا وَتَعَايِقُ بَضِ الطَّرْفِ أَفْنَمًا

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمرى ^(١) فقال وأحسن [من البسيط] :
 ليلٌ من النعم لا شمس ولا قرٌّ إلا جبنك والمذروبة الشرعُ
 ومسلم بن الوليد أيضاً حيث يقول [من البسيط] :
 في عسكر تُشرق الأرض الفضاء به كالليل أنجمه القضيان والأسلُ
 ولؤلؤه رحمه الله من قصيدة عثمانية مظفرية [من البسيط] :
 والنعم ليلُ سماء لا نجوم له إلا الأسنة والهندية البئرُ
 وله في معناه من قصيدة مظفرية أيضاً مع زيادة مخترعة فيما يظن [من
 الخفيف] :

يَمَقْدُ النِّعْمُ فَوْقَهَا سَجَبًا كَاللَّيْلِ فِيهِ السُّيُوفُ أَضْحَتْ نَجُومًا
 فَتَى مَا رَأَتْ سَوَادَ شَيَاطِينٍ بُغَاةِ الحُرُوبِ عَادَتْ رَجُومًا
 وابن المعتز حيث قال [من الطويل] :
 إِذَا شِئْتُ أَوْقَرْتُ الْبِلَادَ حَوَافِرًا وَسَارَتْ وَرَأَى هَاشِمٌ وَنَزَارُ
 وَعَمَّ السَّمَاءُ النِّعْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرَّمَاحِ شَرَارُ
 وبعضهم أيضاً حيث قال [من الكامل] :
 نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَمَلَتْ أَسِنَّةُهَا نَجُومَ سَمَائِهَا
 وأبو الطيب المتنبي حيث قال [من الكامل] :
 فَكَأَنَّمَا كُتِبَ النَّهَارُ بِهَا دَجَى لَيْلٍ وَأُطْلِمَتِ الرَّمَاحُ كَوَاكِبَا
 وقد نقله إلى مثال آخر فقال [من الطويل] :
 تَزُورُ الْأَعَادَى فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهَا فِي جَانِبِهَا الْكَوَاكِبُ

وقد ضمنه سيف الدين بن المشد فقال [من الطويل] :
 كأن دُخان العود والنَّد بيننا وأقداحنا ليلٌ تهاوى كواكبُه
 ولاحتْ لنا شمسُ المُعارِ فزرت دجى الليل حتى نَظَّم الجزعَ ثاقبُه
 والبرهان القيراطى ضمن المصراع الأخير، وإن كان من غير هذه القصيدة
 بقوله وأجاد [من الطويل] :
 ولما بدأ والليل أسودُ فاحمٌ قد أنتشرت في الخافقين ذوائبُه
 أضاء بيدّر الثغر عند ابتسامه دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

* * *

٧٨ — * والشمسُ كالمرآة في كَفِّ الأثلِ *

شاهد المركب
الحسى في الهيات

هو من الرجز ، واختلف في قائله ، ف قيل : الشماخ ، وقيل : ابن أخيه (٢)
 وقيل : أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز .
 والأثل : هو الذى يَدَسْتُ يده أودهبت .
 والشاهد فيه : مجيء المركب الحسى في الهيات التى تقع عليها الحركة من
 الاستدارة والاستقامة وغيرها ، ويعتبر فيها التركيب ، ويكون ما مجيء في تلك
 الهيات على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل

- (٢) ضمن هذا البيت من قول أبى الطمحان القينى :
 أضاءت لهم أحسابهم ووجوم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
 (٣) في ديوان الشماخ بن ضرار (١٠٩) أرجوزة منسوبة إلى جبار بن
 جزء بن ضرار بن أخى الشماخ ، وأولها قوله :
 قالت سليمة لست بالمحاذى المدل مالك لا تملك أعضاد الابل
 وفيها هذا الشاهد . وليس في هذا الديوان مما ينسب إلى الشماخ نفسه هذا
 الشاهد ، بل ولا كلمة على رويه

واللون ، والثاني : أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها ، فالأول كافى البيت ، ووجه الشبه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه بسبب تلك الحركة حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يغيب من جوانب الدائرة ثم يسدوله فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، فالشمس إذا أخذ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية إلى هذه الهيئة ، وكذلك المرأة إذا كانت في كف الأشل .

آيات في وصف
حركة الشمس
والنجوم

وما أعدل قول الموعج الشاعر في معناه [من الطويل] :

كَانَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ غُدُوَةٍ عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ أَوَّلُ طَالِعِ
دَنَانِيرٍ فِي كَفِّ الْأَشْلَى يَضُمُّهَا لِقَبْضِ قَهْوَى مِنْ فُرُوجِ الْأَصَابِعِ

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي [من الوافر] :

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ

وأخذه أيضاً القاضي عبد الرحيم الفاضل فقال [من الكامل] :

وَالشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْأَرَائِكِ قَدْ حَكَّتْ سِفًا صَقِيلًا فِي يَدِ رَعْشَاءِ

وما أبدع قول الشهاب التلعفري [من البسيط] :

أَفْدَى الَّذِي زَارَنِي فِي اللَّيْلِ مُسْتَتِرًا أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الدَّهْشِ

وَلَا حَتَّ الشَّمْسِ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا مَرَاةً تَبْرِ بَدَتْ فِي كَفِّ مَرْتَعِشِ

وبديع قول إدريس بن الجمانى العبدى [من المديد] :

قُبْلَةٌ كَأَنَّ عَلَى دَهْشٍ أَذْهَبَتْ مَا بِي مِنَ الْعَطَشِ

وَلَهَا فِي الْقَلْبِ مَرَّةٌ لَوْ عَدَّتْهَا النَّفْسُ لَمْ تَعِشِ

طَرَقَتْنِي وَالْدَجِي لَا يَسُُّ خِلْعًا مِنْ جِلْدَةِ الْحَبَشِ

وَكَأَنَّ النُّجْمَ حِينَ بَدَا دَرْمٌ فِي كَفِّ مُرْتَعِشِ

وقول النامي [من الطويل] :
 صماء غصونٌ تحجبُ الشمسُ أن تُرى على الأرضِ إلا مثلُ نثرِ الدراهمِ

* * *

٧٩ - وكانَ البرقُ مصحفُ قارٍ فأنطَبَاقًا مرةً وانفثاحا

شاهد نجد
الحركة عن
غيرها

البيت لابن المعتز ، من قصيدة ^(١) من المديد ^(٢) ، وأولها :

عَرَفَ الدارَ فخيًّا وناحا بعدما كان صحًّا واستراحًا
 ظلُّ يلحاهُ العُدُولُ ويأبى في عَيْنانِ العُدُلِ إلا جماحا
 علَّوْنِي كيف أسألُو وإلا فخذوا من مَقَلَّتِي الملاحا ^(٣)
 من رأى بَرَقًا يُضِيءُ القامحا ثَقِبَ الليلَ سنَّاهُ فلاحا
 وبعده البيت ، وبعده ^(١) :

لم يزل يلمعُ بالليلِ حتى خَلَّتْهُ نَبْهٌ فيه صَبَاحًا
 وكانَ الرَّعْدُ لُحْلُ لِقَاح كلما يُعْجِبُهُ البرقُ صاحًا

(١) اقرأ هذه القصيدة في مفتتح حرف الحاء المهمله من الباب الثالث من ديوان ابن المعتز (١٣٢ بيروت) والبيت في أسرار البلاغة ١٣١ و١٣٦
 (٢) في الأصل « من الرمل » خطأ ، والقصيدة من بحر المديد ، وأجزاؤه
 « فاعلاتن فاعلن فاعلاتن »

(٣) في الديوان « فخذوا عن مقلتي »

(٤) في الديوان زيادة بيت بين البيت المستشهد به والذي ذكر المؤلف أنه بعده ، وهو قوله :

في ركام ضاق بالماء ذرما حينما مالت به الريح ساحا

والبرق : واحد يروق السحاب ، أو هو ضَرْبُ ملكِ السحاب وتَحْرِيكه إليه
لينساق فترى النيران .

والشاهد فيه : الوجه الثانى ، وهو مجرد الحركة عن غيرها من الاوصاف
مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى
اليمن وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ؛ لينتج التركيب
وإلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً ، فحركة المصحف الشريف
فى انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك فى الحالتين إلى جهتين
فى كل حالة إلى جهة .

ومثله قول القلى المغربى [من الكامل] :

آيات فى وصفه
البرق والسحب

والسحبُ تلعبُ بالبروق كأنها قارِ على عجلٍ يقلبُ مصحفًا
قد قلدت بالنور أجسادَ الرِّيا حليًا وألبست الحائل مطرًا
وما أحسن قول بعضهم فى وصف البرق [من الرمل] :

عارضٌ أقبلَ فى جنح الدُّجى يتهاذى كتهادى ذى الوجى
أنلفتُ ريحُ الصبا لؤلؤهُ فانبرى يوقد عنها سُرُجًا
وكان الرعد حادى مُصْعَبٍ كلما صالَ عليه وشجا
وكانُ البرقُ كأسٌ سُكِبَتْ فى لهاه المزنُ حتى لمحا
وكانَ الجوَّ ميدانَ وغى رَفَعَتْ فيه المذاكى رَهَبًا

وما أحسن قول ابن المعتز فيه أيضا ^(١) [من الرجز] :

رأيتُ فيها برقها منذُ بدتُ كمثل طرف العين أو قلب وجب ^(٢)

(١) اقرأها فى الديوان (١٦ بيروت)

(٢) فى الديوان « لما وثب » فى مكان « منذ بدت » وفيه « أو قلب يجب »

ثم حدا بها الصبا حتى بدا فيها لى البرق كأمثال الشهب (١)
 تحسبه فيها إذا ما انصدعت أحشاؤها عنه شجاعا يضطرب (٢)
 وتارة تحسبه كأنه أبلق مال جله حين وثب (٣)
 حتى إذا ما رفع اليوم الضحي حسبه سلاسل من الذهب (٤)
 وقد ولد أبو العباس بن أبي طالب العربي من تشبيه البرق بالسلاسل توليداً
 بديعاً، فقال يصف ممدوحه ببرعة البديهة إذا كتب [من المتقارب] :

له قلم لو يجارى البروق خللت السلاسل فيه قيوداً
 وللأديب أبي حفص أحمد بن برد في السحاب والبرق [من المتقارب] :
 ويوم تفنن في طيبه وجاءت موافقته بالعجب
 نجلى الصباح به عن حياء قد أسقى وعن زهر قد شرب
 ومازلت أحسب فيه السحاب ونار بوارقه تلتهب
 بخائى توضع في سيرها وقد فزعت بسياط الذهب
 ولأبي عثمان الخالدى في مثله [من المنسرح] :

أذن من الذن لى فذاك أبى واشرب وأسق الكبير وانتخب
 أما ترى الطل وهو يلعب فى عيون نوز تدعو إلى الطرب

-
- (١) هذا البيت يروى فى الديوان :
 ثم حدث بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب
 (٢) يروى هذا البيت فى الديوان :
 إذا تمرى البرق فيها خلسته بطن شجاع فى كتيب يضطرب
 (٣) فى الديوان « وتارة تبصره »
 (٤) يروى هذا البيت فى الديوان :
 وتارة تخاله إذا بدا سلاسل مصقولة من الذهب

والصبح قد جُرِّدَتْ صَوَارِمُهُ والليل قد تم منه بالهرب
والجوُّ في حُلَّةٍ مَمْسُكَةٍ قد كَتَبَتْهَا البروقُ بالذهب
والسرى الرءاء في مثله [من المقارب] :

غَيُومٌ تَمْسُكُ أَفْقَ السَّمَاءِ وِبرقٌ يَكْتُبُهَا بِالذَّهَبِ
وله أيضاً ، وينسب للخالدی [من الوافر] :

وِبرقٌ مِثْلُ حَاشِيَتِي رِداءٍ جَدِيدٍ مُذهَّبٍ فِي يَوْمِ رِيحٍ
وللخالدی فِيهِ أَيْضاً وَأَجَادَ [من الطويل] :

أَلَا مَسَقَى وَاللَّيْلِ قَمْغَابَ نَوْرِهِ لَغِيبةِ بَدْرِ فِي الظَّلامِ غَرِيقِ
وَقَدْ فَضَحَ الظَّلامُ بَرَقَ كَأَنَّهُ فَوَادٍ مَشُوقٍ مَوْلَعٌ بِخَفُوقِ
وقد سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أَمْنَكُ سَرَى يَابِشَ رَطِيفٌ كَأَنَّهُ فَوَادٍ مَشُوقٍ مَوْلَعٌ بِخَفُوقِ
وسرقه السرى الرءاء أيضاً ، فقال من قصيدة [من البسيط] :

أَمَّا تَرَى الصَّبْحَ قَدْ قَامَتْ عَسَاكِرُهُ فِي الشَّرْقِ تَنْشُرُ أَعْلَامًا مِنَ الذَّهَبِ
وَالْجَوُّ بِخِتَالٍ فِي حُجُبٍ مَمْسُكَةٍ كَأَنَّمَا الْبَرَقُ فِيهَا قَلْبُ ذِي رُعْبِ
وما أحسن قوله فيه أيضاً [من الكامل] :

وَحَدَاتِي يَسْبِكُ وَشَى بُرُودَهَا حَتَّى تَشْبِهُهَا سَبَائِبَ عَبْقَرٍ
يَجْرَى النِّسِيمُ خِلَالَهَا فَكَأَنَّمَا غُمِسَتْ قُضُولُ رِدَائِهِ فِي غَنَبِ
بَاتَتْ قُلُوبُ الْمَحَلِّ تَخْفِقُ بَيْنَهَا بِخَفُوقِ رَايَاتِ السَّحَابِ الْمَطَرِ
مَنْ كُلِّ نَأَى الْحِجْزَيْنِ مَوْلَعٌ بِالْبَرَقِ دَانِيٍّ الظَّلْتَيْنِ مُشْرِئٍ (١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذا البيت بهامش النسخة مانعه =

تُحْدَى بِالسَّيْفِ الرُّعُودِ عِشَارُهُ
فَتُسِيرُ بَيْنَ مُعَرَّدٍ وَمَزْجَرٍ
طَارَتْ عَقِيقَةُ بَرْقِ فَكَأَنَّمَا
صَدَعَتْ نَمْسَكَ غَيْمِهِ بِمَصْفَرٍ
وَلَا بِي الْقَاسِمِ إِلَّا هِيَ فِيهِ أَيْضًا [مَنِ الْبَسِيطِ] :
الرِّيحُ تُنْصَفُ وَالْأَغْصَانُ تَمْتَنِقُ
وَالْمَرْزُ بِأَكِيَّةٍ وَالزَّهْرُ مَعْتَبِقُ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ جَفَنُ وَالْبُرُوقُ لَهُ
عَيْنٌ مِنَ الشَّمْسِ تَبْدُوهُمْ تَنْطَبِقُ
وَلِبَعْضِهِمْ [مَنِ السَّرِيعِ] :

بَرْقُ أَطَارَ الْقَلْبَ لِمَا اسْتَطَارَ
أَنَارَ جَنَحَ اللَّيْلِ لِمَا اسْتَنَارَ
ذَابَ لَجِينُ الْمَرْزِ لِمَا رَمَى
مَعْدَنَهُ مِنْهُ بِمَقْبَاسٍ نَارَ

ابن المعتز

وابن المعتز (١) : هو عبد الله بن محمد - وقيل الزبير - المعتز بالله
ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، الأمير الأديب ، صاحب النظم
البديع والنثر الفائق . أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثلعب ، ومؤدبه
أحمد بن سعيد الدمشقي . ومولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وهو
أول من صنف في صنعة الشعر ، وضع كتاب البديع ، وهو أشعر بني هاشم على
الإطلاق ، وأشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات ، وكان يقول : إذا قلت
« كَأَنَّ » ولم آت بعدها بالتشبيه ففضَّ الله تعالى (٢) .

== « قوله الظلّتين ، في بعض النسخ الظلّتين ، وفي بعضها الطلبتين ، ولعله السكيتين ،
ودنوها كناية عن ضيق ما بين الحرفقتين وتضامه ، والبيت كناية عن كون
الشعاب المشبه بالابل واسعا من جهة حسبا أشار له بقوله نائي الحزرتين متضاما
من جهة أخرى كما أشار له بقوله داني السكيتين ، فليتمأمل وليراجع » ١

(١) تجد بعض أخباره في الأغاني (٩ - ١٤٠)

(٢) هذا التعبير خطأ في العربية ، والصواب أن يقال « فضَّ الله في » بتشديد
الياء ، لأن شرط إعراب الأسماء الخمسة بالالف نصباً أن تكون إضافتها لغير
إله المتكلم

وحدث جعفر بن قدامة ، قال : كنت عند ابن المعتز يوماً ، وعنده سرية^(١) ، وكان يحبها ويهيم بها ، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع وعليها غلالة مصفرة ، وفي يدها جنابي من با كورة باقلاء ، والجنابي : لعبة للصبيان ، فقالت له : ياسيدي ، تلعب معي جنابي ؟ فالتفت إلينا ، وقال على بدبته غير متفكر ولا متوقف [من البسيط] :

فديتُ من مريمشي في مصفرة عشيّة فسقاني ثم حياني
وقال تلعبُ جنابي فقلت له من جدُّ بالوصل لم يلعب بهجران
وأمر ففنى به .

وحدث جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبه ، وكان يفتي غناء صالحاً ، وكان يدعى بنشوان ، فجدر ، فجزع عبد الله لذلك جزعا شديداً ثم عوفى ولم يؤثر الجدر في وجهه أثراً قبيحاً ، فدخلت عليه ذات يوم فقال لي : يا أبا القاسم قد عوفى فلان بعدك وخرج أحسن مما كان ، وقلت فيه بيتين ، وغنت زريب فيها رملا ظريفا فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناء ، فقلت : يتفضل الأمير - ألبه الله ! - بانشادي إياهما ، فأنشدني [من السريع] :

بي قرُّ جدر لما استوى فزاده حسناً وزالت هُموم
أظنه غنى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجوم

فقلت : أحسنت والله أيها الأمير ، فقال : لو سمعته من زريب كنت أشد استحساناً له ، وخرجت زريب فغنته لنا في طريقة الرمل غناء شربنا عليه عامة يومنا .

قال : وغضب هذا الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة ، ودخلت عليه فأنشدني فيه [من مجزوء الخفيف] :

(١) سماها في الأغاني باسمها فقال « وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها » وأظن أن اسمها « بشر » كما ورد في شعره ، وانظر (ص ٣٧ من هذا الجزء)

بأبي أنتَ قد تَمَّ دَيْتَ في الهَجْر والعَصَبِ
واضطْبارى على صَدُوْ دِكْ يوماً من العَجَبِ
ليسَ لي إنْ فَفَدْتُ وجسْمَكَ في العَيْشِ من أَرْبِ
رحمَ الله من أَعَا ن على الصِّلَحِ واحتَسَبِ

قال: فضيت إلى الغلام، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به، فرلنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه وغنتنا زرباب^(١) في هذا الشعر مراماً عجيباً.

وحدث عبد الله بن موسى الكاتب، قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقات من الصنّاع^(٢) وهو يبيذها ويبيضها، فقلت له: ما هذه الغرامة الجادة^(٣)؟ فقال: السيل الذي جاء من ليالٍ أحدث في داري ما أخرج إلى هذه الغرامة الجادة^(٣) والكلفة، فقلت^(٤) [من المتقارب]:

ألا من لنفسٍ وأخْزَناها ودار تداعَى بِمِطْطَناها^(٥)
أظْلُ نهارى في ثَمْسِها شَقِيًّا مُعْتَى يَبْنِيانها
أَسْوَدَ وجهي بَتَبْيِيسِها وأهدمُ كَيْسِي بِعُمرانها^(٦)

- (١) في الأغاني «وغنتنا هزار» وهو في بعض أصول مطبوعة بولاق.
 - (٢) في مطبوعة بولاق «طبقات من الصانع» وهو تحريف، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني.
 - (٣) في الأغاني «ما هذه الغرامة الحادثة».
 - (٤) في الأغاني «وقال» والأيات لابن المعتز، وهي في ديوانه (٢٨٤).
 - (٥) في الديوان «ودار تداعت».
 - (٦) في الديوان «لتبْيِيسها» وفيه «لعمرانها» وفي الديوان بيت بين هذا والذي قبله وهو قوله:
- ولا أحد من ذوى قربي يساعدنِي عند إتيانها

ومن هنا أخذ أبو الحسين الجزار قوله [من الطويل] :

أَكُنْتُ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلِيَّةً شُرُورًا عَلَى مَنْ لَا أَفُوزُ بِخَيْرِهِ
كَاسَوْذَ الْقَصَارِ فِي الشَّمْسِ وَجْهَهُ لِيَجْهَدَ فِي تَبْيِيضِ أَثْوَابِ غَيْرِهِ

وحدث جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ، ومعنا النعمري ،
فحضرت الصلاة ، فقام النعمري فصلى صلاة خفيفة جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته
وسجد سجدة طويلة جداً حتى استثقله جميع من حضر بسببها ، وعبد الله ينظر
متعجباً ، ثم قال [من المتقارب] :

صَلَاتُكَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا اخْتَلَسَ الْجُرْعَةُ الْوَالِغُ
وَتَسْجُدُ مِنْ بَعْدِهَا سَجْدَةً كَمَا خُتِمَ الْمَزْدُ الْفَارِغُ

وقال : كنا عند عبد الله بن المعتز يوماً ، ومعنا النعمري ، وعنده جارية لبعض
بنات المعتز تغنيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية القبح ، فجعل عبد الله
يحبسها ويتعاشق ، فلما قامت قال له النعمري : أيها الأمير ، سألتك بالله أن تسق
منه التي ما رأيت قط أقبح منها ؟ فقال وهو يضحك [من السريع] :

قَلْبِي وَثَابٌ إِلَى ذَا وَذَا لَيْسَ بَرَى شَيْئًا قِيَابَاهُ
يَهْمُ بِالْحَسَنِ كَمَا يَنْبَغِي وَيَرْحَمُ الْقَبِيحَ قِيَاهُ

وقال : كنت أشرب مع عبد الله بن المعتز في يوم من أيام الربيع بالمباسة
والدنيا كالجنة المزخرفة فقال عبد الله [من مجزوء الرمل] :

حَبْدًا آذَارُ شَهْرًا فِيهِ لِلنُّورِ انْتِشَارُ
يَنْقُصُ اللَّيْلُ إِذَا حَاسَلَ وَبَعْدُ النَّهَارُ (١)

(١) في الأغاني « ينقص الليل إذا جاء »

وعلى الأرض اصفرارٌ واخضرارٌ واحمرارٌ
فكان الرّوض ونشئ بالفت فيه التجارُ
نقشه آس ونسرين وورْدٌ وبهارُ

وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس
ابنه محمد بن عبيد الله على شرطة بغداد [من الطويل] :

فَوَحْتُ بِمَا أَضَاعَهُ دُونَ قَدْرِكُمْ وَقُلْتُ عَمَى قَدِيبٌ مِنْ نَوْمِهِ الدُّهْرُ
فَتَرَجِعُ فِينَا دَوْلَةً طَاهِرِيَّةً كَمَا بَدَأْتَ وَالْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمْرُ
عَمَى اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا بَدَأَ مَنْ يُسْرِ إِذَا مَا اتَّعَى الْعُسْرُ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبِيدُ اللَّهِ قَصِيدَةٌ مِنْهَا [من الطويل] :

وفحن لكم إن نالنا مسَّ جفوة فنأ على لأوائها الصبرُ والندُرُ
فإن رجعت من نعمة الله دولةً إلينا فنأ عندها الحمد والشكرُ
وجاء محمد بن عبيد الله المذكور بمقب هذا شاكرًا لتهنئته ، ولم يمد إليه
مئة طويلة ، فكتب إليه ابن المعتز يقول [من المنسرح] :

قد جئتنا مرة ولم تك ولم تَزُرْ بَعْدَهَا وَلَمْ تَعُدْ
لست تَرَى واجبًا بنا عِوَضًا فاطلب وجرب واستقص واجتهد
ناولني جبل وصلو بيد وهجره بجاذب له بيد
فلم يكن بين ذا وذا أمدٌ إلا كما بين ليلة وعَد

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان إلى أن قامت الدولة ووثبوا
على المقتدر وخلعوه ، وأقاموا ابن المعتز ، قال : بشرط أن لا يقتل بسبي مسلم ،
ولقبوه « المرتضى بالله » وقيل « المنصف » وقيل « الغالب » وقيل « الراضى »
فحدث المعافى بن زكريا الجري قال : لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز

دخلوا على شيخنا محمد بن جرير رحمه الله ، فقال : ما الخبر ؟ فقيل له : بوع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ فقيل : محمد بن داود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : الحسن بن المثنى ، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل : وكيف ؟ قال : سلك واحد ممن سميت متقدماً في معناه ، على الرتبة ، والدنيا مولى ، والزمان مدبر ، وما أرى هذا إلا لاضمحلال ، وما أرى لمدته طولاً .

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحول إلى دار محمد بن طاهر ، لسيك ينقل هو إلى دار الخلافة ، فأجاب ، ولم يكن بقى معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم ، فباكر الحسين بن حمدان دار الخلافة فقاتلها ، فاجتمع الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل ، ثم قال الذين عند المقتدر : يا قوم نُسَلِّمُ هذا الأمر ، ولا نجرب أنفسنا في دفع منازل بنا ، فزولوا في الزواجر ، وألبسوا جماعة منهم السلاح ، وقصدوا الحرم وبه عبد الله بن المعتز ، فلما رآهم من حوله أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب ، وخرج ابن المعتز فركب فرساً ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن ، وقد شهر سيفه وهو ينادى : معاشر العامة ادعوا لخليفكم ، وأشاروا إلى الجيش ليتبعوهم إلى سامرا ليثبتوا أمرهم ، فلم يتبعهم أحد ، فزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهري ، واخنتي الوزير ابن داود والقاضي الحسن بن المثنى ، ونهبت دورهم ، ووقع النهب والقتل في بغداد ، وقبض المقتدر على الأمراء والقضاة الذين خلعوه ، وسلمهم إلى مؤنس الخازن ، فقتلهم ، واستقام الأمر للمقتدر ، واستوزر ابن الفرات ، ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وأخذوا ابن المعتز وابن الجصاص ، فصور دار ابن الجصاص ، وحبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعد ميتاً ، ورثاه على بن محمد بن بسم بقوله [من البسيط] :

لله دَرَكٌ من مَلَكٍ بمضيعة ناهيك في العقل والآداب والحسب

حرفة الأدب

ما فيه لو، لا، ولايت تنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب
وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي [من البسيط] :

ما زلت أرى بآمالى مطالبها لم يخلق العرض منى سواه مُطْلَبٍ
إذا قصتُ لثاؤي خلت أُنْيُ قد أدركته أدركني حرفة الأدب

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فقال ابن الساعى [من البسيط] :
عفتُ التزويضَ فلا أَسْمُوه أبداً حتى لقد عفتُ نأرويه في الكتب
هجرتُ نظمي له لاً من مهاتره لكنها خيفة من حرفة الأدب
وقال ابن قلاقس [من البسيط] :

لا أقتضيك لتقديم وعدت به من عادة الغيث أن يأتي بلا طلبٍ
عيونُ جاهك عنى غير نائمة وإنما أنا أخشى حرفة الأدب

وذكرت بهذا ما أنشدنيه بعض أدباء العصر متسلية ، حين قعت
الأحوال ، وقامت الأهوال ، وهو الشهاب ابن محمود النابلسي ، رحمه الله تعالى
[من المجتث] :

عبدَ الرّحيم أضاعوا بدولة ضيئته
ما فيه لو ولايت إنما أدركته (١)

رجع إلى أخبار ابن المعتز رحمه الله .

قال بعض من كان يخدبه : إنه خرج يوماً ينتزه ومعه ندمائه ، وقصد باب
الحديد ، وبستان الناعورة ، وكان ذلك آخر أيامه ، فأخذ خزفةً ، وكتب على
الجص [من المجتث] :

(١) في الأصول « ما فيه لولا وليت وإنما » محرراً عما أثبتناه

سَقِيًّا لَظَلَّ زَمَانِي وَدَهْرِي الْحَمُودِ
وَلَّى كَلِيلَةَ وَصَلٍ قَدَامَ يَوْمِ صُدُودِ
قال : وضرب الدهر ضرباته ، ثم عُدَّتْ بعد قتله ، فوجبتُ خطه خفياً ،
ونحنه مكتوب [من المجتث] :

أَفَ لَظَلَّ زَمَانِي وَعِيشِي الْمُنْكَودِ
فَارَقْتُ أَهْلِي وَإِلَنِي وَصَاحِبِي وَدُودِي
وَمِنْ هَوَيْتُ جُفَانِي مَطَاوَعًا لِحُسُودِي
يَا رَبِّ مَوْتًا وَإِلَا فَرَاخَةً مِنْ صُدُودِ

و يقال : إنه لما سلم لمونس الخادم ليهلكه أنشد^(١) [من البسيط] :

يَا نَفْسُ صَبِرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عَقْبَاكِ خَانَتْكِ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمِنْ دُنْيَاكِ
مَرَّتْ بِنَا سَحَرًا طَيْرٌ قَفَلْتُ لَهَا : طُوبَاكِ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَوْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفَرَاتِ ابْلَغْنِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكِ
مِنْ مَوْثِقٍ بِالْمَنَايَا لَا فَكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءُ عَلَى الْفِ لِهَ بَاكِ
إِلَى أَنْ قَالَ :

أَظَنَّهُ آخَرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ الْبَاكِ
ومن ثمره الجارى مجرى الحكم والأمثال : . من تجاوز الكفاف لم يفته
الإكثار . ربما أورد الطمع ولم يصدر . من ارتحل الحرص^(٢) أضناه الطلب^(٣) .

(١) فى الديوان (٣٣٩) بيتان أولهما أول هذه الأبيات وثانيهما :
لكن هو الدهر لقياه على حفر فرب حارس نفس تحت أشراك
(٢) ارتحله : اتخذده واحله يركبها فى سيره ، والمراد من اتخذ الحرص
وسيلة إلى أغراضه

(٣) أضناه : أورثه الضنى ، يريد أتعبه

الحظ يأتي من لا يأتيه . أشقى الناس أقربهم من السلطان كما أن أقرب الأشياء
إلى النار أسرعها إلى الاحتراق . من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل
الآخرة . يكفيك للحاسد غمه بسروك .

ومن شعره ^(١) [من الطويل] :

وإني لمعدورٌ على طولِ حبها لأن لها وجهاً يدلّ على عذري
إذا ما بدتْ والبدرُ ليلةَ تيمُّ رأيتَ لها فضلاً مبيناً على البدرِ
وتهتز من تحت الشباب كأنها قضيبٌ من الریحان في الورق الخضرِ
أبي الله إلا أن أموت صباةً بساحرةِ العينين طيبةِ النشْرِ
ومنه [من السريع] :

من لي بقلبٍ صيغ من صخرةٍ في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبٍ
جرحتُ خدي به بلحظي فإني برحتُ حتى اقتص من قلبي
ومنه ، ويمزى لغيره [من المتقارب] :

تفقد مساقط لحظ المريبِ فإن العيونَ وجوه القلوبِ
وطالعُ بواذره في الكلام فإنك تجني ثمار الغيوب
ومنه [من السريع] :

سابقٌ إلى مالِكٍ ورثتهُ ما المرء في الدنيا بلبّاثٍ
كم صامتٌ تخفق أكياسهُ قد صاح في ميزان مبراثٍ
ومنه [من البسيط] :

ياطارق في الدجى والليل مُنبسطُ على البلاد بهم ثابتُ الدّعَمِ
طرقت باب غنى طابت مواردهُ ونائلاً كأنهم مال العارض السجمِ

حكم الضيوف بهذا الربع أفند من حكم الخلائف أبأى على الأسم
فكل ما فيه مبذول لطارقه ولا زمام له إلا على الحرم
ومنه قوله في القلم [من الخفيف] :

قلم ما أراه أم فلك يجسرى بما شاء قلم ويسير
راكع ساجد يقبل قرطا ساقبل البساط شكور

ومنه قول ابن طباطبا [من الكامل] :

قلم يدور بكفه فكانه فلك يدور بنحسه وسوده

وقوله فيه أيضا، وأجاد [من الكامل] :

أفست بالقلم الحسام فلم يزل يردى به حتى وينتاش الردى
وإذا رصيت فريقه أربى وإن أضمرت سخطا مع سم الأسود
فكانه فلك بكفك دائر يجرى النجوم بأحس وبأسد

وما أحسن قول الآخر فيه [من الكامل] :

قلم يفل الجيش وهو عزم والبيض ما سلت من الأغاد
وهبت له الآجام حين نشأ بها كرم السيول وصوله الآساد

وقول التهامي فيه أيضا [من الكامل] :

قلم يقلم ظفر كل ملمة ويكف كفو حوادث الأيام

وقول أبي سعيد بن بوقه [من الكامل] :

قلم يمج على العداة سماه لكنه للرعيين سماه
كم قد أسلت به لمبدك ريقة سوداء فيها نعمة بيضاء

ومحاسن ابن المعتز كثيرة، وكان قتله في ربيع الآخر سنة ست وتسعين

ومائتين، رحمه الله وسامحه !!

أيات في
وصف القلم

٨٠ - * يَقْبِي جُلُوسَ الْبَدَوِيِّ الْمَصْطَلِيَّ *

د التركيب
ن السكون

قائله المنتجب ، من أرجوزة^(١) قالها ارتجالاً في مجلسه يصف كلباً أخذ ظلياً
وحده بغير صقر ، وأولها :

ومنزَل ليسَ لنا بمنزَل ولا لغير الغَادِيَاتِ الهُطَلِ (٢)
نَدَى الخَزَامَى ذَفِرَ القَرَنُفُلُ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشٍ لَمْ يَحَالِ
عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزَلٍ مُحْبِنُ النَفْسِ بَعِيدُ المَوْتِلِ (٣)
أَغْنَاهُ حَسَنُ الجِيدِ عَنِ لِبْسِ الحَلِي وَعَادَةُ العُرَى عَنِ التَفَضُّلِ
كَأَنَّهُ مُضَنِّخٌ بَصَنْدَلٍ مِمْتَرِضٌ يَمْتَلِ قَرْنِ الأَيْلِ
يَحُولُ بَيْنَ الكَلْبِ والتَّامُلِ خَلٌّ كَلَابِي وَتَأَقُّ الأَحْبُلِ
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجٍ مُسْلَسِلٍ أَقْبَ سَاطِئِ شَرَسٍ تَمَرْدَلِ (٤)
مِنْهَا إِذَا يُنْغِ لَهُ لَا يَغْزَلُ مُؤَجَّدُ الفِقْرَةِ رَخَوِ المَفْصَلِ (٥)
لَهُ إِذَا أُدْبِرَ لِحْظُ المَقِيلِ يَدْعُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ المَسْهَلِ
* إِذَا تَلَّأَ جَاءَ المَدَى وَقَدْ تُبْلَى *

وبعد البيت ، وبعده :

(١) أقرأها في الديوان (٣-٢٠١)

- (٢) الغاديات : السحب ، والمهطل : جمع هاطلة ، وهي الكثيرة الماء .
(٣) أراد بالمراعى الطي ، والمغزل ، التي معها غزالها ، ومحبن النفس : هالك
(٤) الأشدق : الواسع الشدق ، والمسوجر : الذي في رقبته ساجور ،
والمسلل : الذي في رقبته ساسلة . والأقب : الضامر البطن ، والساطى :
الذي يسطو على الصيد .
(٥) مأخوذ من النفاة ، وهو الصباح ، ولا يغزل : لا يتلهف ولا يتحير .

بازنح تجذولة لم تجدَلِ فُتِلَ الأيادي رِبْدَاتِ الأرجلِ
 آثارها أمثالها في الجندَلِ يكادُ في الوئبِ من التفتلِ
 يجمعُ بين منتهِ والكلكلِ وبين أعلاه وبين الأسفلِ
 وهي طويلة

والإلقاء : الجلوس على الأليتين ، والمصطلى : المتدفق بالنار .

والشاهد فيه : وقوع التركيب في هيئة السكون لوجه الشبه من الهيئة
 الحاصلة من موقع كل عضو من الكلب في إقامته ، فإنه يكون لكل عضوه
 موقع خاص ، والمجموع صورة خاصة ، مؤلفة من تلك المواقع ؛ وكذلك صورة
 جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الأرض .

وفي مثل ذلك قول الأخيطل الأهوازي يصف ^(١) مصلوباً [من البسيط] : أيايت في وصف
 المصلوب

كانه عاشقٌ قد مدَّ صفحتهُ يومَ الفراقِ إلى توديعِ مرثجلِ
 أو قائمٌ من نَعاسٍ فيه لَوْتُهُ موصلٌ لتطيه من الكسلِ
 شبهه بالتمطى الموصل لتمطيه مع التعرض لسببه ، وهو اللونة والكسل ، فنظر
 إلى الجهات الثلاث ، فلطف بحسب التركيب والتفصيل ؛ بخلاف تشبيهه
 بالتمطى ، فإنه قريب التناول ، يقع في نفس الرائي للمصلوب ، لكونه
 أمراً جلياً .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف المصلوب ^(٢) بقوله [من الطويل] :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجَوِّ جِلاً يَبُوعُهُ إِذَا مَا انْقَضَى جِلاً أُتْبِحَ لَهُ جِلُّ
 يُعَانِقُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ مُودَعَاً وَدَاعَ رَجُلٍ لَا يَحِطُّ لَهُ رَجُلُ

(١) أنشدما الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (١٦٣) بدون نسبة

(٢) أنشدما الشيخ في أسرار البلاغة (١٦٤) منسويين لابن الرومي أيضاً

(٤ - مامد ٢)

ولبحترى فيه [من الكامل] :

فترأه مطرداً على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
مستشرفاً شمس منتصباً لها فى أخريات الجنع كالخرباء
ولا بن المعتز فيه [من الوافر] :

أرأيتك إلا له قرين جنع يضمك غير ضم الالتزام
كلو طي له أير طويل يفخذ للمواجر من قيام

ولا إبراهيم بن المهدي فيه [من البسيط] :

كانه شلوك كبش والمجير له تنور شافية والجنع سفود

ولا بن حمديس فيه [من الطويل] :

ومر نفع فى الجنع إذ حط قدره أساء إليه ظالم وهو محسن
كنى غرق مد الذراعين سايحاً من الجوز بجرأ عومه ليس يمكن
وتحبه من جنة الخلد دانياً يعانق حوراً لا تراهن أعين

وما أحسن قول ابن الأنبارى فى ابن بقیة (١) الوزير لما صلب من

أبيات [من الوافر] :

كان الناس حولك حين قاموا وفود يدبك أيام الصلوات
كانك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة
وقد أخذ معنى البيت الأول من قول ابن المعتز [من الطويل] :

وصلوا عليه خاشعين كأنهم وفود وقوف للسلام عليه

(١) أنشد الشيخ عبد القاهر ستة عشر بيتاً من هذه المراثية فيها هذا البيتان ، فى أسرار البلاغة (٣٠٠)

ولعمراو اطراف فيه [من الكامل] :

انظرْ إليه كأنه في وصفه مُنْظَمَ لَحْظَ السماء بطرفه
بسطَ اليدين كأنهُ يدعُو على من قد أشارَ على الأمير بحفنه

والفقيه عمارة المبنى فيه [من الوافر] :

ومدَّ على صليب الصليب منه يميناً لا تطولُ إلى شمال
ونكسرَ رأسه لعتاب قلب دَعَاهُ إلى الغواية والضلالِ

ومن العجيب أنه صلب بعد قوله هذا بقليل ، صلبه الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، فكانت هذه الكلمات كالفأل عليه ، وله في معناه أيضاً
[من الكامل] :

ورأت يداهُ عظيمَ ما جَنَنَّا ففَرَرْنَ ذى شَرِّنا وذى غَرِّنا
وأمالَ نحوَ الصدرِ منه فَنَّا ليومَ في أفعاله القلبِنا



٨١ — كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رأوها أقشعت ونجلت
شاهد للركب العقلي للنتزع من متعدد

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله (١) .

والمعنى : أبرقت الغمامة للقوم ، تخفف الجار وأوصل الفعل ، ومعنى أقشعت
ونجلت : تفرقت وانكشفت .

والشاهد فيه : المركب العقلي من وجه الشبه ، وأنه قد ينتزع من متعدد
فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر ، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول
من البيت ، فانه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه ، فان المراد تشبيه الحالة

(١) أنشده الشيخ عبد القاهر في أسرار البلاغة (٨٨ الطبعة الثالثة)

المذكورة في الآيات السابقة على هذا البيت بظهور الغاية لعموم عطاشي ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مطعم بانتهاء موئس ، لأن البيت مثل في أن يظهر للضطر إلى الشيء الشديد الحاجة إليه أمانة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجمه .

وفي معناه قول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

وشنك إذ أقبلت في عارض الغنى فاقلمت لم تذبض برى ولا خل

وقول بشار بن برد [من الطويل] :

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاعت لنا برقاً وأبطأ رشاشها

فلا غيثها يجلي فيئاس طامع ولا غيثها يأتى فرؤى عطاشها

وقوله [من الوافر] :

لمروان مواء كاذبات كما برق الحياه وما استملاً

والأصل فيه قول الأحوص [من الطويل] :

وكنت وما أملت منك كبارق لوى قطره من بعد ما كان غيماً

وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا كظيل غمامة إذا ما رجاها المستهل اضمحلت

فلاتك مفراً إذا هي أقبلت ولانك مخزناً إذا ما تولت

ولان الطراوة النحوى فى معنى البيت وقد خرجوا ليستسقوا على إنر قطع

في يوم غامت سماؤه فزال ذلك عند خروجهم [من الكامل] :

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت بحرية قين بها السح

حتى إذا اصطفتوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها نضح

كشفت الغمام إجابة لهم فكانهم خرجوا ليستصحبوا

وقد سبقه إلى ذلك أبو على الحسن التنوخى فقال [من الطويل] :

آيات في وصف
الضباب الذي
لا يجبه المرء

خرجنا لنستقى بَيْنَ دُعَائِهِ وقد كادَهُنْبُ الْعِمْ أَنْ يَلْبِسَ الْأَرْضَا
فلما بدا يدعو تَفَشَّعَتِ السَّمَاءُ فَمَا تَمَّ إِلَّا وَالْقَمَامُ قَدْ ارْفَضَا
ومنه قول بعضهم [من الكامل]:
لَمَّا بَدَا وَجْهُ السَّمَاءِ لَهُمْ مُتَجَهِّمًا لَمْ يُبْدِ أَنْوَاءُ
فَامُوا لِيَسْتَسْقُوا الْإِلَهَ لَهُمْ غَيْثًا قَلَمَ يَسْقِيهِمُ الْمَاءُ^(١)

٨٢ - فَا ن تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَانَ الْمُسْكُ بَعْضُ دَمْرِ الْفَزَالِ
البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة^(٢) من الوافر، يرثي بها والده
سيف الدولة بن حمدان، أولها:

نُعِيدُ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا النُّونُ بِلَا قِتَالِ
وَزَرْتَبْتُ السَّوَابِقَ مَقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِ
وهي طويلة، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة:

رَأَيْتُكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مَحَالِ
حكى أن المتنبي قيل له: إن الحال لا يطابق الاستقامة، ولكن القافية
أجأتك إلى ذلك، فلو فرض أنك قلت «كأنك مستقيم في اعوجاج» كيف
كنت تصنع في الثاني؟ فقال ولم يتوقف «فان البيض بعض دم الدجاج»
فاستحسن هذا من بديهته.

والشاهد فيه: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك في كل أمر
غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه، فانه أراد أن يقول: إن الممدوح

(١) كذا، وفيه أنه أثبت حرف الهلة مع وجود عامل الجزم، وله
تظاير في العربية

(٢) اقرأها في الديوان (٣-٧)

قد فاق الناس ، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابة بوجه ، بل صار أصلاً برأيه
وجنساً بمفرده ، وهذا في الظاهر كالممتنع ، لاستبعاد أن تنتهي بعض آحاد النوع
في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها ، فاحتج لهذه الدعوى
وبين إمكانية أن شبه حاله بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يمد منها
لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم ، ويسمى مثل هذا تشبيها
ضمنياً أو مكنياً عنه ، لدلالة البيت عليه ضمناً ،

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقوله [من الوافر] :

وَأَصْبَحَ ظِلٌّ يَدْرُكُ يَوْمَ صَيْدٍ طَرَائِدُهُ بِجُرْدٍ كَالسَّعَالِي
فَانْ عَبَقَتْ لَنَا بِمَنَاهُ مِسْكَ فَا نَ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

آيات في معنى
أخراجه في معنى
عن جنسه فضيلة

والشهاب ابن بنت الأعرز بقوله [من الوافر] :

وَقَالُوا بِالْعَذَارِ تَسْلُ عَنْهُ وَمَا أَنَا عَنْ غَزَالِ الْحَسَنِ سَالِي
وَإِنْ أَبَدَتْ لَنَا خَدَاهُ مِسْكَ فَا نَ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

ويشبه قول أبي الطيب المتنبي هنا في سيف الدولة قوله في عضد الدولة

[من الوافر] :

وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانٍ^(١)

ومثله قول يحيى بن بقی [من البسيط] :

هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كُلُّنَا بَشَرٌ فَلَمَنْدَلُ الرُّطْبِ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

والغزى في مثله [من المتقارب] :

فَلَا غُرُوَ إِنْ كُنْتَ بَعْضُ الْوَرَى فَإِنَّ اللَّيْلَ نَجْوَجَ بَعْضُ الْخَطْبِ

(١) في الأصل « هذا كالكلام بلا معان » محرفاً ، وما أثبتناه موافقاً لما
في الديوان (٤ - ٢٦٢) والهاء - بزة الغراب - الفاسد من الكلام

ومنه قول خاف بن عبد العزيز النحوى [من الكلل] :

ما أنت بعض الناس إلا مثل ما بعض الحصى اليقوتة الحراء

واللحصرى فيه [من الطويل] :

أبا بكر أن أصبحت بعض ملوكهم فإن الليالى بعضها ليلة القدر

ومثله قول ابن قلاق وأجاد [من الكامل] :

أنترت من آباءك الصيد الأولى ذكراً لسان الدهر نثر نثرو

كرموا فردت عليهم فكأتمهم شهر الصيام وأنت ليلة قدر

ومثله قول التهامي [من الطويل] :

لقد شرف الرحمن قدرك في الورى كما في الليالى شرفت ليلة القدر

وإن كنت من جنس البرايا وقتنهم فلمسك نثر ليس يوجد في المطر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ رحمه الله [من البسيط] :

فأقت بيوسفها الدنيا وفاح لها طيب طوى المسك من نثر لها ربح

فان يشاركه في اسم الملك طائفة فان شمس الضحى من جملة الشرج

ومثله قول عبد الصمد بن بابك [من الطويل] :

تقاسم عنك الفاخرون فأحجموا وخيل المغاني غير خيل المواكب

فان زعم الأملأك أنك منهم فخاراً فان الشمس بعض الكواكب

ومن البديع في مضاه قول ابن شرف القيرواني [من الكامل] :

سلك الورى آثار فضلك فأنثى متكلف عن مسلك مطبوع

أبناء جنسك في الحلى لافي العلأ وأقول قولاً ليس بالمذموع

أبدأ ترى البيتين يختلفان في الـسمعى ويتفقان في التقطيع

وفي مقولب معنى البيت قول الصاحب بن عباد بهجو [من الوافر] :
 أبوك أبو علي ذو اعتلاء إذا عُدَّ الكرامُ وأنتَ تحمله
 وإن أباك إذ نَمَزَى إليه لكالطاووس تنبجُ منه رجله

* * *

٨٣ - وَلَا زَرْدِيَّةَ تَزْهَوِ بِرُفْقِهَا وَسَطَّ الرِّيَاضِ عَلَى حُمْرِ الْبَوَاقِيَتِ
 كَأَنَّهَا وَضَعَفَ الْقُضْبُ تَحْمِلُهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتٍ (١)

شاهد ندرة
حضور التشبه
به في الذهن
عند حضور
تشبه

البيتان لابن الرومي يصف البنفسج ، وقبلهما :

بَنَفْسِجٌ جُمِعَتْ أَوْرَاقُهُ فُحْكِي كَحُلَا تَشْرَبُ دَمًا يَوْمَ تَشْتَبِثِ
 وهي من قصيدة من البسيط : (٢)

والشاهد فيهما : كون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه
 فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها في الذهن عند حضور
 صورة البنفسج ، فيُستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد
 فانه أراك شها لنبات غَضَّ يرفّ ، وأوراق رطبة من لُهب نار ، استولى عليه
 اليبس ، ومبنى الطبائع على أن الشيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان
 ميل النفوس إليه أكثر ، وهي بالشغف به أجدر .

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه ، وليس يمدّ لهما إلا قول النخعي
 [من البسيط] :

(١) الذي في نسخ التلخيص

كأنها فوق قلمات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

(٢) لا توجد في ديوانه المطبوع كلمة على هذا الوزن والروى

بَنَفْسُجٌ بِذِكْرِ الْمَسْكِ خُصُوصُ
مَا فِي زَمَانِكَ إِنْ وَاقَكَ تَنْفِيسُ
كَأَنَّمَا شَعْلُ الْكَبْرِ بِتَنْظَرِهِ
أَوْخَذُ أَغِيدَ بِالتَّخْيِيشِ مَقْرُوصُ
وقول الآخر [من الكامل] :

مَازَلْتُ مِنْ شَغْنِي أَلْعُ كَفَهَا
وَفَرَاغَهَا بِالْقَرَصِ وَالْآثَارِ
حَتَّى جَمَلْتُ أَدِيمَهَا وَكَأَنَّمَا
غَرِسَ الْبَنَفْسُجُ فِي ثَقَا الْجَارِ
وقد لطف ابن كَيْغَلُغْ فِي استعارة المعنى ، قَالَ [من الكامل] :

لَمَّا التَقِينَا لَوْدَاعٍ وَأَعْرَبْتُ
عِبْرَاتُنَا عَنَّا بِسَمْعِ نَاطِقِ
فَرَقَنَ بَيْنَ مَحَاجِرٍ وَمَعَاجِرٍ
وَجَمَعَ بَيْنَ بَنَفْسُجٍ وَشَقَائِقِ
واستعاره أَبُو تَمَامٍ فِي قَوْلِهِ [من الوافر] :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ التَّدَامُ
يُعِيدُ بِنَفْسِجًا وَرَدَّ الْخُذُودُ
وقوله « التَّدَام » مِمَّا أَخَذَ عَلَيْهِ بِهِ فِي جُمْلَةٍ مَا أَخَذَ .

٨٤ — وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ غُرَّتُهُ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُتَمَدَّحُ
شامد التنبيه
للقلوب

البيت لمحمد بن وهيب الحميري ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها
الأمم ، أوهما :

الْعُرْدُ إِنْ أَنْصَفَتْ مَتَضَحُ
وَشُهُودُ حَبْكٍ أَدْمَعُ سَفْحُ^(٢)

(١) اقرأ كل ما أورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة في الأغاني
(١٧ - ١٤٨ بولاق)
(٢) في الأغاني « وشهيد حبك »

وَإِذَا تَسَكَّمَتِ الْعَيُونُ عَلَى إِعْجَامِهَا فَالسُّرُّ مُفْتَضِحٌ
 فَضَحَتْ ضَمِيرُكَ عَنْ وَدَائِعِهِ إِنَّ الْجَفُونَ نَوَاطِقُ فُضْحٌ (١)
 رُبَّمَا أُبَيْتُ مُسَانِقِي قَرُّ الْحَسَنِ فِيهِ غَايِلٌ تَضِيحٌ (٢)
 نَشَرَ الْجَمَالَ عَلَى تَحَاسِنِهِ بِدَعَاً وَأَذْهَبَ هَمُّهُ الْفَرْحُ
 يَخْتَالُ فِي حُلُلِ الشَّبَابِ ، بِهِ مَرَحٌ وَدَاؤُكَ أَنَّهُ مَرِحٌ
 مَا زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَّاشِفُهُ وَيَلْعَنِي الْإِبْرَنْقُ وَالْقَدَحُ
 حَتَّى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَهُ وَنَشَأَ خِلَالَكَ سَوَادِهِ وَصَحُّ
 وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، ثُمَّ إِنَّهُ يَقُولُ فِيهَا :

نَشَرْتُ بِكَ الدُّنْيَا حَاسِنَهَا وَتَزَيَّنْتُ بِصِفَاتِكَ الْيَدْحُ
 وَكَأَنَّ مَاقِدْغَابَ عَنكَ لَهُ بِأَزَاءِ طَرْفِكَ عَارِضًا شَيْخٌ (٣)
 وَإِذَا سَلَمْتُ فَكُلُّ حَادِثَةٍ جَلَلٌ ، فَلَا بُؤْسٌ وَلَا تَرْحٌ (٤)
 وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتِ : إِيهَامٌ أَنَّ الْمَشْبَهَ بِهِ أُنْثَى مِنَ الْمَشْبَهِ (٥) ، وَيُسَمَّى التَّشْبِيهِ

(١) فِي الْآغَانِي « نَوَاطِقُ فَضْحٌ »

(٢) فِي الْأَصْلِ « مَهْمَا أُبَيْتُ » وَفِي الْآغَانِي « وَبِمَا أُبَيْتُ » وَكَلَامُهُمَا مَعْرِفٌ
 مِمَّا أُتْبِتْنَاهُ

(٣) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْأَصْلِ هَكَذَا :

وَكَأَنَّمَا مَذْغَابَ عَنكَ لَهُ بِأَزَاءِ طَرْفِكَ عَارِضٌ سَحْحٌ

وَمَا أُتْبِتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْآغَانِي

(٤) جَلَلٌ هَاهُنَا بِمَعْنَى هَيْنٌ يَسِيرٌ

(٥) الْأَصْلُ فِي كُلِّ تَشْبِيهِ أَنْ يَكُونَ الْمَشْبَهُ بِهِ أُنْثَى فِي وَجْهِ الشَّبَهِ مِنَ الْمَشْبَهِ
 وَعَلَى ذَلِكَ فَالْمِثَارَةُ غَيْرُ وَافِيَةٍ بِإِدَاءِ مَا يَرِيدُ الْمُؤَلِّفُ ، وَالَّذِي يَرِيدُهُ هُوَ أَنَّ الَّذِي
 مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ مَشْبَهًا وَهُوَ وَجْهُ الْخَلِيفَةِ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَرَادُ إِيهَامٌ أَنَّهُ أُنْثَى
 فِي وَجْهِ الشَّبَهِ مِنَ الَّذِي حَقُّهُ أَنْ يَكُونَ مَشْبَهًا بِهِ وَهُوَ الصَّبَاحُ ، فَيَعْمَدُ إِلَى قَلْبِ
 التَّشْبِيهِ بِأَنْ يَجْعَلَ الْمَشْبَهَ مَشْبَهًا بِهِ وَالْمَشْبَهَ بِهِ مَشْبَهًا

القلوب ، فانه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء ،
وفي قوله « حين يمتدح » دلالة على اتصاف المدوح بمعرفة حق المادح وتظيم
شأنه عند الحاضرين بالاصغاء إليه والارتياح له ، وعلى كونه كاملا في الكرم ،
ينصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح .

وفي معناه قول البحترى [من الطويل] :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لَصُبْحَهَا تَبَسُّمُ عَيْسَى حِينَ يَلْفُظُ بِالْوَعْدِ
وتقدم ذكر ابن وهيب في شواهد المسند^(١) .

* * *

٨٥ - تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمَدَامَتِي فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنِي تَسْكِبُ شاهد الحكم
فوالله ما أدرى أبا حجر أسبلت جفوني أم من عبرني كنت أشرب بالتشابه

البيتان لأبي إسحاق^(٢) الصابي ، من الطويل ، ورأيت في يتيمة البيت
الأول بلفظ « تورد » بدل « تشابه » .

والشاهد فيهما : ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه ، ليكون كل
واحد من الشينين مشبها ومشبها به ، احترازا من ترجيح أحد المتساويين في وجه
الشبه ، فان الشاعر لما اعتقد التساوي بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد
في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .
وفي معناه قول الصاحب بن عباد^(٣) [من الكامل] :

(١) انظر ترجمته في شرح الشاهد (رقم ٤٠ ص ٢١٥ ج ١)

(٢) انظرهما في يتيمة الدهر في ترجمة الصابي (٢ - ٢٣٣)

(٣) انظر هذين البيتين وثلاثة الأبيات بعدها في أثناء ترجمة الصاحب بن
عباد من يتيمة الدهر (٣ - ٢٣٦)

رقى الزجاجُ وراقَتِ الحُرُ وتَشَابَها فتَشاكَلُ الأمرُ^(١)
فكأنما خرُ ولا قدَحُ وكأنما قدح ولا خرُ
وقوله أيضاً من أبيات [من الكامل] :

متغابرات قد جعنَ وكأُها مُتَشاكَلُ أشباحُ أزواح
وإذا أردتَ مَصْرَحًا تفسيرا فالزَّاحُ والمِصباحُ والتفاحُ
لم يعلم السَّاقُ وقد جُعِنَ لى من أى هذى تملأُ الأفداحُ^(٢)

ومثله ما كتب به أبو الوليد بن زيدون إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية
مع تفاح أهدها إليه [من مجزوء الكامل] :

يا من تزينت السيَّا دةُ حين ألبسَ ثوبها
جاءتك جامدةُ المدا م فخذ عليها ذوبها

وهو مأخوذ من قول الخليل [من السريع] :

الراحُ تفاحُ جرى ذائبًا كذلك التفاحُ راحُ جَدُ
فاشربْ على جامده ذوبهُ ولا تدعْ لنة يوم لَغَدُ

وللسرى الرفاء فى معناه [من المنسرح] :

وقد أضاءت نجومُ مجلسنا حتى اكتسى غرَّةُ وأوضاحا
لو جدتْ راحنا اغتنت ذهبًا أودابَ تفاحنا اغتدى راحا

وطاهر العنابي فى هذا المعنى [من الطويل] :

أيا ليلةً قد بت أهرمُ بردها يجيشين من خر عتيق ومن بحر

(١) فى البيضة « ورقت الحُر » وما هنا أحسن

(٢) فى البيضة « لو يعلم الساق » وما هنا أحسن

فطوراً أظن الحز من ذوب جمرها وطوراً أظن الجمر من جَدِ الحر والصابي (١) هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني (٢). قال في حقه أبو منصور الثعالبي: هو أُوحد العراق في البلاغة، ومن به تُدنى الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له بياوغ الغاية من البراعة في الصناعة. وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل، مع ديوان الرسائل، وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، ولا بس خيره ومارس شره، ورئيس ورأس، وخُدم وخُدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تنارت درره وتكاثرت غره، وفيه يقول بعض أهل العصر [من الكامل]:

أصبحتُ مُشتاقاً حَلِيفَ صَبَابَةٍ برَسَائِلِ الصَّابِي أَبِي إِسْحَاقِ
صَوَّبُ الْبِلَاغَةِ وَالْحَلَاوَةِ وَالْحِجْبَى ذَوْبُ الْبِرَاعَةِ سَلَوَةُ الْمُشَاقِ
طَوْرًا كَمَا رَقَّ النِّسِيمُ وَتَارَةً يَجْحَى لَنَا الْأَطْوَاقُ فِي الْأَعْنَاقِ
لَا يَبْلُغُ الْبُلْغَاءُ شَأَوْ مَبْرُزٍ كَتَبَتْ بِدَائِعِهِ عَلَى الْأَحْدَاقِ
ويقول أيضاً [من الكامل]:

يَا بُؤْسَ مَنْ يُمْنَى بِدَمْعِ سَاجِمٍ يَنْهَى عَلَى حُجُبِ الْفَوَادِ الْوَاجِمِ
لَوْلَا تَعْلَاهُ بِكَأْسِ مَدَامَةٍ وَرَسَائِلِ الصَّابِي وَشِعْرِ كُشَاجِمِ

(١) للصابي ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٢ - ٢١٨ مصر) وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (١ - ٢٠ النيل بمصر)

(٢) هكذا وقع في أصول هذا الكتاب موافقا لما في يتيمة الدهر، وفي ابن خلكان «هو إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حبون» وضبط زهرون - كمادته - بفتح الزاي وسكون الهاء، وحبون بفتح الحاء المهملة وتفيد الباء الموحدة

ويحكي أن الخلفاء والملوك والوزراء راودوه^(١) كثيراً على الاسلام ، وأداروه بكل حيلة وتمنية جميلة^(٢) حتى إن السلطان بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم فلم يده الله تعالى للاسلام ، كما هداه إلى محاسن الكلام ، وكان يماشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكاير أوقع^(٣) خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن الكريم حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلبه ، وكان في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً وأرخى بالامنه في أيام استكماله ، وفي زمن اكتماله أوري زناً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر وأخذ منه الهرم ، ففي ذلك يقول من قصيدة في منها فريدة كتب بها إلى الصاحب يشكو به وحرته ويستمطر سحابه وفزنه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاه^(٤) [من الكامل] :

عجباً لحظي إذ أراه مُصالحى عَصَرَ الشَّبابَ وفي المشيب مغاضبي
أمنَ العَواني كانَ حتى خانني شيخاً وكانَ لدى الشَّيبَةِ صاحبي^(٥)
أمعَ التَّضععَ ملئني متجنباً ومع التَّرعُّعِ كانَ غيرَ مجانبِ
يأليت صَبَوته إلى تَأخَّرت حتى تكونَ ذخيرةً لعواقبي
وكان المهلبى لا يرى الدنيا إلا به ، ويحن إلى براعته^(٦) ، وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما مات المهلبى ، وأبو إسحاق

(١) في البيئمة « أرادوه » وهى أوفى

(٢) في البيئمة « جليمة » وهى أدق

(٣) في البيئمة « أرفع خدمة »

(٤) في الأصل « الأكاف » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى البيئمة

(٥) في البيئمة « حتى ملئى » وفيها « وكان على صباى مصاحبى »

(٦) فى الأصل « ويحن على » وما أثبتناه موافق لما فى البيئمة

بلى ديوان الرسائل والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل فى جملة عمال المهلبى
وأصحابه ، فن قوله فى ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يأبها الرُّؤس له دعوةٌ خادِمٍ	أَوْفَتْ رَسائلُهُ على التعديدِ
أَجْوزُ فى حِكمِ المَرْوَةِ عندكمْ	حبسى وطولُ مُهدى ووَعيدى
أَنْسَيْتُمْ كُتْباً شَحَنَتْ فُصُولَهَا	بفصول دُرٍّ عنكمْ مَنْصُودِ
ورسائلاً نَفَذَتْ إلى أطرافكمْ	عبدُ الحَمدِ بَيْنَ غَيْرِ حَمدٍ (١)
يَهْتَزُّ سامِعُهُنَّ من طَرْبٍ كما	هَزَّ النَّدِيمُ سَماعُ صُوتِ العُودِ (٢)

ومنها :

قَصَرَتْ خُطاهُ خَلَّاهُ من قِيده فتراه فيها كالفتاة الرُّودِ
يَمْشِى المَهِوَيْنِ ذِلَّةً لا عِزَّةً مَشَى الزَّيْفِ الخائِفِ المَزُودِ

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع ، وينخفض ويرتفع ، إلى
أن دُفِعَ فى أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى ، والطامة الكبرى ، إذ كان
فى صدره حزازات كثيرة من إنشاءات له عن الخليفة ، وعن (٣) بختيار قمعها
منه واحتقدها عليه . قيل : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة على أبى
إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة فى شأن
بختيار ، وهو « وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالى

(١) فى الأصل « ورسائلا نفذت » بالdal مهجلة ، وما أثبتناه موافق لما
فى البيئمة ولانسجام البيت

(٢) فى البيئمة « ضرب العود »

(٣) فى البيئمة « من إنشاءات له عن الخليفة الطائع فى شأن عز الدولة
بختيار » وهو المناسب لما يلى ذلك بثلاثة أسطر .

السواق ، التي يلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص ، أن يعرف له حق ما أكرم به منها ، ويتزحزح عن رتبة المائلة فيها « فان عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد إنكار ، ولم يشك في التعريض به ، وأسرها في نفسه ، إلى أن ملك بغداد وسائر العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتلأ أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالتاجي ، واشتغل به في منزله ، وأخذ يتأنق في تصليفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تزيينه وتشيئفه ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل إليه ، فراه في شغل شاغل من التمليق والتسويد والتبديل والتبويض ، فسأله عما يعمل من ذلك ، فقال : أباطيل أمتها ، وأكاذيب ألقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في نفسه من أبي إسحاق ، وتحرك من صفته الساكن ، وثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يلقي تحت أرجل الفيلة ، فأكب جماعة من أرباب الدولة على الأرض ، يقبلونها بين يديه ، ويشغفون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أسبابه ، واستصفاء أمواله ، فبقى في ذلك الاحتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره .

وكان صاحب ابن عباد يحبه أشد الحب ، ويتمصب له ويتمهده على بعد الدار بالنح ، والصابي بمحرمه بالمدح ، وكان صاحب يتننى أنجيازه إليه وقومه عليه ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تشرفاً وكان هو يحتمل قتل الخلة ، وسوء أثر العطة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة صاحب بعد كونه من نظرائه ونجليه بالرياسة في أيامه .

وكان صاحب كثيراً ما يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة ،

الاستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه .

فأما الترجيح بين هذين الصادين ^(١) — أعنى صاحب والصابي — فقد خاض فيه الخاضعون ، وخَبَّ فيه المحبون ، ^(٢) ومن أشف ما سمعته من ذلك أن صاحب كان يكتب كما يريد ، والصابي يكتب كما يؤمر : أى كإبراد ، وبين الحالين بَوْنٌ بعيد ، وكيف جرى الأمر فهما هما ، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما . ولنذكر نبذاً من نثره ونظمه ، لتكون كالغنوان على محاسنه .

فمن ذلك فصل له من كتاب إلى عضد الدولة في التهنئة بتحويل سنة « أسأل الله مبهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يجعل ^(٣) على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصلحات الباقيات ، والزيادات الفاعرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه ، وموفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر عنه ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً ، محمياً موفوراً ، باسطاً يده لا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه فلا يعضه إلا على لذة غصص ورقاد ، مستريحاً ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك ، فائرة قدأه فلا يجيئها إلا لحيازة مال وملك ، حق ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنية سالحة ، وتسمو له همة طامحة » .

فصل من رسالته في وصف المتصيد والصيد « وخیلنا کالأمواج المتدفقة ، والأطواد الموقفة ، متشوقة عاطية ، مستبقة جارية ^(٤) تشناق الصيد وهي لاتطمعه ، ونحن إليه كأنه قضيم تقصيمه ، وعلى أيدينا جوارح مؤلة الخالب والمناسر ،

(١) في البيضة « بين هذين الصادرين »

(٢) في الأصل « وأطلب المخلصون » وما أثبتناه موافق لما في البيضة

(٣) في الأصل « أن يجعل » وما أثبتناه موافق لما في البيضة

(٤) في الأصل « متشفقة جارية » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في البيضة

منفرة النصال والخناجر، طامحة الألباط والمناظر، بعينة المرامي والمطاح،
ذكية القلوب والنفوس، قليلة القطوب والعبوس، سبابة الأذنب، كريمة
الأنساب، صلبة الأعواد، قوية الأوصال، تزيد إذا علمت ^(١) شرها وقرمها،
وتنضغف إذا شيمت كلباً ونهما، فينا نحن سائرون، وفي الطلب يمينون، إذ
وردنا ماء زرقاً جامه، طلمية أرجاؤه، ييوج بأسراره صفائه، وتلوح في قراره
حصابؤه، وأفانين الطير به تحدة، وغوائبه عليه واقعة، متفارة الألوان
والصفات، مختلفات الأصوات واللغات، فمن صريح خلص وتهذب نوعه، ومن
مشوب تهجن أو أقرق عرقه، فلما أوفينا عليها، أرسلنا الجوارح إليها، كأنها
رسل المنايا، أو سهام القضايا، فلم نسمع إلا مسمياً، ولم نر إلا مدكياً، ثم عدنا
لشأننا دفعات، وأطلقنا مرات .

ومن فصل منها « ثم عدلنا عن مطارح الخيام، إلى مسارج الآرام، نستقرى
ملاعيبها، ونؤم مجامعها . حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلأها، راتعة
بأكلأها ^(٢)، ومعنا فهود أخطف من البروق، وألقف من الليوث، وأمكن
الثعالب، وأدب من العقارب، وأنزى من الجنادب، فخص الخصور، فب
البطون، رقص المتنون، حمر الآماق، خزر الأحداق، هرت الأشداق، عراض
الجباه، غلب الرقاب، كاشرة عن أنياب كالخراب . »

وله فصل في ذكر الأقدار « لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها، وقضايا تجري إلى
غاياتها، لا يرد شيء منها عن شأوه ومدة، ولا يُصددون مطلبه ومنجاه، فهي
كالسهام التي لا تثبت إلا في الأغراض، ولا ترجع بالاعتراض ^(٣) والناس

(١) في الأصل « تزيد إذا ألحت » محرفاً، والخيل لا تعلق اللحم وفي
البيتية « إذا علمت »

(٢) في البيتية « راتعة في أكلأها » وهي أحسن

(٣) في الأصل « ولا ترجع إلا بالاعتراض » وبديهي أن كلمة « إلا » هاهنا
تقصد المعنى غاية الفساد، وليست ثابتة في البيتية

فيها بين عطية يجيب الشكر عليها ، ورزّة يوفق بالموضع عنها .

وله من فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني (١) « ليت شمري بأى قدم
توافينا (٢) وراياتنا خاققة على رأسك ، وممالكنا عن يمينك وشمالك ، وخبيلنا
الموسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة فى طرزنا على جسدك ، وسلاحنا
المشحود لأعدائنا فى يدك » .

ومن فصل فى ذكره « هو أرق ديناً وأمانة ، وأخف فديراً ومكانه ، وأنم ذلاً
ومهانة ، وأظفر مجزاً وزمانه ، من أن تستقل به قدم فى مطاولتنا ، أو تطمنن له
ضالع على منابذتنا ، وهو فى نشوره عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه
من الظفر به كالظلامة المردودة » .

ومن ملح شعره قوله فى الغزل ، وهو فى معنى اليتيم المستشهد بهما
[من الكامل] :

جرت الدموع دماً وكأسي فى يدي شوقاً إلى من لجّ فى هجرانى
فتخالف الفعلان شارب قهوة يبكى دماً وتشابه اللوانى
فكان ما فى الجفن من كأسى جرى وكان ما فى الكأس من أجانى
وقال [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يا من هواه كل يوم يروغنى منه خطب
مر ما مرّ بى من أجلك حلواً وعذابى فى مثل حبك عذب
وقال [من البسيط] :

إن تمنى قسناك بالفضن الرطيب فقد حفنّا عليك به ظلاماً وعدواناً
الفضن أحسن ما نلقاه مكتسباً وأنت أحسن ما نلقاك عرياناً

(١) فى الأصل « سبكتكين المعزى » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٢) فى اليتيمة « بأى قدم تقدم توافينا » ولعلها أحسن .

وقال [من الوافر] :

تمرّضتُ من الهوى حتى إذا ما بدّا ما بى لا إخوانى الحضور
تكدّفتى ذنوب الاشفاق منهم ولا ذوّا بالدعاء وبالكـسـود
وقالوا للطبيب : أشر ، فائاً فعدّك اللهم من الأمور
فقال : شفاؤه الرمان مما تضمنه حشاه من السعير
قلت لهم : أصاب بغير عمد ولكن ذاك رمان الصدور
وقال [من المنسرح] :

ما أنسَ لأنسَ ليلة الأحد والبدر ضيّق وأمره يبدى
فقلتُ منه فإى بحاجته تجمع بين المدام والشهد
كان مجرى سواكه برد وريقه ذوب ذلك البرد

وقال فى شامة كافر [من الطويل] :

وشامة كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدرى عند انقضاضه
يودّ سواد العين من شغف بها لو اعتاضها مستبدلاً ببياضه

وقال [من الطويل] :

ومحزورة الاحشاء نحسب أنها منية تشكو من الحب تبرجتا
تتاجيك نجوى يسمع الأنف وحيها وتجهل الأذن السمية إذ وحي
تحرق فيها الندّ عوداً وبدأة فتأخذه جسماً وتفتنه روحاً

وقال فى غلام له أسود اسمه (١) رُشد [من الكامل] :

أبصرتُ رُشد وقد أحببته رُشدى، ولم أحفل بمن قد ينكر

(١) ذكر ابن خلكان أن اسم الغلام بمن ، ونقل ذلك عن الثعالبي فى كتاب الغلمان ، والذى فى القيمة موافق لما هنا

بالأثمي ، أعلى السواد تآومني من لونه وبه عليك المفخر
 دَعْنِي السواد وخذي بياضك ، إنني أذري بما آتني وما آتغير
 مثوى البصرة في الفؤاد سوادُه والعين بالمسود منها تبصر
 فالدين أنت مناظر فيه بذًا وكذلك في الدنيا يهدي تنظر
 بسواد دينك تستضيء ولهما أبيضًا تفشك الظلام الأكبر
 فعدا بياضك وهو ليل دامن وعدا سوادى وهو فجر أنور
 وقال فيه أيضا [من الكامل] :

قد قال رشد وهو أسود للذي بياضه يملو علو الخائن^(١)
 ما فخر خدك بالبياض وهل ترى أن قد أفدت به مزيد محاسن
 لو أن منى فيه خالاً زانه ولو أن منه في خالاً شاني

ولقد تقن الشعراء في مدح السودان وأكثروا ، فمن ذلك قول ابن الرومي آيات في مدح
 للسودان
 من قصيدة طويلة [من المنسرح] :

أكسبها الحب أنها صيغت صيغة حب القلوب والحق
 وقول ابن خناجة الأندلسي أيضا [من السريع] :

وأسود يسبح في لجة لا تكتم الحصاء غدراؤها
 كأنها في شكلها مقلّة زرقاء والأسود إنسانها
 وقول الآخر [من السريع] :

يا أسودا يسبح في بركة فقت الورى حسنا وإحسانا

(١) الآيات في ابن خلسكان ، وفيه « قد قال بمن » وكان في الأصل
 « يملو علو الخائن » محرّفاً في اليتيمة * بياضه استعمل علو مبين *

كنت لحسن الخلد خالاً وقد صرت لعين العين إنساناً
وقول شرف الدين بن عنين [من الطويل] :

وماذا عليهم أن كلفتُ بأسودٍ محلتهُ بالقلب والمين منهمُ
وقد عابني قوم بتقبيل خده وماذاك عيبٌ ، أسودُ الركنِ يَلُمُ
وما شأنه ذاك السوادُ لأنه لغير الثنايا واختلاق معلّم
وقال ابن رباح الملقب بالحجام [من البسيط] :

بالْبُةً بدوى الألباب لآعبةً في أصلِ حسنك معنى غير متفقٍ
خَلِقتُ بيضاء كالكَافور ناصعةً فصرت سوداء من مثواك في الحسق
وقال أحمد بن بكر الكاتب [من المجتث] :

يا من فؤادى فيها متبها لا يزالُ
إن كان لليل بدرُ فأنت للصبح خالُ

وقال الوزير المغربي [من مخلم البسيط] :

يارُبَّ سوداء تيمنى يَحْسُنُ في مثلها الغرامُ
كالليل تُسَنِّهُلُ المعاصى فيه ويستعقبُ الحرامُ

وقريب منه قول ابن أبي الجهم [من مخلم البسيط] :

غُصْنٌ من الآبنوس أهْدَى من مسك دَارِينِ لى نمارِ
ليلُ نعيمٍ أظْلُ فيه للطيب لا أَشْتَهَى نهارِ

وما أحسن قول بعضهم مضمناً [من الوافر] :

وسوداء الأديم إذا تَبَدَّتْ ترى ماء النعيم جرى عليه
وأها ناظرى فصَبَا إليها وشبهُ الشيء منجنب إليه

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر [من المقارب] :
 وجارية من بنات الحبش ذات جفون صحاح مراض
 تمسّتها للتصابي فشبت غراماً ولم أك بالشيب راض
 وكنت أعيرها بالسواد فصارت تميزني بالبياض
 وقد أغرب ابن دفترخوان بقوله [من السريع] :
 إن لمت ليلاً نجوم السما بيضاً على أدم مُرخى الأزاز
 وأوجب العكس مثلاً لها في الأرض فالسود نجوم النهار
 رجع إلى شعر الصابي .

قال يرى ابنه سنانا [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعة الحمراء جلّ محلّ بي عن البيضاء (١)
 يؤلم القلب كلّ قدير ولا مثل افتقار الآباء للأبناء
 كنت مني وكنت منك اتفاقاً والتشاماً ينزل الصا واللعا
 كنت لليتيم في أجل ريتي فيك للشكل في أو أن فاني (٢)
 ولئن كان من أخيك وأولا دكا ما يفض من برحاني
 فلممرى ربما هيجوا الشوق ق فزادوا في لوعتي وبكائي (٣)
 ألم فيه بقول ابن الرومي ولم يحسن إحسانه [من الطويل] :

(١) في الأصل « حل محلّ بي » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في القيمة .

(٢) في القيمة « كنت في اليم » والمراد أنه كان يرجو أن يموت قبل ابنه
 فلم يموت بصير به ابنه يتيماً ، وذلك أجل من أن يموت ابنه فيصير هو ثاكلاً
 وما في القيمة أظهر

(٣) في الأصل « ولعدري ربما هيج الشوق » محرفاً عما أثبتناه عن القيمة

وَأُنَى وَإِنْ مُنَّتْ بِأُنَى بَعْدَهُ لِذَا كَرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي تَجْدٍ
وَأَوْلَادَنَا مِثْلَ الْجَوَارِحِ أَثِمًا فَقَدْنَاهُ كَانَ الْفَاجِعَ الْبَيْنَ الْقَدِيرَ
لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ مَكَانَ أَخِيهِ مِنْ جَزْوَعٍ وَمِنْ جَلْدٍ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكُنِّي مَكَانَهُ أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا يَهْدِي

وقال الصابي مفتخرا من قصيدة [من الطويل] :

وقَدْ عَلِمَ السُّلْطَانُ أَنَّي أَمِينُهُ وَكَانَتْهُ الْكَافِي السَّيِّدُ الْمَوْفِقُ (١)
أَوَازَرَهُ فِيهَا عَرَى وَأَمَدَهُ بِرَأْيِ بَرِيهِ الشَّمْسِ وَاللَّيْلِ أَغْسِقُ
يُجَدِّدُنِي نَهْجَ الْعِلَالِ وَهُوَ دَارِسُ وَيَفْتَحُ بِي بَابَ الْهَدَى وَهُوَ مُغْلِقُ (٢)
فَيَمْنَايَ يُمْنَاهُ وَأَفْظَى لَفْظُهُ وَعَيْنِي لَهُ عَيْنٌ بِهَا الدَّهْرُ يَرْمُقُ
وَلِي قَفَرٌ تُضْحِي الْمُلُوكُ فَقِيرَةً إِلَيْهَا لَدَى أَحَدَانِهَا حِينَ تَطْرُقُ
أَرَدَ بِهَا رَأْسَ الْجَمُوحِ فَيَنْثِي وَأَجْمَلُهَا سَوَاطِ الْحُرُونِ فَيَعْنِقُ
فَإِنْ حَاولَتْ لَطْفًا فَهَاءُ مُرَوِّقُ وَإِنْ حَاولَتْ عُنفًا فَنَارُ تَالِقُ
يَسْلُمُ لِي قُسٌّ وَسُجْبَانُ وَائِلُ وَيَرْضَى جَرِيرٌ مَذْهَبِي وَالْفَرْزَقُ
فَيَغْفِي لِنَثْرَى خَاطِبٍ وَهُوَ مُصَقِّعُ وَيَعْنُو لِنَظْمِي شَاعِرٌ وَهُوَ مُغْلِقُ
مَعَالٍ لَوْ الْأَعَشَى رَأَى لَمْ يَقُلْ « وَبَاتَ عَلَى النَّارِ الْهَدَى وَالْخَلْقُ » (٣)

(١) في البيتة « أنى لسانه »

(٢) في البيتة « يجددني نهج الهدى » وفيه « ويفتح بي باب النهى »

(٣) في الأصل « مقال لو الأعشى رآه » محرفا، وما أثبتناه موافقا لما في البيتة . وعجز هذا البيت من كلام الأعشى ميمون بن قيس في الحلق وسدره من كلام الأعشى :

• تشب لمقرورين يصطليانها •

وقال في المهلبى الوزير [من الكامل] :

قل للوزير أبى محمد الذى قد أعجزت كل الورى أوصافه
لايك فى الحافل منطق يشقى الجوى ويسوغ فى أذن الأديب سلافه
فكان لفظك لؤلؤ متخّل وكأنما آذانتا أصدافه
وقال أيضا [من الوافر] :

تلوح نواجذى والكاس شربى وأشرها كأتى مستطب
وفوق السرّ لى جهر ضحوك ونحت الجهر لى سرّ كتيب
سأثبت إذ يصادمنى زمانى بركنيه كما ثبت النجيب^(١)
وأزقب ما تنجى به الليالى فى أنثائه فرج قريب
وقال أيضا فى عضد الدولة [من الكامل] :

لا تحسب الملك الذى أوتيته يفضى وإن طال الزمان إلى مدى
كالدّوح فى أفق السماء فروعه وعروقه متولّجات فى الندى
فى كل عام يستجد شبيبة فيعود ماء العرّ فيه كما بدا
حتى كأنك دائر فى حلقة فلكية فى منهاها المبتدا
وكتب إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان مع اصطرباب أهدها إليه
[من البسيط] :

أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا فى مهرجان جديد أنت مُبلّغ^(٢)
لكنّ عبك إبراهيم حين رأى علوّ قدرك عن شئ يذانب

(١) فى البيتة « سأثبت إن يصادمنى زمانى »

(٢) فى البيتة * أهدى إليك بنو الأموال واختلفوا *

لم يرضَ بالأَرْضِ مُهْدَاةً إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْعَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ
ومن لطيف شعره قوله [من الخفيف] :

دَفْتَرِي مُؤَنِّسِي وَفَكْرِي سَمِيرِي وَيَدِي خَادِمِي وَحِلْمِي ضَجِيجِي
وَلِسَانِي سَبْقِي وَبَطْنِي قَرِيبِي وَدَوَائِي غَيْثِي وَدَرْجِي رَبِيعِي (١)

ومثله قول أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

فَدَفْتَرِي رَوْضَتِي وَمَحَبَّتِي غَدِيرُ عَلِيٍّ وَصَارِمِي قَلَمِي
وَرَاغَتِي فِي قَرَارِ صَوْمَعَتِي تُعَلِّمُنِي كَيْفَ مَوْعِثَ النَّعَمِ

وقال أبو إسحاق الصابي وهو في الحبس [من الطويل] :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلرَّءِ بَدًّا مِنَ الرَّدَى فَأَسْهَلُهُ مَا جَاءَ وَالْعَيْشُ أَنْكَدُ
وَأَصْعَبُهُ مَا جَاءَهُ وَهُوَ رَاتِعٌ تَطِيفُ بِهِ اللَّذَاتُ وَالْحُظُّ مُسْعِدُ
فَإِنْ أَكَّ سَوْءَ الْعَيْشَتَيْنِ أَعْيَشُهَا فَأَنِي إِلَى خَيْرِ الْمَتَابَيْنِ أَقْصِدُ (٢)
وَسَيَّانٍ يَوْمًا شَقِيقَةً وَسَعَادَةً إِذَا كَانَ غَبًّا وَاحِدًا لَهَا الْغَدُ

وقال [من المتقارب] :

لَقَدْ أَخْلَقْتُ جِدَّتِي الْحَادِثَاتُ وَمَنْ عَاشَ فِي رَبِّهَا يَخْلُقُ
وَبَدَّلَنِي صَلَماً شَمَلاً مِنْ الشَّمْرِ الْفَاجِمِ الْأَغْنَى (٣)

-
- (١) في الأصل « ودوائى عيني » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لمسا في
اليقظة ، و « غيثى » هى التى تناسب « ربيعي »
- (٢) فى اليقظة « فان أك شر العيشتين » وما هنا أئم فى المقابلة
- (٣) فى الأصل « من الصلح الفاجم الأغسق » محرفاً ، وما أثبتناه موافق
لما فى اليقظة

وقد كنتُ أُمَرَدَ مِنْ عَارِضِي فَقَدْ صرْتُ أُمَرَدَ مِنْ مَفَرِّقِي (١)
وكتب إلى قاضي القضاة ابن معروف - وكان قد زاره في معتقه - رقعة
نسختها :

قوى دخول قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسى ، وأغرب نحسى ، ووسع
حبسى ، فدعوت الله له بما قد ارتفع إليه وسمعه ، فان لم أكن أهلاً لأن يستجاب
منى فهو أيده الله تعالى لأَن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]

دخلت حاكم حكام الزمان إلى صَنِيعَةٍ لَكَ رَهْنِ الْحَبْسِ مَمْنَحِنِ
أَخَذْتُ عَلَيْهِ خَطُوبَ جَارِ جَائِرُهَا حَتَّى تَوْفَاهُ طَوْلُ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
فَنَاشَ عَنْ كَلَامِ مِيكَ كَنَ لَهُ كَالرُّوحِ عَائِدَةٍ مِنْهُ إِلَى الْبَدَنِ
وكتب إلى بعض الرؤساء : عرفت أن سيدنا الأستاذ الجليل أطال الله بقاءه
يشكى التباثا [من الكامل] :

فَلَا اسْتَطَعْتُ أَخَذْتُ عَلَّةَ جِسْمِهِ فَقَرَنْتُهَا مِنْ بِلَّةٍ حَالِي
وَجَعَلْتُ صَحْيَ الْقِيِّ لَمْ تَصْفُ لِي صَفْوًا لَهُ مَعَ صَحَّةِ الْإِقْبَالِ
فَتَكُونُ عِنْدِي الْعَلَّتَانِ كِلَاهُمَا وَالصَّحَّتَانِ لَهُ بِغَيْرِ زَوَالِ
وقال [من المنسرح] :

عَهْدِي بِشَعْرِي وَكَلَّهْ غَزَلَ يَضْحَكُ عَنْهُ السَّرُورُ وَالْجَذَلُ
أَيَّامَ هُمٍّ أَجْبَةٌ بِهِمُ الْقَلْبُ عَنْ النَّائِبَاتِ يَشْتَغِلُ
وَالْآنَ شَعْرِي فِي كُلِّ دَاهِيَةٍ يَبْرَأُهَا فِي الضَّلُوعِ تَشْتَغِلُ
أَخْرَجُ مِنْ نَكْبَةٍ وَأَدْخُلُ فِي أُخْرَى فَنَحْسَى بَيْنَ مُتَصِلِ

(١) في اليتيمة « وقد كنت أصلع » وفيها « وقد صرت أصلع »

كَانَهَا سُنَّةً مُؤَكَّدَةً لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تُقِيمَهَا الدُّوْلُ
فَالْعِيشُ مَرٌّ كَأَنَّهُ صَبِيرٌ وَالْمَوْتُ حَلَاوُ كَأَنَّهُ عَسَلٌ
وَقَالَ يَهْجُو [مِنْ الْخَفِيفِ] :

أَيُّهَا النَّابِجُ الَّذِي يَنْصَدِي رِقْبِيحَ يَقُولُهُ لَجَوَابِي *
لَا تُؤْمَلُ أَتَى أَقُولُ لَكَ أَحْسَا لَسْتُ أُسْحَوِّهَا كُلَّ الْكَلَابِ

وَحَكَى أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ بَرْهَانَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي إِسْمَاعِيلَ الصَّابِي ، وَكَانَ
قَدْ لَحِقَهُ وَجَعُ الْفَاصِلِ ، وَقَدْ أَبْلَى ، وَالْمَجْلِسُ عِنْدَهُ حَافِلٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يَرِيَهُمْ أَنَّهُ
قَادِرٌ عَلَى الْكِتَابَةِ ، فَفَتَحَ الدُّوَاةَ لِيَكْتُبَ ، فَتَطَاوَلُوا بِالنَّظْرِ إِلَى كِتَابَتِهِ ، فَوَضَعَ
الْقَلَمَ وَقَالَ بَدِيحًا [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَجَعُ الْفَاصِلِ وَهُوَ أَيْسَرُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْأَدَى
جَعَلَ الَّذِي اسْتَحْسَنَتْهُ وَالْيَأْسَ مِنْ حَظِي كَذَا (١)
وَالْعَمْرُ مِثْلُ الْكَاسِ يَرْ سَبُّ فِي أَوَاخِرِهِ الْقَدَى
وَقَدْ أَلَمَ بِهَذَا الْمَعْنَى أَمِينُ الدُّوَلَةِ سَبْطُ التَّعَاوِينِي وَزَادَ فِيهِ فَقَالَ [مِنْ
الْمُقَارَبِ] :

فَنَ شَبَّهُ الْعَمْرَ كَأَسَا يُقَرَّ قَدَّاهُ وَيَرْسِبُ فِي أَسْفَلِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْقَدَى طَافِيًّا عَلَى صَفْحَةِ الْكَاسِ مِنْ أَوَّلِهِ

وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بْنُ الْمَشْدَقِ يَقُولُهُ [مِنْ الْخَفِيفِ] :
إِنْ تَرَفَى إِلَى الْمَعَالَى أَوَّلُ الْفَضْلِ وَسَاخَتْ تَحْتَ الثَّرَى السَّفَهَاءُ
فَحَبَابُ الْمَدَامِ يَعْلُو عَلَى الْكَأْسِ سَ مَحَلًّا وَتَرْسِبُ الْأَقْدَاءُ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَالنَّاسُ مِنْ حَظِي» مَحْرَفًا ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْيَتِيمَةِ

وما أحسن قول ابن زياد فيه أيضا [من الخفيف] :

باطراب الزمان ترتفع الأن — نزال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء راكدًا فاذا ح — رَكَ ثارت من قعره الأقداء

وقول الآخر [من البسيط] :

بادر إلى العيش فالأيام راقدةٌ ولا تكن لصروف الدهر تنتظرُ

فالعمر كالكناس يَبْدُو في أوائله صفوًا وآخره في قعره كدَرُ

ولما مات أبو إسحاق الصابي رثاه الشريف أبو الحسن الموسوي بقوله [من

الطويل] :

أعلت من حمكوا على الأعوادِ أرايت كيف خبا ضياء النادى

جبلٌ هوى لوخر في البحر اغتدى من وقعه متتابع الإزدادِ

ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى أن الثرى يعلو على الأنطوادِ

ومنها :

بعداً ليومك في الزمان فإنه أقذى العيون وقت في الأعضادِ

لا تطلبي يا نفس خيلاً بعده فلهله أعياء على السرئادِ

فقدت ملاءمة الشكول ببقده وبقيت بين تباين الأضدادِ

ما مطعم الدنيا بجلو بعده أبدأ ، وما ماء الحياة ببادى

لك في الحشا قبر وإن لم تأوهِ ومن الدُموع روائح وغواوى

سألو من الأبراد جسمك فأنثى جسمي يسيل عليك في الأبراد^(١)

(١) في الأصول «جسمي يسيل» محرفاً ، وما أثبتناه موافقاً لما في اليتيمة

ومنها :

الفضلُ ناسبَ بيننا إذ لم يكنْ شَرَفِي مناسبُهُ ولا ميلادي
 إن لم تكنْ من أسرَفِي وعشيرِي فلأنتَ أعقلهمْ يداً بفؤادي (١)
 أولاً تكنْ على الأصولِ قد وُفِّيَ عظمُ الجدودِ بسودَدِ الأجدادِ

وهي طويلة ، ورناءه بغير ذلك أيضاً ، وقال وقد ليم على رنائه له : إلى
 رثيت علمه ، وكان سنه أربعة وثمانين سنة . ومات ابنه الحسن على كفره أيضاً ،
 وابن ابنه هلال أسلم بآخرة . وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (٢)

* * *

يا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظَرَ يَكَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تُصَوِّرُ
 ٨٦ - تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْفِرُ
 اهد تشبه
 يك بالفرد

البيتان لأبي تمام الطائي ، من قصيدة (٣) من الكامل يمدح بها
 المعتض ، أولاً :

رَفَّتْ حَوَائِي الدَّهْرِ فِي تَمَرْمُرٍ وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلْيَةٍ يَتَسَكَّرُ

(١) في البيتة * فلأنت أعقلهم يدا بودادي * وهو المستقيم معنى
 (٢) كذا في أصول هذا الكتاب ، والذي في البيتة أنه « توفي يوم
 الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكانت سنه
 إحدى وتسعين سنة قمرية » وفي ابن خلكان أنه توفي سنة أربع وثمانين
 وثلثمائة ، وأن سنه كانت إحدى وسبعين سنة . وفيه نقلا عن الفهرست
 لابن النديم أن وفاته كانت قبل سنة ثمانين ، ولادته كانت سنه نيف وعشرين
 وثلثمائة

(٣) أقرأها في الديوان (١٥٦)

- بذلك مقدمة المصيف حيلةً
ولاً الذى غرس الشتاء بكفه
كم ليلة آسى البلاد بنفسه
مطر يذوب الصخر منه وبعده
غيثان فالأنواء غيث ظاهر
وندى إذا اذهنت به لم الثرى
أربيعا فى تسع عشرة حجة
ما كانت الأيام تسلب بهجة
أولا ترى الأشياء إن هي غيرت
- ويد الشتاء جديدة لانكفر (١)
قالى المصيف هشاماً لا تنذر
فيها ويوم وبله متفجر (٢)
صحو يكاد من الفضاة يقطر (٣)
لك وجهه والصحو غيث مضر
خلت السحاب أناه له وهو معذر
حقاً لوجهك للربيع الأزهر (٤)
لو أن حسن الروض كان يعمر
صمجت وحسن الأرض حين غير (٥)

وبعد البيتان ، وبعدهما :

دنيا معاش للورى حتى إذا
أضحت تصوغ بطونها لظهورها
من كل زاهرة تفرق بالندى
وهى طويلة .

حلّ الربيع فأنما هى منظر
نورا تكاد له القلوب تدور
فكأنها عين لديك تحذر

(١) فى الأصل « نزلت مقدمة المصيف » وما أثبتناه عن الديوان .
وبذلك : امتنت

(٢) فى الديوان « وبله متفجر » والمتفجر : السائل المنسكب

(٣) فى الأصل « يكاد من الفضاة يقطر » وما أثبتناه عن الديوان

(٤) فى الديوان « حقالهك للربيع الأزهر » وهى أجود عربية . واللام
فى « هلنك » هى الواقعة فى جواب القسم ، والهاء مبدلة من الهمزة ،
والأصل « لأنك » واللام فى « للربيع » هى لام الابتداء التى تتصل بخبر إن
(٥) فى الأصل « أولا ترى الشتاء » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

ومعنى « تقصيا نظريكما » آبلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه ، واجتهدا في النظر . و « تصور » أصلها تتصور تخذف إحدى التاءين .

والشاهد فيهما : تشبيه المركب بالمفرد ، فانه شبه الشمس الذي اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد ، بالليل القمر ، فالمشبه مركب ، والمشبّه به مفرد ، قيل : ولا يخلو هذا من تسامح .

٨٧- كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالَى

شاهد التشبيه
للفنوف

البيت من الطويل ، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة (١) في أول هذا الفن ، وقبلة :

كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقُوَّةٍ عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا أُطَاطِيءُ شَيْئَالِي (٢)
تَخْطُفُ خِزَانُ الْأَنْعِيمِ بِالضَّحَى وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أُوْرَالِ (٣)

(١) انظرها في الديوان (١٣٨) وارجع إلى الشاهد رقم (٧٤)

(٢) أراد بفتخاء الجناحين لقوة عقابا لبنة الجناحين سريعة الاختطاف وفي الديوان « صيود من العقاب طاطأت شمالال » والصيود : الحاذقة بالصيد وطاطأت : طامت رأسي لا تمكن من ضرب الفرس كي يسرع . والشمالال : المريعة القوية . وهي على هذه الرواية - صفه لفتخاء الجناحين ، و « شىئالى » في رواية المؤلف تبعا للجماعة من أهل اللغة أصلها « شىئالى » فأشبهت الكسرة من الشين فتولدت عنها الياء ، و « شىئالى » على هذا مفعول لأطاطي ، وهو مضاف لياء المتكلم

(٣) تخطف : أصلها تتخطف ، وخزان : جمع خرز ، وهو ذكر الأرناب ويروى « خزان الشربة » والآنعم والشربة : موضعان . وأورال : موضع أيضا

وبعد البيت ، وبعده :

فلو أن ما أَسْعَى لَأَدْفَى مَعِيَّةَ كَفَافٍ لَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
ولكنما أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وقد يَذْرُكُ الْجَدُّ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِ
وَمَا الْمَرْءُ مَادَامَتْ حُشَاةُ نَفْسِهِ يَذْرُكُ أَطْرَافَ الْخَطُوبِ وَلَا أَلَى (١)

والحشف : أردأ التمر ، والضعيف الذى لا نوى له ، أو اليباس الفاسد .

والشاهد فيه : التشبيه الملفوف ، وهو : أن يؤتى على طريق العطف أو غيره
بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها ، فهنا شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب
واليباس العتيق منها بالحشف البالى ، إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يُعْتَدُّ بها
ويقصد تشبيهها ، ولذا قال الشيخ عبد القاهر : إنه إنما يتضمن الفضيلة من حيث
اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا أن للجمع فائدة في عين التشبيه .

وذكرت بهذا البيت ماضنه الجلال ابن نباتة بجونا ، وهو [من الطويل] :
دَنَوْتُ إِلَيْهَا وَهِيَ كَالْفَرْخِ رَاقِدٌ فَوَاجَعَلْتَنِي لَمَّا دَنَوْتُ وَإِذْ لَالِي
وَقُلْتُ أَمْعَكِيهِ بِالْأَنَامِلِ فَالْتَقَى لَدَى وَكُرْهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

* * *

٨٨ — الذَّشْرَمِسْتُ ، والوجودُ دَنَا نِيرٌ ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ شاهد التشبه
للفروق

البيت لمرتش الأكبر ، من قصيدة من السريع (٢) ، قالها في مرثية عم له ،
أولها :

هل بالديار أن تحجب صَمَمٌ لو أن حياً ناطقاً كلَّمٌ

(١) في نسخة « مادامت هشاشة نفسه ،
(٢) اقرأها في المفضليات والأصعيات

الدارُ وحشٌ والرسومُ كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَمْ (١)
 ديارُ أسماءٍ التي سَلَبَتْ قَلْبِي فَعَيْنِي ماؤُها يَسْجُمُ (٢)
 أَضَحَتْ خِلاَءَ نَبْهٍ نُثِدَ نَوَّرَ فِيها زَهْرُهُ فَاعْتَمَ (٣)
 بل هل شَجَنَكَ الظُّنُّ بِاِكْرَةٍ كَأَنَّهُنَّ النُّخْلُ مِنْ مَلَمٍ

و بعده البيت ، ومنها :

لَسْنَا كأَقْوَامٍ خَلَاةٌ نَثَّ الحَدِيثَ وَنَهَكَةَ المَحْرَمِ (٤)
 إِنْ يُخْصِبُوا يَبْغُوا بِمُخْصِبِهِمْ أَوْ يُجْدِبُوا فِهِمْ بِهِ أَلَامٌ (٥)

وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الزوى ، ولا متخيرة
 اللفظ ، ولا لطيفة المعنى ، قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئاً يُستحسن إلا قوله
 « النثر مسك - البيت » .

ويستجاد منها أيضاً قوله :

ليس على طولِ الحياكِ نَدَمٌ ومن وراء المرء ما يعلَمُ

(١) في المفضليات « الدار قفر »

(٢) في الأصل « ديار سلمي » ولا يستقيم بها الوزن ، وما أثبتناه موافق
 لما في المفضليات ، والمرقش هذا كان يتغزل في أسماء ابنة عمه عوف بن مالك .
 (٣) نثد - بالياء المثلثة - أى أصابه الندى ، واعتم : كثر ، وفي المفضليات
 « نور فيها زهوه » وهو لونه من أبيض وأصفر وأحمر

(٤) في المفضليات « مطاعهم كسب الخنا » . وث الحدِيث : نقله وإذاعته
 والزيادة فيه ، ووقع في الأصل « ونكهة المحرم » وما أثبتناه موافق لما في
 المفضليات ، ونهكة المحرم : انتهاك الحرمات ، وأراد لانهجو الناس ليعطونا
 وفي الألفاظ : نث أحاديث وهتك حرم *

(٥) في المفضليات « إِنْ يُخْصِبُوا يَعِیُوا بِمُخْصِبِهِمْ »

النشر: الريح الطيبة، أو أعم، أو ريح غم المرأة وأعطافها بعد النوم.
والعَمِّ: شجر لين الأغصان يشبه بنان الجوارى. وقيل: هي أطراف الخروب^(١)
الشامى عن أبي عبيدة. وقيل: هو شجر له أغصان حمراء، وقيل: هو ثمر المَوْسَجِ
يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج.

والشاهد فيه: التشبيه المفروق، وهو: أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر
وآخر، وهو واضح في البيت.

ونظيره قول المتنبي [من الوافر]:

بَدَتْ قَرَأَ وَمَالَتْ خُوطَ بَانٍ وَفَاحَتْ عُنْبَرًا وَرَنْتَ غُرَالًا

وتبعه أبو القاسم الزاهي فقال [من الطويل]:

سَقَرْنَ بِدُورًا وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً وَمِسْنَ غُصُونًا وَالنَّفْنَ جَادِرًا

وَأُطْلَعْنَ فِي الْأَجْيَادِ بِالْدُرِّ أَنْجَمًا جَعَلْنَ لِحَبَاتِ الْقُلُوبِ ضَرَاثِرًا

ومن نسج على هذا النوال إسماعيل الشامي فإنه قال من قصيدة [من

الطويل]:

رَأَيْتُ عَلَى أَكْوَارِنَا كُلِّ مَا جِدَ بَرَى كُلِّ مَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَقْرَمًا

نَدُومٌ أَسْيَافًا وَنَعْلُو قَوَاضِيًا وَنَقَضُ عِقَابِنَا وَنَطْلُعُ أَنْجَمًا

وقال أبو الحسن الجوهري في وصف الخمر إلا أنه ثَلُثَ التشبيه [من

الطويل]:

يَقُولُونَ بِغَدَادُ الَّتِي اشْتَقَّتْ نَزْهَةً تَبَاكُرُهَا وَالْعَبَرِيُّ الْمُقْبَرَا

إِذَا فُضَّ عَنْهُ الْخُمُ فَاحَ بِنَفْسِجَا وَأَشْرَقَ مَصْبَاحًا وَنَوَّرَ عُصْفَرَا

ولبعض الشعراء في غلام مغني [من الوافر]:

(١) نص بعض أهل اللغة على أن صواب هذا اللفظ «الخرنوب»

فَدَيْتَكَ يَا أُمَّ النَّاسِ ظَرْفًا وَأَصْلَحَهُمْ لِمُتَخَذٍ حَبِيبًا
فَوَجَّهَكَ نُزْهَةَ الْأَبْصَارِ حَسَنًا وَشَدَّوكَ مُنْعَةَ الْأَسْمَاعِ طَبِيبًا
وَسَائِلَ تَسَائِلِ عَنكَ قَلْبًا لَهَا فِي وَصْفِكَ الْعَجَبِ الْعَجِيبَا
رَنَا ظَلِيًّا وَغَنَى عَنَدَلِيًّا وَلَا حَ شَقَائِقًا وَمَتْنَى قَضِيْبَا
وَلَا بِنَ الْأَثِيرِ الْجَزْرَى [من البسيط] :

مَنُوعُ الْحَسَنِ يَبْدَى مِنْ مَحَاسِنِهِ لِأَعْيُنِ النَّاسِ أَوْصَافًا وَأَشْكَالًا
فَلَا حَ بَدْرًا وَوَافَى دُمْنِيَّةً وَذَكََا مَسْكًَا وَعَلَى طَلَا وَازْوَرُ رَبَّالَا
وَاقْتَرَدْرَا وَغَنَى بَلْبَلًا وَسَطَا عَضْبًا وَمَاسَ نَقَا وَاهْتَزَّ عَسَلَا
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلُهُ أَيْضًا [من البسيط] :

إِنَّ الْتِي مَلِكْتَنِي فِي الْمَوَى مَلَكْتُ بِجَامِعِ الْحَسَنِ حَتَّى لَمْ تَدْعُ حَسَنًا
رَنَتْ غِرَالًا وَطَلَحَتْ رَوْضَةً وَبَدَتْ بِدْرًا وَمَا جَتَ غَدِيرًا وَانْقَنَتْ غُصْنًا
وَلَا بِنَ سَكْرَةَ الْمَاشِي أَيْضًا [من المنسرح] :

فِي وَجْهِ إِنْسَانَةٍ كَلِفْتُ بِهَا أَرْبَعَةً مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ
الْحَدُّ وَرَدُّ، وَالصَّدْغُ غَالِيَةً وَالرَّيْقُ خَمْرٌ، وَالتَّغْرُ مِنْ بَرْدٍ

والمرقش^(١) اسمه عمرو، وقيل: عَوْفُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، يَفْتَهَى نَسَبَهُ
لِبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ قَالَ شَرًّا فَلَظَبَ بِهِ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُتَمِيمِينَ، كَانَ يَهْوَى
ابْنَةَ عَمِّ لَهُ - وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ - وَكَانَ الْمَرْقَشُ الْأَصْفَرُ ابْنُ أَخِي^(٢)

ترجمة للمرقش
الأكبر

- (١) نجد للمرقش الأصغر ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٣)
وفي الأغانى (٥ - ١٨٩) وحكى ابن قتيبة قولاً آخر أن اسمه ربيعة بن سعد
ابن مالك . ونجد خبره مع أسماء في تزيين الأسواق (١ - ١٠٠)
(٢) وحكى ابن قتيبة قولاً آخر أن المرقش الأصغر أخو المرقش الأكبر

المرقش الأكبر ، واسمجه ربيعة وقيل عرب ، وهو عم طرفة بن العبد ، وهو أيضا أحد المتميزين ، كان يروى فاطمة نلت للوزير الملك ، ويشيب بها ، وكان للمرقشين جميعا موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب وبأس وشيخاهة ومجدة وتقدم في المشاهد ونكاية في العدو وحسن أثر .

وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بلى عوف ، وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال : لا أزوجهك إياها حتى تُعرف بالباس ، وكان يُمِدُّه فيها المواعيد الكاذبة ، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زماناً ومدحه فأجازه ، وأصاب عوقاً زماناً شديد ، فأثام رجل من مراد ، فأرغبه في المال ، فزوجه أسماء على مائة من الإبل ، ثم تنجى عن بني سعد ابن مالك ، ورجع مرقش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلا أنها ماتت ، فذهبوا كبشاً ، وأكلوا لحه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحمة ثم قبروها ، فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت ، وأنوا به موضع القبر ، فنظر إليه ، وصار بعد ذلك يتأده ويتردد إليه ويزوره ، فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وإبنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي ، أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء ، فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام - وكان قد ضنى ضنى شديداً - فسأله عن الحديث فأخبره به ويزوج المرادى أسماء ، فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من عقيل كان عشير المرقش ، فأمرها بأن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكان له وراحل ، فأمره باحضارها ليطلب المرادى ، فأحضره إليها ، فركبها ، ومضى في طلبه ، فرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروفاً . ثم اتهمها نزلاً كهفاً بأسفل نجران - وهي أرض مراد - ومع العقيلي امرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكننا معه ضرراً وجوعاً ، فجمعت الوليدة تبكي من ذلك . فقال لها زوجها : أطيعيني وإلا فأني

تلك وذاهب . قال : وكان مرقش يكتب ، كان أبوه دفعه وأخاه حرمة -
وكانا أحب ولده إليه - إلى نصراني من أهل الحيرة فملهما الخط ، فلما سمع مرقش
قول العقيل للوليدة كتب مرقش على مؤخر الرحل هذه الأبيات [من الكامل]:

يا صاحبي تلبثا لا تمجلا إن الرواح زهين أن لا تنفلا
فلعل لبثكما يفرط سينا أو يحدث الاسراع سينا متفلا (١)
يا راكبا إيا وصلت قبلن أنس بن سعد إن لقيت وحرما (٢)
لله دركما ودرأ أبسما إن أفلت المبدان حتى يقتلا (٣)
من مبلغ الأقوام أن مرقشا أضحى على الأصحاب عينا متفلا (٤)
وكانما ترد السباع بشلوا إذ غاب جمع بنى ضبيعة منهل

قال : فانطلق العقيل وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقش ،
ونظر حرمة إلى الرحل وجعل يقلبه وقرأ الأبيات ، فدعاها وخوفها ، وأمرها
أن يصدها ، فأخبراه الخبر ، فقتلها . وكان العقيل قد وصف له الموضع ، فركب
في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره وعرف أن مرقشا كان
في الكهف ، ولم يزل فيه حتى إذا هو بنعم تنزو على النار الذي هو فيه ، وأقبل

(١) في الأغاني « أو يسبق الاسراع سينا مقبلا » ويفرط : يقدم ، يزيد
لعل انتظاركما يقدم عنكما مكروها

(٢) في الأغاني « ياراكبا إنا عرضت » ومثله في الشعراء

(٣) في الأصل « أن يفلت العقيل حتى يقتلا » وليس بشيء وما أثبتناه
موافق لما في الأغاني ، وفي الشعراء « إن أفلت العقيل »

(٤) زاد صاحب المفضليات بين هذا البيت والذي بعده بيتا ، وهو قوله:

ذهب السباع بأنفه فتركه أعشى عليه بالجبال وجيلا

يعنى بالأعشى الضبعان وهو ذكر الضباع ، والجبل : أنثى الضباع

راغبها إليها ، فلما بَصُرَ به قال له : من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال له مرقش : أنا رجل من مراد . وقال له : فراعى من أنت ؟ قال : راعى فلان ، فاذا هو راعى زوج أسماء ، فقال له مرقش : أأستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جارياتها كل ليلة فأحلب لها عذرا فتأتيها بلبنها ، فقال له : خذ خاتمي هذا ، فاذا حلبت فألقه في اللبن فاتها ستعرفه وإنك مصيبٌ به خيرا لم يصبه راع قط إن أنت فمات ذلك ، فأخذ الراعى الخاتم وفعل ذلك ، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرغبة أخذته فشربه ؟ وكذلك كانت تصنع ، فخرج الخاتم كَيْبَتِهَا ، فأخذته واستنضات بالنار فرفقه ، فقالت للجارية : ماهذا الخاتم ؟ قالت : مالى به علم ، فأرسلتها إلى مولاي وهو فى شَرْفٍ بنجران^(١) فأقبل فرعاً ، فقال لها : لم دعوتنى ؟ فقالت له : ادع عبدك راعى غنمك ، فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم . فقال : وجدته مع رجل فى كهف جبان^(٢) ، وقال لى : اطرحه فى اللبن الذى تشربه أسماء فانك تصيب به خيراً ، وما أخبرنى مَنْ هو ؛ ولقد تركته بأخر رمق ، فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقش ، فاعجل الساعة فى طلبه ، فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وسارا حتى طرقاته من ليلتهما ، فاحتللاه إلى أهليهما ، فمات عند أسماء ، فدفن فى أرض مراد .

وحدث التوزى^(٣) قال : كان مساور الوراق وحداد عجرد وحفص بن أبى بردة مجتمعين على شراب ، وكان حفص مرمياً بالزندقة ، وكان أعشى أفضس

(١) فى المفضليات « وهو فى شرب بنجران » والشرب : جمع شارب
(٢) فى الأصل « خبار » وفى الأغاني « جبان » وصوابها ما أثبتناه عن

معجم البلدان وشرح المفضليات
(٣) فى المطبوعتين « التوزى »

أنصف ضيق الوجه ، فعمل خصي جيب شعر المرقن ويلصقه ، فقبل عليه
سوراً^(١) ، قال [من الطويل] :

لقد كن في عينيك يا خصي شغل^(٢) وأنف كليل للهو^(٣) عما تحب^(٤)
تتبع^(٥) خلفاً في كلام مرقن^(٦) ووجهك مبق^(٧) على العين نهم^(٨)
قد لك جرم وأنت مكنت^(٩) وعينك إطلاه فأت المرقن^(١٠)
فلم خصي من الخمس خيلاً وهجره مة .

٨٩ - منع الخبيـب وحـي كلامها كليـلى

عند تـبـ
القـوة

هو من اجنت ، ولا أعرف قائم .

والشاهد فيه : تشبيه التسمية ، وهو تمدد طرف المشبه ، وهو هنا الصمغ
والخل ، دون المشبه به ، وهو البلى .

ومنه قول أبي عبد المطراني [من الزافر] :

مُهَنِّهٌ لَهَا نَصْفٌ قَصِيفٌ كَحُرُوطِ الْبِلَازِ فِي نَصْفِ رِفَاحٍ^(١)
حَكَتْ لَوْنًا وَلِينًا وَاعْتَدَلًا وَلِحَاقًا قَاتِلًا مُعَمَّرَ الرُّمَاحِ

• • •

٩٠ - كَثَمَا يَسْمُ عَنْ لَوْلُو مُنْظَرٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاحٍ

قيت البحرى ، من قصيدة من السريـم^(٢) ، يمدح بها أبا نوح عيسى
ابن إبراهيم ، أولها :

بَلِّغْ تَدْبِيراً لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغِيدُ جُنْدُولَ مَكَلَنِ الْوِشَاحِ
كَثَمَا يَضُكُّ عَنْ لَوْلُو مُنْظَمٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاحٍ

(١) الآيت في الأغاني (١٣ - ٨٧) منسوبة إلى حماد مجرد

(٢) كذا في علقة أصول الكتاب ولله د لها نصف قضيب

(٣) اقرأها في الديوان (١ - ١١٢)

مكنا وجئت البيت في دجاء^(١) :

نَحْبُهُ نَشْرَانُ أَتَى دَجَا
بِتْ قَدِيهِ وَلَا أَرْعَى
مَرْجُ كُنْسى بِجَنَى رِيهِ
يَلْهَطُ أَوْرَدَ عَلَيْنَا وَهْ
غَضِبْتَ عَنْ بَضِ التَّكْدِثَى
سَحْرُ لَمِيونَ تَجَلَّ مَسْهَلُ لُبَى وَتَوْرِدُ الْغَدِيدِ الْمَلَحِ

والنضد : انتظم ، والبرد : حب الغله ، والأطاح : جمع أقحوان ، وهو ورد في نور .

والشاهد فيه : تمدد طرف انشبه به - وهو هنا القول والبرد والأطاح - دون انشبه ، وهو التفر

وقد جاء تشبيه التفر بخمسة في قول الحريري [من البسيط] :
يَقْرَأُ عَنْ لَوْلُو طَبِيعٍ وَعَنْ بَرْدٍ وَعَنْ أَطَاحٍ وَعَنْ طَلَعٍ وَعَنْ جَبَبٍ
ومثل البيت المستشهد به قول امرئ القيس [من المتقارب] :

كَأَنَّ أَنْدَاءَ وَصَوَّبَ الْغَلَمِ وَرِيحَ الْخَرَامِ وَشَرَّ الْعَطَرِ
• يُلَاحِظُ بِهِ بَرْدُ أَنْبِيَاهَا إِذَا عَرَدَ الْعَطَرُ الْمَسْخَرِ •

ومن محسن تمدد التشبيه قول الشاعر ابن عبدة ، في وصف أيلك أهديت إليه [من المتقارب] :

أَتَقَى بِالْأَمْسِ أَيْسَاهُ تُلُّلُ رَوْحِ الْجَنَلِ

(١) وكذلك هو في نسخ الديوان التي بين يدي

(٢) التي في الديوان « إمارة » وهي أفضل مما هنا

كَبُرْدُ الشَّبَابِ وَبَرْدُ الشَّرَابِ وَظِلُّ الْأَمَانِ وَنَيْلُ الْأَمَانِ
وَعَهْدُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الصَّبَا وَصَفْوُ الدُّنَانِ وَرَجْعُ الْقِيَانِ
وَقَوْلُ النَّمَالِي فِي الْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ [مِنْ السَّكَامِلِ] :
لَكَ فِي الْحَاسِنِ مَعْجَزَاتٌ بَجَّةٌ أَبَدًا لِنَسِيرِكَ فِي الْوَرَى لَمْ نَجْمِعْ
بِحِرَانٍ يَحْمُرُ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَهُ شِعْرُ الْوَلِيدِ وَحَسَنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِيِّ
كَالنُّورِ أَوْ كَالسَّحْرِ أَوْ كَالدَّرِّ أَوْ كَالْوَشْيِ فِي بَرْدٍ عَلَيْهِ مُوشَعٌ

* * *

٩١ — صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِي، وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَجِبْ
كَالْفَيْثِ إِنْ جَنَّتْهُ وَأَوَّاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلَتْ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ
الْبَيْتَانِ لِأَنِّي تَمَامٌ، مِنْ قَصِيدَةٍ مِنَ الْبَسِيطِ ^(١) يَمْدَحُ بِهَا الْحَسَنَ بْنَ رِجَاءَ
ابْنَ الضَّحَّاكِ، أَوَّلَهَا :

أَبَدْتُ أَمْنِي أَنْ زَانَتِي تُحْلِسَ الْقَصْبَ وَأَلَّ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى تَحَبُّبِ
سِتٍّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتْبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَقْلَمْ وَلَمْ تَجِبْ ^(٢)
يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ نَجْرَةً حَزْمًا وَعِزْمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحَقِيبِ ^(٣)
وَأَصْغَرِي أَنْ شَيْئًا لَاحَ لِي حَدَثًا وَأَكْبَرِي أُنْفِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشْبِ
وَلَا يُوَرِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَأْيِ وَالْأَدَبِ

(١) أقرأها في الديوان (١٥) وفيه أن الممدوح بها الحسن بن سهل
(٢) في الأصل « ولم تحب » بالخاء معجمة، وهو تصحيف ما أثبتناه،
و « لم تحب » بالخاء مهملة معناه لم تأثم ولم تذنب، من الحوب وهو الائتم والذنب
(٣) في نسخ الديوان التي بين يدي

* يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر *

والساع : جمع ساعة

يقول في مديحها .

ستصبح العيسُ بي والليل عند فتى كثير ذكرا الرضى في ساعة الغضب^(١)
وبعد البيتان

ومعنى « صدف » أعرضت ، ورَبَّق كل شئ : أوله وأصله ، والرواية
في ديوان أبي تمام « مروءته » بدل « مواهبه »^(٢) ، و « كان » بدل « لج » .
وذَكَرت بقوله « فان ذلك ابتسامُ الرأى والأدب » قول أبي الحسن
على بن طاهر بن منصور [من الخفيف] :

أَعْرَضْتُ حينَ أَبْصَرْتُ شَعْرَاتٍ فِي عِذَارِي كَأَثَرِ الثَّغَامِ
قُلْتُ : هَذَا بَسْمُ الدَّهْرِ ، قَالَتْ : قَدَسِمِي فِي صُدُوكِ الْإِبْتِسَامِ

والشاهد في البيتين : التشبيه الجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به ،
فانه وصف المدحوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يرض ، وكذا وصف
الغيث بأنه يصيبك جثته أو ترحات عنه ، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه ،
أعنى الافاضة في حالتي الطلب وعده ، وحالتي الاقبال عليه والاعراض عنه .

شاهد التشبيه
للفصل

٩٢ — وَتَرَاهُ فِي صَفَاءٍ وَأَدْمُعِي كَاللَّالِي

البيت من المجتث ، وهو كالبيت السابق .

والشاهد فيه : التشبيه المفضل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، وهو
هنا الصفاء .

(١) في نسخة من الديوان

* ستصبح العيس في ذا الليل عند فتى *

(٢) في نسخة من الديوان « ولم تصدف مواهبه » وفي أخرى « ولم
تصدف مودته » وفي كليهما « لج في الطلب »

شاهد تمثيل
التشبيه

٩٣ - سَحَلْتُ رُدَيْنِيَا كَانَ سَنَاةُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَمَلَّ بِدُخَانِ

البيت لأمريء القيس ، من قصيدة ^(١) من الطويل ، أولها :لَمَنْ طَلَّ أَبْصَرْتُهُ فَسَجَانِي كَخَطَ زَبُورٍ فِي عَيْبٍ يَمَائِي ^(٢)

دِيَارٍ لَهْنَدٍ وَالزَّيَابَ وَفَرَّتَنِي لِيَالِنَا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلَانِ

لِيَالِي يَدْعُونِي الصَّبَا فَاجْبِيهِ وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَائِي ^(٣)فَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوبًا فَيَارِبَ بِهِمَةِ كَشَفْتُ إِذَا مَا اسْوَدَّ وَجْهُ جُبَانِ ^(٤)وَإِنْ أَمْسَ مَكْرُوبًا فَيَارِبَ قِينَةِ مُنْعَمَةٍ أَعْمَلْتُهَا بِكِرَانِ ^(٥)لَهَا مِزْهَرٌ يعلو الخنيسَ بصوته أَجَشَّ إِذَا مَا حَرَكْتُهُ يَدَانِ ^(٦)

وهي طويلة .

والزديني : الرمح ، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة

والشاهد فيه : تفصيل التشبيه ، وهو على وجوه ، أعرفها أن يأخذ بعضاً من

الأوصاف ، ويدع بعضاً كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن

السنا وجردته .

(١) أقرأها في الديوان (١٨٦)

(٢) في الديوان

* كخط الزبور في العسيب الجاني *

والزبور : الكتاب الزبور أي المكتوب ، والمزبر ، بزنة المنبر : القلم ،

والعسيب : سعف النخل

(٣) في الديوان « يدعوني الهوى » وروائي : نواظر ، جمع رانية

(٤) الهمزة : الأمر المنهم ، أو الشجاع الذي ينهم أمره على قرنه

(٥) البكران : عود الطرب

(٦) المزهر : العود ، وعلو : يعلو ، والخنيس : الجيش اللجب ، وفي

الديوان « حركته البدان »

وذكرت بأبيات امرئ القيس هذه تضمنين أبي الحسين الأشبيلي لبعضها
وكان قد تناول من يد مَعْدُوْر الأشعار الستة ، فأول ما وقعت عينه على قصيدة
امرئ القيس هذه ، قال [من الطويل] :

وذي صَلَفٍ خَطَّ العذارُ بحدِّه كخطَّ زَبُورٍ في عسيبٍ يَمَانِي
فقلتُ له مستغفماً كُنتَ حاله لمن طللُ أبصرته فشجاني
فقالَ ولم يملك عزاءَ لنفسه تمتع من الدنيا فابك فاني
فسا كانَ إلا برهةً إذ رأيتُه ككتيسٍ ظبأ الحلبَ العدوان^(١)

٩٤ — لم تَأْتِ هذا الوجَّهَ شمسُ نهارِنا إلا بوجهٍ ليس فيه حياه
البيت للتمتني ، من قصيدة^(٢) من الكامل يمح بها هارون بن عبد العزيز
الأوراجي ، وأولها :

أمنَ ازدِياركِ في الدجى الرُّقباه إذ حيثُ كنتِ من الظلام ضياه
قلقِ الملية وهي مسك هتكها ومسيرها في الليل وهي ذكاه
أسقى على أسقى الذي دلَّهتني عن علمه فيه على خفاء
وشكيتي فقد السقام لأنه قد كانَ لما كان لي أعضاء
مُتلت عينك في حشأى جراحة فتشابهها كلتاها نجلأ
فقدتُ على السابري وربما تندق فيه الصَّعدة السراء^(٣)
أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت فاذا نطقتُ فاني الجوزاء

(١) الحلب - بزنة سكر - نبات تأكله الوحوش فتضمر عليه بطوتها ، وفي
الأصل « الحلب والعدوان » ، والعدوان : الجري .

(٢) أقرأها في الديوان (١ - ١٢)

(٣) السابري : الدرع الحصينة ، والصعدة : القناة المعتدلة

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّفْيِ فَعَاذَرْتُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ غِيَاهُ

وَمِنْهَا :

فَإِذَا سُنَّاتٌ فَلَا لَأَنَّكَ مَحْجُوجٌ وَإِذَا كُنْتُمْ وَشَتْ بِكَ الْآلَاءُ

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِنَكِيبِ رَفْعَةٍ لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءُ

وَإِذَا مَطَرَتْ فَلَا لَأَنَّكَ مُجْدِبٌ يُسْقَى الْخَصِيبُ وَتَمَطَّرَ الدُّمَاءُ

والشاهد في البيت : التصرف في التشبيه القريب المبتدل بما يجعله غريبا
ويخرجه عن الابتدال ، فان تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتدل ، لكن حدوث
الحياء عنه قد أخرجه عن الابتدال إلى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء ،
ثم إن كان قوله « لم تلق » من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكنى غير مصرح ،
وإن كان بمعنى قابله وعارضته فهو فعل يبنى عن التشبيه : أى لم تقابل ولم تعارضه
في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء .

ومثله قول الآخر ^(١) [من البسيط] :

إِنَّ السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسْتُهُ بِمَا فِيهَا

٩٥ — عَزَمَانُهُ مِثْلُ النُّجُومِ تَوَاقِبًا لَوْلَمْ يَكُنْ لِلتَّاقِبَاتِ أَقُولُ

شاهد التشبيه
للمشروط

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من قصيدة من الكامل .
والتواقب : جمع تاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم ، والأقول : الغيبة .
والشاهد فيه : كما في البيت الذي فان قبله ، تشبيه العزم بالنجم مبتدل ،
لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة ، ويسمى هذا التشبيه المشروط ، وهو

(١) البيت لأبي نواس . وذكره العكبري في شرح ديوان المتنبي . وعند
الكلام على البيت المستشهد به .

أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودى أو غدى يدل عليه بصريح
اللفظ أو سياق الكلام .

وسيتأتى ذكر الوطواط فى شواهد التفريق، إن شاء الله تعالى .

٩٦- وَالرَّيْحُ تَعَبَثُ بِالْفُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ شَاهِدُ التَّشْبِيهِ
لِلْمُؤَكَّدِ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله .

وعبث الريح بالفصون عبارة عن إمالتها إياها ، والأصيل : هو الوقت من
بعد العصر إلى الغروب ، ويوصف بالصفرة ، قال الشاعر [من الطويل] :

وَرُبَّ نَهَارٍ لِلْفَرَاقِ أَصِيلُهُ وَوَجْهِي كَلَاوُنِيهِمَا مُتَنَاسِبُ

وما أحسن قول الخطيب أبى القاسم بن معاوية فى [من الوافر] :

كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي عُيُونِهِ نُورٌ تَذْهَبُ مِنْهُ نَفْثَةُ الْأَصِيلِ

وقوله أيضاً [من الطويل] :

تَجَدُّوْلُهُ فِي سَرَحَةِ الْمَاءِ مُنْصَلٌّ وَلَكِنَّهُ فِي الْجَنَعِ عَطْفُ سِوَارِ
وَأَمَوَاجُهُ أَرْدَافُ غَيْدٍ نَوَاعِمٍ تَلْقَمُنَ بِالْأَصَالِ رَيْطُ نُصَارِ

ومثله لابن الأثير [من الطويل] :

وَنَهْرٌ كَمَا ذَابَتْ سَبَائِكُ فُضَّةٍ حَكِي بِمَحَانِيهِ انْعِطَافَ الْأَرَاقِمِ
إِذَا الشَّمْسُ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ احْمَرَّارُهُ تَبَدَّى خَضِيحاً مِثْلَ دَامِي الصَّوَامِ

ولابن قلاقس فى تشبيه الشمس وقت الأصيل [من مجزوء الكامل] :

وَالشَّمْسُ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ بَهَارَةٌ لَقَتْ بَوْرِدَ

وله أيضاً فى معنى ما سبق [من المتقارب] :

كَأَنَّ الشَّمْعَ عَلَى مِثْنِهِ فَرِنْدٌ بِصَفْحَةِ سَيْفٍ صَدَى

وَأَشْبَهَ إِذْ دَرَجَتْهُ الصَّبَا بُرَادَةَ تَبَرَّ عَلَى مِيرَدٍ
ومن بديع ما وقع لشاعر في وصف نهر جده النسيم قول ابن حمديس وقد
جلس في منزلة باشبيلية ومعه جماعة من الأدباء وقد هبت ريح لطيفة صنعت
من الماء جبكا جيلة فأنشد [من الرمل] :

* حَاكَتِ الرِّيحُ مِنَ الْمَاءِ زُرْدُ *

واستجاز الحاضرين ، فأثوا بما لم يَرْضَ ، إلى أن قال الشاعر المشهور
بالحجم مجيزاً له :

* هُوَ دِرْعٌ لِقِتَالِ لَوْ جَعَدُ *

ومن الأندلسيين من ينسب هذا البيت إلى أبي القاسم بن عباد .
ولابن حمديس المذكور مطلع قصيدة من وزن هذا البيت وقريب من معناه
وهو [من الرمل] :

نَشَرَ الْجَوُّ عَلَى التُّرْبِ بَرْدُ هَوْدَرٌ لِنُحُورِ لَوْ جَعَدُ
لَوْ لَوْ أَصْدَأَهُ السُّحْبُ الَّتِي أَتَجَزُّ الْبَارِقُ فِيهَا مَا وَعَدُ

ومن بديع ما وقع له فيها من التشبيه أيضاً قوله [من الرمل] :

وَكَاثُ الصَّبْحِ كَفٌّ حَلَّتْ مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ بِالنُّورِ عَقْدُ
وَكَاثُ الشَّمْسِ تَجْرَى ذَهَبًا طَائِرًا مِنْ جِيدِهِ فِي كُلِّ يَدِ

ومن بديع ما يذكر في معنى البيت المستشهد به قول عبد العزيز بن المنفلت
القرطبي ، أو ابن الحداد [من الكامل] :

إِنِّي أَرَى شَمْسَ الْأَصِيلِ عَلِيلَةً نَرْتَادُ مِنْ بَيْنِ الْمَفَارِبِ مَقَرَّبًا

مَالَتْ لِتَحْجُبَ شَخْصَهَا فَكَأَنَّهَا مَدَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطًا مُدْهَبًا

وما أحسن قول ابن لؤلؤة الذهبي [من الطويل] :

وما ذَهَبَتْ شمسُ الأصلِ عَشِيَةً إلى الغربِ حتى ذَهَبَتْ نِصْفَةُ النهرِ
وما أبدع قول الآخر أيضاً [من الطويل] :

ونهرٌ إذا ما الشمسُ حُلَّتْ غروبُها عليه ولاحت في ملباسها الصُّغُرُ
رَأَيْنَا القِيَّ أَبَقَتْ به من شاعها كأننا أَرْقْنَا فيه كأننا من الحرِ
وقول إبراهيم بن خلفه أيضاً [من المتقارب] :

وقد عَشِيَ النَّبْتُ بَطْحَامُ كَبِدِ الْعَدَارِ بَحْدِ أُسَيْلِ
وقد وَلَّتِ الشَّمْسُ مُحْتَنَةً إلى الغربِ تَرْفُو بِطَرْفِ كَجِيلِ
كَأَنَّ سَنَاها على نَهْرِهِ بِقَلْبِ نَجِيمِ بَيْفِ صَقِيلِ
وبديع أيضاً قول ابن سارة هنا [من الكامل] :

النهرُ قد رَفَّتْ غِلَافُهُ صفوه وعليه من صَيْغِ الأصلِ طَرَاؤُ
تَرَقَّرَقُ الأمواجُ فيه كأنها عُنْكَرُ المَصْوَرةِ نَهْرُهَا الأعْجَلُ
وما أعجب قول الحسن بن سراج فيه [من الكامل] :

عَمَرَى أَمَا حَسْبُ لَقَدْ جَنَّتِ القِيَّ عَطَفَتْ عَلَيْكَ مَلَامَةُ الْإِخْوَانِ
لَمَّا رَأَيْتُ الْيَوْمَ وَلَّى عَمْرُهُ وَاللَّيْلُ مُقْتَبِلُ الشَّبِيهِ دَائِي
وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ رَعْفَرَانًا بِالْأُبَا وَتَقَّتْ مِسْكُهَا عَلَى النِّيطَانِ
أَطْلَعْتَهَا شَمْسًا وَأَنْتَ صَبَاحُهَا وَحَقَّقْتَهَا بِكَوَاكِبِ الثُّمَانِ
وَأَتَيْتَ بِدُعَا فِي الْأَلَامِ مَخْلَقًا فَيَا قَرْنَ وَلَاتَ حِينَ قِرَانِ
وما أبدع قول عيسى بن لبون أيضاً [من البسيط] :

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُ يَا هَذَا عَشِيَّتَنَا وَالْمَزْنَ يَكْبُ أحياناً وَيَنْحَدِرُ
وَالْأَرْضُ مَصْفُورَةٌ بِالْمَزْنَ كَلْسِيَةِ أَبْصَرْتُ تَبْرًا عَلَيْهِ الدُّرُّ يَقْتَرُ
وبديع أيضاً قول أبي العلاء الممرى [من الخفيف] :

نَمْ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الْمَجَسَّرِ فَغَطَى الْمَشِيبَ بِالْزَعْفَرَانِ
 وَقَوْلُ أَسَدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَسَدٍ بْنِ بَلِيطَةَ [مِنْ السَّكَّالِ] :
 لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا عَشِيَّةً أُنْهَاهَا وَالْمِزْنَ يُبَكِّينَا بَعِيْنُ مُذْنِبِ
 وَالشَّمْسُ قَدِمَتْ أَدِيمَ شَعَاهَا فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَذْهَبِ
 خَلَّتِ الرَّؤْدُ أَذْ بَرَادَةً مِنْ فُضَّةٍ قَدْ غَرَبْتَ مِنْ فَوْقِ نَطْعٍ مِنْهَبِ
 وَلابْنُ حَمْدِيسٍ فِي وَصْفِ نَهْرٍ أَلْقَتْ الشَّمْسُ عَلَيْهِ حَمْرَهَا عِنْدَ الشَّرْقِ مِنْ
 آيَاتِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَمُشْرِقٍ كَيْمِيَاءَ الشَّمْسِ فِي يَدِهِ فُضَّةُ الْمَاءِ مِنْ إِقْلَائِهَا ذَهَبُ
 وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمُرِّي [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 يُظَلُّ بِهِ ذُوبُ اللَّجَيْنِ فَإِنْ بَدَتْ لَهُ الشَّمْسُ أُجِرَتْ فَوْقَهُ ذُوبُ عَسْجَدِ
 وَبَدِيعُ قَوْلِ الشَّرِيفِ أَبِي الْقَاسِمِ شَارِحِ مَقْصُورَةِ حَازِمٍ [مِنْ السَّكَّالِ] :
 وَغَرِيبَةُ الْإِنْشَاءِ سَرْنَا فَوْقَهَا وَالْبَحْرُ يُسْكِنُ قَارَةً وَبُجُوجُ
 عَجَبْنَا نَوْمُ بِهَا مَعَاهِدَ طَلَمًا كَرَمَتْ فَعَالِجُ الْحَسَنِ حِينَ تَبْجُوجُ
 وَابْتَدَتْ مِنْ شَمْسِ الْأَصِيلِ أَمَلْنَا نَوْرُ لَهُ مَرَايَ هُنَاكَ يَهْبِجُ
 فَكَلَّمْنَا مَاءَ الْبَحْرِ ذَائِبُ فُضَّةٍ قَدْ سَالَ فِيهِ مِنَ النُّضَارِ خَلِيجُ
 وَبَدِيعُ قَوْلِ ابْنِ الْمَطَارِ ، وَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ حَمْدِيسَ السَّابِقِ ، وَهُوَ
 [مِنْ الطَّوِيلِ] :

مَرَرْنَا بِشَاطِئِ النَّهْرِ بَيْنَ حَدَائِقِ بِهَا حَلَقُ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْفُفُ الْحَلَقُ
 وَقَدْ نَسَجَتْ كَفُّ النِّسِيمِ مَقَاضِي عَلَيْهِ وَمَا غَيْرُ الْجِبَابِ لَهَا حَلَقُ
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا [مِنْ الْخَلِيفِ] :
 هَبَّتِ الرِّيحُ بِالْعَشِيِّ لَهَا كَتُّ زَرَدًا لِلْفَدِيرِ نَاهِيكَ جَنَّةُ

فانجلى البدر بعد هذه فصاغت كفه للقتال فيه أسنة

والشاهد في البيت : حذف أداة التشبيه ، ويسمى التشبيه المؤكّد ، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب وبياض الماء وصفاته باللجين ، وهو الفضة .

ومن محاسن التشبيه من غير أداته قول الواواء الدمشقي [من البسيط] :
تشبيهات متنوعة
من غير أداة

قالوا وقد فتكت فينا لواحظها مهلاً أما لتقبل الحب من قود

وأسكت لؤلؤاً من زرجى ومقت وزدا وعصت على العذاب بالبرد

ومثله قول الحريري [من البسيط] :

سألها حين زارت نضو برقها السقاني وإيداع صمى أطيب الخبير

فزحزحت شفقاً غشى سناقر وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر

وقوله أيضاً [من البسيط] :

وأقبلت يوم جد البين في حُلّ سود تَضُّ بنان النادم التحير

فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضربت البلور بالدر

وقول الغزي الشاعر [من البسيط] :

وما نسيت وما أنسى تبسمها وملبس الجو غفل غير ذي علم

حتى إذ اطاح عنها المرط من دهن وانحل بالضم عقد السلك في الظلم

تبسمت فأضاء الجو فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

وقول أبي طالب المأموني [من الكامل] :

عزماهم قُضِبْ ، وفيض أكنهم سحب ، وفيض وجوههم أقار

وقول صرّ درّ [من البسيط] :

الباذلي العرف والأنواء باخلة والممانى الجار والأعار تُخَرَّم

حيث الدجى النقم والفجر الصوارم والأسد الفوارس والخطية الأجم

وقول محمد بن حمدون القنوع من قصيدة في شبل الدولة بن صالح لما هزم ملك الروم [من الكامل] :

لبسوا دروعاً من ظباك تقيمُ كانت عليهم للحتوف شياكا
نالت بك العربُ الغنى من مالمهم وتقاسمت أتراكك الأتركا
لو لم يقرَّ جعلت صفحة خده نعلا وقوسى حاجبيه شراكا
أردت البيت الأخير، ومنه قول أبي حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ومعسول الشائل قامَ يسعى وفي يده رحيقُ كالخريق
فأسقاني عقيقاً حَسَوْدَرٍ وتقلنى بدرٍ في عقيق

وما أبدع قول أبي الحسن العقيلي [من البسيط] :

ولالأحلى قصورٌ كلها ذهبٌ من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرُرٌ

ولنذكر هنا طرفاً من التشبيهات على اختلاف أنواعها، وغريب أسلوبها

واختراعها، فمن ذلك قول منصور بن كيفلج، وهو [من الكامل] :

عادَ الزمانُ بمن هويتُ فأعْتَبَا يا صاحبي فأسقياني واشربا

كم ليلةٍ سامرتُ فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

قامَ الغلامُ يديرها في كفه فحسبت بدر التم يحمل كوكبا

والبدر يَجْنَح للغروب كأنه قد سلَّ فوق الماء سَيْفاً مُذهَباً

وأحسن ما سمع في هذا المعنى قول التنوخي [من الكامل] :

أحسنُ بدجلة والدُّجى متصوبٌ والبدر في أفق السماء يغرب

فكانها فيه بساطٌ أزرَقُ وكأنه فيها طِرازٌ مُذهبٌ

ولأبي فراس في وصف الجئلار [من مجزوء الرجز] :

وجئلارٍ مُشرقٍ على أعالي شجرة

طرف من
التشبيهات
مختلفة الأنواع

كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ أَخْمَرُهُ وَأَصْفَرُهُ
قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي خِرْقٍ مُعَصْفَرَةٍ

ولأبي الفرج البتقاء في وصف كانون نار من أبيات ، وتُعزى إلى السرى

الرفاء [من المتقارب] :

وَذِي أَرْبَعٍ لَا يُطِيقُ التَّهْوِضَ وَلَا يَأْلَفُ السَّيْرَ فَيَمْنُ سَرَى
تَحْمَلُهُ سَبْجًا أَسْوَدًا فَيَجْلُهُ ذَهَبًا أَحْمَرًا

وله في معناه أيضا [من مجزوه الوافر] :

وَأُخْذِقْنَا بِأَزْهَرِ خَا قِطَاتِ حَوْلِهِ الْعَذَبُ
فَمَا يَنْفَكُ عَنْ سَبْجٍ يَرُدُّ كَأَنَّهُ ذَهَبُ

وله فيه أيضا [من المنسرح] :

وَالْتَهَيْتُ نَارُنَا فَتَنْظَرُهَا يُنْيِكُ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجِبٍ
إِذَا رَمَتْ بِالْشَّرَارِ وَاضْطَرَمَّتْ عَلَى ذَرَاهَا مَطَارُ اللَّهَبِ
رَأَيْتَ يَاقُوْتَةً مُشْبِكَةً تَطِيرُ مِنْهَا قُرَاضَةُ الذَّهَبِ

ولأبي محمد الخالدي في معناه [من المنسرح] :

وَمُقَعِدٍ لَا حِرَاكَ يُنْهَضُهُ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ اتَّصَبَا
مُصْفَرٌ مُحْرَقٌ تَنْفُسُهُ نَخَالُهُ الْعَيْنُ عَاشِقًا وَصَبَا
إِذَا نَظَّمْنَا فِي جِيدِهِ سَبْجًا صَبْرُهُ بِمَدِّ سَاعَةٍ ذَهَبَا

ولأبي بكر^(١) الخالدي في وصف الصباح من هذه القصيدة أيضا

طَوَى الظَّلَامُ الْبُنُودَ مُنْصَرَفًا حِينَ رَأَى الْفَجْرَ يَنْشُرُ الْعَذَابَا
وَاللَّيْلُ مِنْ فَتْكَةِ الصَّبَاحِ بِهِ كَرَاهِيٍّ شَقِ جِيْنُهُ طَرَبَا

وللسرى الرفاء في مثله [من المنسرح] :

(١) كذا ، وقد ذكره أولا بكنية « أبي محمد »

كَرَاهِي جُنَّ لِلْهَوَى طَرَبًا فَشَقَّ جِلْبَابَهُ مِنَ الطَّرَبِ
وله في معناه أيضاً [من السريع]:

وَالْفَجْرُ كَالرَّاهِبِ قَدْ مَرَّتْ مِنْ طَرَبٍ عَنْهُ الْجَلَابِيْبُ
وما أحسن قول ابن حيان الكاتب أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا الْفَحْمُ وَالزَّنَادُ وَمَا تَفْعَلُهُ النَّارُ فِيهِمَا لَهْبًا
شَيْخٌ مِنَ الزَّنَجِ شَابَ مَفْرِقُهُ عَلَيْهِ دِرْعٌ مَسْجُوجَةٌ ذَهَبًا
وقول مجير الدين بن نعيم [من الكليل]:

وَكَأَنَّمَا النَّارُ الَّتِي قَدْ أَوقَدَتْ مَا بَيْنَنَا وَلَيْسِيهَا الْمُضْغَرُّ
سَوْدَاهُ أُحْرِقَ قَلْبُهَا فَلَسَانُهَا بِسَفَاهَةِ الْحَاضِرِينَ يُكَلِّمُ
وقوله أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا نَارُنَا وَقَدْ خِدَّتْ وَجَّهَهَا بِالرَّمَادِ مَسْتَوْرٌ
دُمٌّ جَرَى مِنْ فَوَاحِشٍ ذُبِحَتْ مِنْ فَوْقِهَا رِيْشُنْ مَنْشُورٌ
وقوله أيضاً [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهَبِهَا وَالْفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يَنْطَلِبُهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَكَتْ أُنَامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ لَنْخَفِيهَا
وقول الآخر [من مخلم البسيط]:

كَأَنَّ كَانُونَتَنَا سَمَاءٌ وَالْجَرَى وَسَنْطَلُهُ نَجُومٌ
وَلَنْحَنُ جَنَّتْ بِحَافَتَيْهِ وَالشَّرَزُ الطَّائِرُ الرَّجُومُ

ولبدیع أيضاً قول ابن مكنسة [من المنسرح]:

لِمُرِيْقَتَا عَاكِفٍ عَلَى قَدَحٍ كَأَنَّهُ الْأُمُّ تَرْضِعُ الْوَلَدَا
أَوْ عَابِدٍ مِنْ بَنَى الْمَجُوسِ إِذَا تَوَهَّمُ الْكَأْسَ شَمْلَةً سَجَدَا

وفي معنى البيت الثاني قول القاضي أبي الفتح بن قادوس [من البسيط] :
 وليلة كاعْيَاضِ الجَنِّ قَصْرُهَا وصلِّ الحبيب ولم تقصُرْ عن الأمل
 وكلما رام نطقاً في مُعَاتَبِي سَدَدَتْ فاه بنظم الأثم والتبيل
 ويات بذر تسمام الحسن مُعْتَنِي والشمس في فلك الكاسات لم تقل
 فبت منها أرى النار التي سَجَدَتْ لها الجوس من الأبريق تسجد لي
 ومن بديع التشبيه وغريبه قول ابن حديس من أبيات [من الكامل] :

سَهْرَاءُ تَشْرَبُ بِالْأَنْوْفِ سِلَافَهَا لطفاً مع الأصمغ والأحداق
 بِرُجَاجَةٍ صَوْرُ الْفَوَارِسِ نَقَشَهَا قرى لها حرباً بكف الساق
 وَكَأَنَّمَا سَفَكَتْ صَوَارِمَهَا دَمًا لبست به عرفاً إلى الأهناق
 وَكَأَنَّ لِلْكَاسَاتِ مَخْرَ غَلَاثِلِي أزوارها دُرَّرَ على الأطواق
 وما أحسن قول ابن عطية أيضاً [من السريع] :

بَقْنَا نُدِيرُ الرِّاحَ فِي شَاهِقٍ ليلاً على نعمة عودين
 وَالنَّارُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي دُونَنَا مثلُ نجوم الجوِّ في المين
 فَيَا لَهُ مِنْ مَنَظَرٍ مَوْتِقٍ كأننا بينَ سماءين

وما أحسن قول الخالدي من قصيدة أولها [من الكامل] :

لَوْ أَشْرَقَتْ لَكَ شَمْسُ ذَاكَ الْهُودَجِ لَأَرَاكَ سَالَفِي غَزَالٍ أَذْهِجِ
 أَرْغَى النُّجُومُ كَأَنَّهُمَا فِي أَفْئِدَا زَهْرُ الْأَفْخَى فِي رِيَاضِ بَنْفَسِجِ
 وَالْمُسْتَرَى وَسَطَ السَّمَاءِ تَحَالَهُ وَسَنَاهُ يَنْثُلُ الرُّبُوبُ الْمَرَجِجِ
 مِسْمَارَ يَبْرِ أَصْفَرِ رَكْبَتِهِ فِي فَصِّ خَاتَمِ فِضَّةٍ فَيَرْوِجِ
 وَتَمَائِلُ الْجُوزَاءِ يَحْكِي فِي الدُّخَى مِيلَانَ شَارِبِ قَهْقَرٍ لَمْ يَمْزِجِ
 وَتَنْقَبَتْ بِخَفِيفِ عَيْنٍ أَبْيَضِ هِيَ فِيهِ بَيْنَ تَخَفٍّ وَتَبَرْجِ

كَتَنَسَ الحِمْيَاءُ فِي الْمَرَاةِ إِذْ كَلَمْتُ حَاسِنَهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ
وهذا تشبيه بدع لم يسبق إليه . ومثله قول أبي حصن بن بُرْدٍ [من
الكامل]:

وَالْبَدْرُ كَالْمَرَاةِ غَيْرَ صَقَلَهَا عَيْثُ الْغَوَا فِيهِ بِالْأَنْفَاسِ
وقول ابن طباطبا العلوي [من الوافر]:

مَتَى أَبْصَرْتُ شِمْسًا تَحْتَ غَيْمٍ تَرَى الْمَرَاةَ فِي كَفِّ الْحُسُودِ
يَقَابِلُهَا فَيَلْبِسُهَا غِشَاءً بِأَنْفَاسٍ تَزَايِدُ فِي الصُّعُودِ

وللخالد في وصف النجوم [من المنسرح]:

كَأَنَّمَا أَتَجَمُّ السَّمَاءُ لِمَنْ يَرْمُقُهَا وَالظَّلَامُ مَنْطَبِقُ
مَالٍ يُجِيلُ يَظَلُّ يَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقُ

ولأخيه أبي عثمان الخالد في وصف النجوم أيضا [من مجزوء الرجز]

وَلَيْلَةُ لَيْلَاءٍ فِي اللَّوْنِ كَلَوْنِ الْمَفْرِقِ

كَأَنَّمَا نَجْمُهَا فِي مَقَرِّ وَمَشْرِقِ

دِرَاهِمٍ مَنُورَةٍ عَلَى بَاطِلٍ أَزْزَقِ

ومن التشبيه النفيس قول ابن حمديس في وصف خضاب الشيب [من

الخفيف]:

وَكَأَنَّ الْخِضَابَ دُحْمَةُ لَيْلٍ تَحْتَهُ الشَّيْبُ غُرَّةٌ صُحْبُ

وقوله أيضا في تشبيه العذار من أبيات [من المنسرح]:

أَوْ دَبُّ الْحَسَنِ فَوْقَ عَارِضِهِ تَمَلُّ أَصَابَ الْمَادِدُ أَرْجَلَهَا

وقوله أيضا في وصف الشمعة [من السريع]:

كَأَنَّمَا رَاقِصَةٌ بَيْنَنَا لَمْ تَتَنَقَّلْ بِالرَّقْصِ مِنْهَا قَدَمٌ

قائمة في ملبسٍ أصفرٍ قد حُرِّكت منه لنا فَرْدَكُمُ

وبديع قوله أيضاً في وصف الشيب [من مِخلع البسيط] :

ولِي شَبَابِي وَرَاعَ شَيْبِي مَنَى سِرْبُ الْمَهَا وَفَضَّةُ

كَأَنَّمَا الْمُشْطُ فِي يَمِينِي يَجْرُ مِنْهُ خِيوطُ فَضَّةٍ

وللأواء الدمشقي [من الكامل] :

ولربَّ لَيْلٍ ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَكَأَنَّهُ بِكَ خَطَرَةُ الْمُنْدَكِرِ

والبدْرُ أَوَّلُ مَا بَدَأَ مِثْلَانِمَا يَبْدِي الضِّيَاءَ لَنَا بِجَدِّهِ مُسْفِرِ

فَكَأَنَّمَا هُوَ خَوْذَةُ مِنْ فَضَّةٍ قَدِ رَكِبَتْ فِي هَامَةِ مِنْ عَنَبِرِ

ولأبي طالب الرفاء في وصف أترجة مقنعة [من الرجز] :

مُصْفَرَّةُ الظَّاهِرِ يَضَاهُ الْجَشِي أُبْدَعَ فِي صَنَعِهَا رَبُّ السَّمَا

كَأَنَّمَا كَفُّهُ مُجَبِّ دَنِفٍ مَبْعَدٌ بِحَسْبِ أَيَّامِ الْجَنَفَا

ولابن لنكك البصري [من الوافر] :

وَرَوْضِ عِبْقَرِي الْوَشَى غَضِي يُشَاكِلُ حِينَ زُخْرِفَ بِالشَّقِيقِ

سَمَا زَبْرَجْدٍ خَضْرَاءَ فِيهَا نَجُومٌ طَالِيَّاتٌ مِنْ عَقِيْقِ

وللفري الكاتب في الباقلاء الأخضر [من الوافر] :

فُصُوصُ زَبْرَجْدٍ فِي غُلْفٍ دُرٍّ بَاقِيعٌ حَكَتْ تَقْلِيمَ ظُفْرِ

وَقَدْ صَاغَ الْإِلَهِ لَهَا ثِيَابًا لَهَا لَوْنَانِ مِنْ بِيضٍ وَخَضِرِ

ولعبدان الخلودى في قينة [من الطويل] :

لَنَا قَيْنَةٌ تَحْمِي مِنَ الشُّرْبِ شَرَبَنَا فَقَدْ أَمِنُوا سَكْرًا وَخَوْفَ خُحَارِ

تَكْشَرُ عَنْ أَنْيَابِهَا فِي غَنَائِهَا فَتَحْكِي حَمَارًا شَمَّ بَوْلَ حَمَارِ

وما أَلْطَفَ قول عبد الله بن النطاح في أحذب [من الكامل] :

وَصَبِيرٌ قَدْ جُمْتُ أَعْضَاؤُهُ لِيَكُونَ فِي بَابِ اخْتِلَاعِ أَطْبِئَا
 قَصُرْتُ أَخْلُصَهُ وَغَاصَ قَدَّالُهُ فَكَأَنَّهُ مَتَوَقِّعٌ أَنْ يُصَفَّقَا
 وَكَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ صَفْعَةٍ وَأَخْسَرُ ثَانِيَةً لَهَا فَجَعَلَا
 وَبَدَعَ قَوْلَ السَّرَاجِ الْحَارِ يَهْجُو امْرَأَةً سَوْدَا مَزَامِرَةً [من الكامل]:
 وَلَرْبُ زَامِرَةٍ نَهِيحٌ يَرْزُمُهَا رِيحَ الْبَطُونِ فَلَيْبَهَا لَمْ تَزْهَرْ
 شَبَّهْتُ أَعْمَلَهَا عَلَى صِرْنَانِهَا وَكَبِيحٌ مَبْسُومِهَا الشَّنِيعُ الْإِنْفَرِ
 بِخَنَافَسٍ قَضَتْ كَنِيْفًا وَاعْتَدَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى خِيَارِ الشُّبَرِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ يَهْجُو زَامِرًا أَسْوَدَ أَيْضًا [من الرجز]:

فَكَأَنَّهُمَا فِي حَالَةِ الْعِيَانِ خَنَافَسٌ دَبَّتْ عَلَى ثُعْبَانٍ
 وَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرِيِّ الْكَاتِبِ [من السريع]:

رَأَيْتُ يَجِي إِذَا قَدْ لَغَى هَاجَ بِهِ ذَكَرٌ وَدُسُوسُ
 كَأَنَّهُ كَلَبٌ عَلَى جَيْفَةٍ يَخَافُ أَنْ يَطْرُدَهُ النَّاسُ

وَقَوْلِ الْبَلْسَمِيِّ فِي دَجَلٍ لَبَسَ خِلْمَةً تَطُولُ عَلَيْهِ وَيَقْصُرُ عَنْهَا [من السريع]:

كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَأَ طَالِمًا فِي خِلْمَةٍ يَقْصُرُ عَنْ لِبْسِهَا
 جَارِيَةٌ رَعْنَاءٌ قَدْ قَدَّرَتْ ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا

وَالْطَّيْفِ قَوْلِ ابْنِ فُلَاقِ فِي عَوَادِ اسْمِهِ حَسَنٍ [من الكامل]:

حَسَنٌ مَلَاوِي عَوْدَهُ مَهْمَا تَنَاوَلَهُ مَسَاوِي
 وَكَأَنَّهُ إِنْ جَبَّهُ مِنْ بَمْدٍ تَحْرِيرِ الْمَلَاوِي
 كَلْبٌ نَجَازِبُ كَفَّهُ أَنْشُوطَةُ وَالْكَلْبُ عَاوِي

وَلَا بِي طَالِبِ الْمَأْمُونِ فِي رِمَانَةٍ تَفْتِ [من السريع]:

رِمَانَةٌ مَا زِلْتُ مَسْتَخْرَجًا فِي الْجَامِ مِنْ حَقْنِهَا جَوْهَرًا

فالجلم أرض وبناتى حياً يُمطر منها ذهباً أحراً
وللصاع بالحق الواهى وأجاد [من السريع] :

وليلة شاب بها المفرقُ بل جمّة الناظر والمنطقُ
كأنما فحمُ الفضا بيننا والنار فيه ذهبٌ محرق
أوسيج في ذهبٍ أحمر بينهما لينوفر أزرق

وللامام أبى عامر التميمي رحمه الله تعالى [من الرجز] :

يارب كؤماه خَصَبْتُ نَحْوَهَا بِعِدِيَةِ مِثْلِ الْقَضَاءِ السَّابِقِ
كأنها والدمُ حبس حَوْلَهَا سَوْمَنَةَ زُرْقَاءَ فِي شَفَاقٍ
وله في وصف الرمان [من الطويل] :

خَنُوا صَعَةَ الرُّمَانِ عَنِّي فَإِنَّ لِي لَسَاءً عَنِ الْأَوَاصِفِ غَيْرَ قَصِيرِ
حِقَاقٍ كَأَمْثَالِ الْكُرَاتِ تَضْمِنَتْ فُضُوصَ بِلَخْشٍ فِي غِشَاءِ حَرِيرِ
وله في الترجس [من الكامل] :

يَا تَرْجِسَا لِمَ تَعْدُ قَامَتُهُ سَهْمَ الزَّمَرْدُ حِينَ تَقْتَسِبُ
فِرْصَانَهُ عَظْمٌ وَقَدَّتَهُ قَطْعُ الْحَبِيبِ وَفُوتَهُ ذَهَبُ

ولأبى منصور البغوي رحمه الله تعالى [من الطويل] :

تَوَاتَتْ لَنَا مِنْ خَدِّهَا بِسُوفٍ كَالْأَحَادِيدِ مِنْ خِلَالِ سَحَابِ
وَلَقَدْ الصَّبَا صَدْعًا لَهَا فَوْقَ خَدِّهَا كَمَا رَوَّحَتْ نَارُ بَرِيشٍ غَرَابِ

ولنصر بن يسار الهروي في فحاحة معضوفة [من السكائل] :

فحاحة قد عَضَّهَا قِرْ عَمْدًا وَمَسَّكَ مَوْضِعَ الْمَضَّةِ
وَكُنْ عَضَّتُهُ مِمَّا كَمَكَ صَدْعٌ أَحَاطَ بِوَجْهِ غَضِ
وَكأنما نَوَانٍ قد كَتَبَا بِالسِّكِّ فِي كُرَّةٍ مِنَ النَّفِثَةِ

وله أيضاً [من الكامل] :

وبدا لنا بدر الدجى والليل قد
غطي الكسوف عليه إلامعة
فكأنه حسناء تحت ثيابي
وله في الترجس [من الرجز] :

ونرجس غادرنى
كطبق من فضة
ما بين محب ومحب
عليه كأس من ذهب

وما أبدع قول أسعد بن إبراهيم بليطة [من المنسرح] :

أحب بنور الأفاح نوارا
كأن ما صفر من مؤسطه
عسجده في لجينه حارا
عليل قوم أتوه زوارا
كأن مبيضة صقالبة
كانوا مجوساً فاستقبلوا فارا
كانه نفر من هويت وقد
وضعت فيه بفي دينارا

ومن بديع ما قيل فيه قول ابن عباد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

كأن شمعه من فضة حرست
خوف الوقوع بمسار من الذهب

وقول ظافر الحداد الاسكندرى أيضاً [من البسيط] :

والأفعوانة تحكى نثر غانية
تبسمت فيه من عجب ومن عجب
كشمسة من لجين في زبرجدة
قد شرفت تحت مسار من الذهب
وللسقائق بحر في جوانبها
بقية الفخم لم تسره باللهب

ومن لطيف التشبيه قول محمد بن عبد الله بن طاهر في الورد [من البسيط] :

أما ترى شجرات الورد مظهرة
منها بدائع قدر كبن في قضب
أوراقها حر أوساطها جم
صفر ومن حولها خضر من الشطب
كأن بين يواقيت ياطيف بها
زمرّد وسطه شذر من الذهب

ولأبي الحكم مالك بن المرحل يصف قصرَ الليل ، وأجَاد [من الكامل] :
وعشية سبق الصباحُ عشاءها قصرًا فما أُمِيت حتى أسفرا
مسيكة لبست حُلًى ذهبية وجلا تبسُّمها نقابًا أحمرًا
وكان شُهَبَ الرجمِ بعضُ حليها عثرت به من سرعة فنكسرا
وما أحسن قول صفوان بن إدريس من أبيات [من الكامل] :
والوردُ في شطِّ الخليج كأنه رَمَدُ أَلَمٍ بِمَقْلَةٍ زرقاء
وما أَلُفَّ قول بعضهم [من السريع] :

وشادنٍ أبصرته راكبًا في كفه جوكانه يلعب
كالبدرفوق البرق في كفه هلاله والكرة الكوكب
ومثله قول الصفي الحلي ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من الكامل] :
ملك بروضٍ فوق طرف ضاربًا كرةً بجوكان حناه ضاربًا
فكان بدرًا في سماء راكبًا برقًا يزحزح بالهلال شهابًا
ومن يدعي التشبيه قول الأستاذ علي بن الحسن بن علي بن سعد الخير في دولا ب
[من الكامل] :

لله دولا بٌ يفيضُ بسلسل في روضة قد أنبتْ أُنانا
قد طارحتهُ بها الحامِثُ شجوها فيجيئها ويرجعُ الألحانا
فكانه دَنَفٌ يدورُ بمهمدٍ يبكي ويسأل فيه عَمَّنْ بانا
ضاعت مجارى طَرَفُه عن دمه فتفتحت أضلاعه أجانا
وباب التشبيه واسع جدًا ، تضيق الطاقة عن حصرو ، وهذا القدر
كاف فيه .



شواهد الاستعاره

شاهد
الاستعارة
التحقيقية

٩٧ - لدى أشدٍ شاكي السلاح مُقْدَفٍ

قائله زهير بن أبي سلمى ، من قصيدته السابقة في شواهد الإيجاز ، وسيأتي
كاملها بعد^(١) وقبله

لعمري لنعم الحى جراً عليهم
وكان طوى كشحاً على مُسْكِنَةٍ
وقال ساقضى ما ربي ثم أتقى
فشد ولم ينظر بيوتاً كثيرة
بملايواتهم حصين بن ضضم
فلا هو أبداها ولم يتقدم^(٢)
عدوى بألف من ورأى ملجم^(٣)
لدى حيث ألفت رَحَلها أم قشعر^(٤)
وبعد البيت ، والقصيدة طويلة يقول منها أيضاً:

سمنت تكاليف الحياة ومن يعيش
رأيت المنايا خبط عشواء من يُصيب
ومها تكن عند امرئ من خليقة
وشاكي السلاح وشاكه وشاكه : حديد ، والمقْدَف : الذى يقذف به
كثيراً إلى الواقع ، أو الذى رمى باللحم رمياً .

والشاهد فيه : الاستعارة التحقيقية ، فالأسد هنا مستعار للرجل الشجاع
وهو أمر متحقق حساً .

(١) الشاهد صدر بيت ، وعجزه قوله

* له لبد أظفاره لم تقلم *

(٢) فى الأصول « على مستكنة » وفيها « ولم تتقدم » وأثبتنا ما فى
ديوان زهير ، وحكى فى شرح الديوان رواية أخرى « ولم يتجمجم »

(٣) فى الديوان « ساقضى حاجتى »

(٤) فى الديوان « فشد ولم يفزع » وحكى فى الشرح أنه يروى ولم ينظر كما هنا

(٥) فى نسخ المعلقات والديوان « ثمانين حولاً »

شاهد ادعاء
أن المشبه من
جنس المشبه به

٩٨ — قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالمها في غلام حسن قام على رأسه
يظله من الشمس^(١)، وقال ابن النجار في تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله
أبنأنا بكر بن علي التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي أواعظ
في ولده أبي العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظله فقال:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ
لَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسَ بَارِزَةً سُرْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالْخَمْسِ
ثُمَّ اسْتَعْنْتُ عَلَى الَّتِي اخْتَلَسَتْ مِنْهُ الْفَوَادِ بِآيَةِ الْكَرْمِ

وقال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابي واقفا بين يدي
عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبها
عنه، فقال للصابي: هل قلت شيئا يا إبراهيم؟ فقال:

وَقَفْتُ لِتَحْجُبَنِي عَنِ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
ظَلَلْتُ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُغَيِّبُنِي عَنِ الشَّمْسِ
فُسِّرَ بِذَلِكَ.

والشاهد فيهما: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله
في جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعمال الاستعارة في المشبه

(١) رواهما أبو منصور الشعالي في اليتيمة (٣-١٦٠) لابن العميد، وروى
الثاني هكذا:

فأقول: وإعجبها، ومن عجب شمس تظللني من الشمس
(٨ — معجم)

استملا فيها وضعت له، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمسا لما كان لهذا التعجب معنى، إذ لا تعجب في أن إنسانا حسنا يظلل إنسانا آخر.
 وقريب من معنى البيتين ما حكى أن سياء التركي غلام المعتصم كان أحسن تركي على وجه الأرض في وقته، وكان المعتصم لا يفارقه ولا يصير عنه محبة له ووجدوا به، فاتفق أن المعتصم دعا أخاه المأمون ذات يوم إلى داره، فأجلسه في بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجوامات على وجه سياء فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدي فقال: انظر وياك إلى ضوء الشمس على وجه سياء، أرايت أحسن من هذا قط؟ وقد قلت [من السريع]:
 قد طلعت شمسٌ على شمسٍ وزالت الوحشة بالأنس
 فأجز، فقال اليزيدي بعده:

قد كنتُ أشنا الشمس من قبل ذا فصيرتُ أرتاحُ إلى الشمس (١)
 قال: وطفن المعتصم فعرض شفتيه لأحمد، قال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين لئن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقن منه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: كثر الله يا أخي في غلمانك مثله.

ويقرب من هذا ما حكى أن المعتد بن عباد صاحب إشبيلية جلس يوما وبين يديه جارية تسقيه، فخطف البرق، فارتاعت منه، فقال ابن عباد في ذلك [من السريع]:

روعا البرق وفي كعها برق من اللهوة لعا
 عجبت منها وهي شمس الضحى من مثل ما تحمل ترتاع

(١) أشنا: أصله أشنا. مهموز الآخر - فسهلت الهمزة، فصارت حرف مد من جنس حركة ما قبلها

نم أنشد الأول لعبد الجليل بن وهبون المرسى واستجازه فقال :
ولن نرى أعجب من أنسٍ من مثل ما يُنسكُ يرتاع

وابن العميد ^(١) هو: أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ، ولسان
الجميل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، قال في حقه أبو منصور الثعالبي
كان أوحداً المعصر في الكتابة ، وكان يدعى الجاحظ الآخر ، والأستاذ ورئيس ،
ويضرب به المثل في البلاغة [وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع ^(٢)]
حسن الترسل وجزاله الألفاظ وسلاستها ، مع براعة المعاني ونفاستها ، وما أحسن
[وأصدق] ما قاله صاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد في
البلاد كالأستاذ في العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت
بأبن العميد . وقد أجرى ذكرهما معا ^(٣) أبو محمد [عبد الله بن أحمد] الخازن في
قصيدة مدح بها صاحب بن عباد حيث وصف بلاغته فقال [من البسيط] :

دعوا الأقاصيصَ والأنباءَ ناحيةً فإعلى ظهرها غير ابن عبادٍ
والى يكانٍ متى يُطلق أعنته يدعُ لسان إبادٍ رهنَ أقيادٍ ^(٣)
وموردٌ كلماتٍ عطّلت زهراً على رياضٍ ودرّاً فوق أجنيادٍ ^(٤)
وتاركٌ أولاً عبد الحميدٍ بها وابن العميد أخيراً في أبي جادٍ

(١) محمد لأبي الفضل بن العميد ترجمة ضافية في يتيمة الدهر للثعالبي
(٣ - ١٣٧ - ١٦٢ مصر) وفي ابن خلكان (٢ - ٤٦٣)

(٢) زيادة عن يتيمة الدهر

(٣) أشار بلسان إباد إلى قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب في الجاهلية
ومضرب المثل في الفصاحة

(٤) في الأصل « كلمات عطرت زهرا » وأثبتنا ما في اليتيمة

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كَلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صائد حافق [من البسيط] :

* أنى أباه بذاك الكسب يكتسب *

لأن أباه أبا عبد الله الملقب بكَله كان في الرتبة الكبرى من الكتابة ، وكان قد تقلد ديوان الرسائل لل ملك نوح بن نصر ، وكان يحضر ديوان الرسائل في محفة لسوء أثر النقرس في قدمه ، وفيه يقول أبو القاسم الاسكافى وكان يكتب في ديوانه إذ ذاك ويرى نفسه أحق منه برتبته ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه [من الكامل] :

يا ذا الذى رَكِبَ الحُفَّ سَـةَ جامعاً فيها جهازه

أترى الإله يُعِيدُ شُئى حَتَّى يرينها جنازه (١)

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبى عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمينته وتولى ديوان الرسائل ، فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل هذا في حياة أبيه وبعثاته بالرى وكورة الجبل وفارس يتدرج إلى المعالى ، ويزداد فضلا وبراعة على الأيام والليالى ، حتى بلغ ما بلغ واستقر في الذروة من وزارة ركن الدولة ورياسة الجبل وخدمة الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الاخشيدي فدحه بتلك القصيدة المشهورة التى منها قول [من الكامل] :

من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا

وملت نحر عشارها فأضافنى من ينحر البدر النصار لمن قرى
وسمعت بطليموس دأرس كُتِبَ مُتَمَلِّكاً متبدياً متحضراً (٢)

(١) في الأصول « الاله يغيشنى » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في البيتمة

(٢) في الأصل « مارس كتبه » ، وما أثبتناه موافق لما في البيتمة وديوان

المتنبي ، وثلاثة الايات ليست متصلة في الديوان

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسهم والأعمرًا
ومنها :

نسقوا لنا نَسَقَ الحسابِ مقدَّمًا وآتىَ فذلكَ إذْ أُتيتُ مؤخَّرًا^(١)
بأبي وأُمِّي ناطقٌ في لفظهِ نمن تباعُ له القلوبُ وتشتري^(٢)
قطفَ الرجالِ القولَ قبلَ نَبَاتِهِ وقطفتُ أنتَ القولَ لما نورًا
ومدحه صاحبُ بنِ عبادٍ بقصائدٍ كثيرةٍ استفرغَ فيها جهده ، فنها قوله
فيه^(٣) [من الخفيف] :

منْ لقلبِ يَهِيمٍ في كلِّ وادى وقتيلٍ للحبِّ من غيرِ وادى
إنما أذكُرُ الفوائىَ والمقصدا دُ سمدى تكثُرًا للسوادِ
وإذا ما صدقتُ فمَنى مرامى ومُرَادى وَرَوْضَى ومَرَادى^(٤)
ونَدَى ابنِ العميدِ إلى عَميدٍ من هواها أليَّةُ الأيجادِ
لو دَرَى الدهرُ أَنه من بنِيهِ لا زَدَرى قدرَ سائرِ الأولادِ
أورأى الناسُ كيفَ يَهتزُّ للجو دِ لما عدَدوهُ فى الأطوارِ

(١) فى الأصل « وأتوافدى لك » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان
قال الواحدى : معناه جمع لنا الفضلاء فى الزمان ، ومضوا متتابعين متقدمين
عليك فى الوجود ، فلما أُتيتَ بهم دهمك كان فيك من الفضل ما كان فيهم ، مثل الحساب
يذكر تفاصيله أولاً ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب فى آخر الحساب :
فذلك كذا وكذا ، فيجمع فى الجملة ما يذكر فى التفصيل ، كذلك أنت جمع فيك
ما تفرق فيهم من الفضائل والعلم والحكمة .

(٢) فى الديوان واليتيمة « نمن تباع به القلوب »

(٣) الأبيات فى اليتيمة (٣ - ١٤٠) ضمن ثلاثة عشر بيتاً

(٤) فى اليتيمة « ومنأى وروضى » وما هنا أحسن

وله أيضا (١) [من الكامل] :

قالوا ربّيك قد قدّم فلك البشارة بالنعم
قلت الربيع أخو الشتا أم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا الذى بنواله يقضى المقل من العدم
قلت الرئيس ابن العميد إذا فقالوا لى نعم

ول بعضهم (٢) فيه عند انتقاله إلى قصر جديد قد بناه ، وهو مستبسع
[من البسيط] :

لا يمجّنك حسنُ القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئاً في فضاءها
وهذه نبذة من محاسن نثره :

فصل من رسالة كتب بها إلى أبي العلاء السروى - كتابى ، جعلنى
الله تعالى فداك ، وأنا فى جد وتعب منذ فارت شعبان ، وفى جهد ونصب من
رمضان ، وفى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم
ومرتهن بتضاعف حرّ ، لو أن اللحم يصلّى ببعضه غريضا ، أتى أصحابه وهو
منضج ، وممتحن بهواجر ، يكاد أوراها يذيب دماغ الضبّ ، ويصرف وجه
الحرياء عن التحف (٣) ، ويزويه عن التنصر ، ويقبض يده عن إمساك ساق
وإرسال ساق .

ويترك الجانب فى شغل عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب

(١) أربعة الآيات فى القيمة (٣ - ١٤١)

(٢) البيتان فى القيمة (٣ - ١٤٢) وقد نسبها أبو منصور إلى أبي على
مكويه .

(٣) فى القيمة « من التحق » وفيها « ويزويه عن التبصر »

و ينادر الوحش قد مالت هرا دها [من الطويل] :
سجوداً لدى الأرض كأن رؤسها علاها صداد أوقاق يصورها
كما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليوم أتى دون الظلال شموسه تظل المها صوراً جاجها تَفْلي (١)
وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجرة ظلت كأن ظباءها إذا ما انتهبها بالقرون سجود
تلوذ بشؤبوب من الشمس فوقها كالأذ من وخز السنان طريد
وممنو بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كالأول
قلة ، وكحسو الطائر من الماء الثماد دقة ، وكنصيفة الطائر المستخرقة :
كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأها أقشعت وتجلت (٢)

وكنفر العصافير ، وهي خائفة من النواطير يانع الغنب (٣) ، وأحمد الله
تعالى على كل حال ، وأسأله أن يعرفني بركنه ، ويلقيني الخير في أيامه
وخاتمته ، وأرغب إلى الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف
حركته ، ويعجل نبضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة
الطول من ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهي أسر سائر الغرر عندي ،
وأقرأ لعيني ، ويسمعي النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخني
من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأضئ من قيس

(١) في اليتيمة « أتت دون الظلال شموسه » والبيت ليس في ديوان
الفرزدق ،

(٢) في اليتيمة « فلما رجوها »

(٣) هذه الجملة مأخوذة من لفظ بيت من المنسرح وهو :
نقر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الغنب

ابن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور ، ويرسل
على رفاقته التي ينشئ العيون ضوءها ، ويحط من الأجسام نوءها ، كلما يفرها ،
وكسواً يسترها ، ويرنيه مغفور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج
واحد ودرجة مشتركة ، وينقص من أطرافه كما تنقص النار من أطراف الزند ،
ويبعث إليه الأرض ، ويهدي إليه السوس ، ويفرى به الدود ، ويبلله بالغار ،
ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالثل ، ويحتجفه بالذّر^(١) ، ويجعله من نجوم الرجم ،
ويرى به مسترق السم ، ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دوره ، ويعذبه كما
عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان^(٢) ، ويصنع به صنيعه بالألوان
ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه ، وتبتك بطويعه ، ويرحم
الله عبداً قال آمينا ، وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستغفبه من
توفيق لما يذمه ، وأسأله صفحا يفيضه ، وعفواً يسبغه ، وحالى بعد ما شكوت
صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، والله الحمد قدست أسماؤه والشكر .

ومن فصوله القصار الجارية مجرى الأمثال ، قوله : متى خلصت للدهر حال
من اعتوار أذى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى ؟ . خير القول ما أغناك
جده ، وأهلك هزاله . الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرّب ، ولا تدرك إلا بنجشم
كلفة وتصعب . المرء أشبه شئ بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا
سلطانه . المرء يندل ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف^(٣) يذهل العاقل عن حفظ

(١) في الأصل « ويحتجته » وما أثبتناه موافق لما في البيّمة

(٢) في الأصل « فعله بالكتان » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في البيّمة
والعرب تعتقد أن ضوء البدر يبلى الكتان وعلى هذا جاء قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزاره على القمر

وهو الشاهد (رقم ٩٩) من الشواهد المشرّحة في هذا الكتاب فارجم إلى شرحه
(٣) في الأصل « فكيف يذهب العاقل من حفظ أوليائه » محرفاً ، وما
أثبتناه موافق لما في البيّمة .

أوليائه ؟. هل السيد لإمن بهابه إذا حضر، وتفتابه إذا أدير . اجتنب سلطان
الموى وشيطان الميل . المرح والمزل^(١) بابان إذا فتحا لم يفلقا إلا بعد العسر،
وغلان إذا لقحا لم ينتجا غير الشر .

وبما أخرج له من الشعر^(٢) قوله [من الكامل] :

آخ الرجال من الأبا عدء والأقارب لا تقارب

إن الأقارب كالعقا رب بل أضر من العقارب

وكتب إلى العلو^(٣) [من المقتضب] :

يا من تخلى وولى وصد عني وملا
وأوسع العهد نكثاً وأتبع العقد حلاً
ما كان عهدك إلا عهد الشبهة ولى
أو طائفاً من خيال ألم ثم . تولى
أو عارضاً لاح حتى إذا دنا فتسدى
ألوت به نسأت من الصبا فتجلى
أهلاً بما ترّضى في كل حال وسهلاً
ليجزىك ودى بمثل فعلك فنبلاً
إن شئت هجر أقمه جراً أو شئت وصلأ فوصلاً
صبرت عني فانظري ظفرت بالصبر أم لا

(١) في البيمة « المزح والمزل » ولكل واحدة من العبارتين وجه
(٢) هذان البيتان في ابن خلد كان عن أبي الفضل الميكالي في كتابه المنتحل

وفي البيمة (٣ - ٢٤ يروت)

(٣) هذه الأبيات في البيمة (٣ - ١٩ يروت)

إني إذا الخيل ولّي ولّيته ما تولى
 وكتب إلى أبي الحسن بن هندو وأرسلها إليه صبيحة عرسه [من الكامل]:
 انهم أبا حسن صباحاً وازدد برؤيتك ارتياحاً
 قد رضى طرفك خالياً فهل استلنت له جراحاً
 وقدحت زندق جاهداً فهل استبنت له اتقداحاً
 وطرقت منفلاً فهل سن الآله انفتاحاً
 قد كنت أرسلت العيو ن صباح يومك والرواحاً
 وبنت مصغية تببت لديك ترتقب النجاحاً
 ففدت على بجملته لم تولى إلا افتضاحاً
 وشكت إلى خلاصاً خرساً وأوشجة فصاحاً
 منعت وساوسها المنا مع أن تحس لكم صباحاً

وللصاحب ابن عباد في هذا المعنى إلا أنه أقرب في التصريح [من السريع]
 قلبى على الجرة يا أبا العلا فهل فتحت الموضع المقللاً
 وهل فككت الختم عن كيسه وهل كحلت الناظر الأكمللاً
 إن قلت يا هذا نعم صادقاً أبعث ثاراً يملأ الميزلاً^(١)
 وإن تجبى من حياءٍ بلا أبعث إليك القطن والميزلاً
 ولابن العميد في المعنى القرشى [من الوافر]:
 إذا غنائى القرشى يوماً وغنائى برؤيته وضربه
 وددت لو أن أذى مثل عيني هناك وأن عيني مثل قلبه

(١) في البيعة • إنك إن قلت نعم صادقاً •

وللوزير المهلبى فيه أيضاً [من مجزوه الوافر] :

إِذَا غَتَّانِي الْقَرْشَى دَعَوْتُ اللَّهَ بِالطَّرْشِ

وَإِنْ أَبْصَرْتُ طَلْعَتُهُ فَوَالْهَفَى عَلَى الْمَمَشِ

واجتمع عند ابن العميد يوما أبو محمد [بن] هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبرى ، وأبو الحسن البديعى ، فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة فقال لهم : تعالوا تتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدى فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وَأُتْرَجَةٌ فِيهَا طِبَائِعُ أَرْبَعُ *

فقال أبو محمد :

* وَفِيهَا فُتُونُ اللَّهِ وَالشَّرْبُ أَجْمَعُ * (١)

فقال أبو القاسم :

* يُشَبِّهُهَا الرَّائى سَبِيكَةً عَسَجِدَ *

فقال أبو القاسم بن أبي الحسين (٢) :

* عَلَى أَنَّهَا مِنْ قَارِقِ الْمِسْكِ أَضْوَعُ *

فقال أبو عبد الله :

* وَمَا أَصْفَرُ مِنْهَا اللَّوْنُ لِلْمَشَقِّ وَالْهَوَى *

فقال أبو الحسن :

* وَلَكِنْ أَرَاهَا لِلْمُحِبِّينَ تَجْمَعُ *

وكان ابن العميد متفلسفا متهماً برأى الأوائىل ، ويقال : إنه كان مع فنونه لا يدرى الشرع ، فاذا تكلم أحد بمحضته في أمر الدين شق عليه وخدس ثم

(١) في البيتمة * وفيها فتون الله للشرب أجمع *

(٢) هكذا في أصول الكتاب ، وأظنه « فقال أبو الحسين بن فارس »

قطع على المتكلم فيه ، وكان قد ألف كتابا سماه الخلق والخلق ولم يبيضه ، ولم يكن الكتاب بذلك ، ولكن جمس الرؤساء خبيص ، وصُنَّان الأغنياء ند . وتوفى في سنة ثلثمائة وستين^(١) .

ترجمة أبي الفتح
ابن ابن السيد
وقام ابنه عليّ أبو الفتح ذو الكفائتين^(٢) مقامه ، إذ هو ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة * وحقّ على ابن الصقر أن يشبه الصقرا * وما أصدق قول الشاعر [من الكامل] :

إنَّ السَّريَّ إذا سَرا فبنَفْسِهِ وابنُ السَّريِّ إذا سَرا أسَراهما
وكان نجيباً ، ذكياً لطيفاً سخياً رفيع الهمة ، كامل المروءة ، تأتق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته ، وخرج حسن الترشل متقدّم القدم في النظم ، آخذاً من محاسن الأدب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال ، وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة بن بويه لُقِّبَ بذي الكفائتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفى ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيذكر قريباً بمشيئة الله تعالى وعونه .

ومن طرف أخباره أن أباه كان قد قيّض جماعة من ثقافته في السرّ يشرفون على ولده الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه ، ويشاهدون أحواله ، ولعمدُنْ أنفاسه وأفعاله ، ويُنْهَوْنَ إليه جميع ما يأتيه ويذُرُّه ، ويقولوه ويفعلوه ،

(١) ذكر ابن خلكان هذا وقولا آخر أنه توفى في سنة تسع وخمسين وثلثمائة

(٢) تجد ترجمة أبي الفتح ذي الكفائتين على بن محمد بن الصاحب بن عباد في تيسية الدهر للشمالي تالية لترجمة أبيه (٣ - ١٦٢ مصر) وقد أبي المواقف إلا أن يقرنهما هنا مع أن صلة الموضوع بأبي الفتح بعيدة

فرجع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المتفرون من عقد مجلس أنس واتخاذ الندماء وتعاطى ما يجمع شمل اللهو في خفية شديدة واحتياط تام ، وأنه في تلك الحال كتب رقعة إلى بعض أصدقائه في استبداء الشراب ، لحمل إليهم ما يصلح لهم من المشروب والنقل والمشوم ، ففسد أبوه إلى ذلك الإنسان من أتاه بالرقعة ، فاذا فيها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاءك ياسيدي ومولاي رقعة من عين الدهر ، وانتهزت فرصة من فُرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام ، عدنا كبنات نفس والسلام ، فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهري أمر براعته ، ووقفت بجريه في طريقى ، ونيابته منابى ، ووقع له بالنى دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر ، فرمت الشمس بمجمرات الهاجرة ، فقال لى : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فلم أحر جواباً لاني لم أفطن لما أراد ، ولما كان بعد هنيهة أقبل رسول والده الأستاذ يستدعيني إلى مجلسه ، فلما مئلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلى ، وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهتت وسكت وما زلت متفكراً حتى تنهت أنه يريد الخليش وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، فأفرط اهتزازها ، وقرأت صحيفة السرور في وجهه ، ثم أخذت أتحفه بنكت نظمه ونثره ، فكان مما أعجب به واستضحك له رقعة له وردت على ، وصدرها : وصلت رقعة الشيخ أصغر من عنققة بقة ، وأقصر من أملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الرئيس الأستاذ وزنها واستحلى روياها ، وأنشد كل من الحاضرين ما حضره على ذلك وهو قول القائل [من المقتضب] :

لئن كَفَّتْ وَإِلَّا شَقَقْتُ مِنْكَ نِيَابِي^(١)
 فأضنى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد في الوقت وقال :
 يا مولاً بعداي أما رحمتَ شبابي
 تركت قلبي قريحاً نهب الأسي والنصابي
 إن كنت تشكر ما بي من ذلتي واكتنابي
 فارفع قليلاً قليلاً عن العظام نيباني
 وله من نورو زية^(٢) [من الكامل] :

أُبشر بنوروزٍ أتاك مبشرا
 بأشرب فقد حلَّ الربيعُ نقابة
 وهديتي شعر عجيب نظمه
 ومديحه يبقى على الأيام
 فاقبله وأقبل عنز من لم يستطع
 إهداء غير نتيجة الأفهام
 ومن بدائع المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودِي وماه شيبتي في عودِي
 لا تَعْمَدِي لِقَاتِلِ المَعْمُودِ
 وَصَلِيهِ مادامتْ أَصَائِلُ عَيْشِهِ
 تُؤْوِيهِ فِي ظِلِّ لَهَا مَعْمُودِ^(٣)
 مادام من ليل الصبا في فاحيم
 رجل الذرى منهل العنقود^(٤)
 قبل المشيب وطارقات جنوده
 يُبْدِلْنَهُ يَقَقَا بِسُجْمِ سُوْدِ^(٥)
 ومن شعره [من الخفيف] :

- (١) في الأصل «لئن كففت عني وإلا» ولا شك أن كلمة «عني» مزيدة
 لا محل لها، وهي تخل بالوزن، وما أثبتناه موافق لما في البيئمة (٣ - ١٦٤)
 (٢) يريد من قصيدة قيلت في عيد الثيروز
 (٣) في البيئمة «تؤويه في فيء»
 (٤) في البيئمة «فينان كالعنقود»
 (٥) في البيئمة «قبل المشيب فطارقات جنوده» وما هنا أدق

أَبْنَى مِنْ يَنْبَى بِشَكَرِ الْإِلَهِ إِذْ أَضَافَتْ خِيَالَهَا وَخِيَالِي
لَمْ يَكُنْ لِي عَلَى الزَّمَانِ اقْتِرَاحٌ غَيْرَهَا مَنِيَّةً فِجَادٍ بِهَا لِي
ومنه [من الطويل] :

إِذَا أَنَا بُلُغْتُ الَّذِي كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَضْعَافُهُ أَلْفًا فَيَكُونِي إِلَى الْخَرِ
وَقُلْ لِنَدْبِي قَمٌّ إِلَى الدَّهْرِ وَاقْتَرَحْ عَلَيْهِ الَّذِي يَهْوَى وَكَلْنِي إِلَى الدَّهْرِ
يَحْكِي أَنَّهُ سَرِ يَوْمًا وَطَلَبَ النَّدْمَاءَ وَهِيَ مَجْلَسًا عَظِيمًا بِآلَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْمَغَانِي وَالْفَوَاكِهَ ، وَشَرِبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَعَامَةً لَيْلَتِهِ ، ثُمَّ عَمَلَ شِعْرًا وَغَنَوْهُ بِهِ وَهُوَ هَذَا
[من المتقارب] :

دَعَوْتُ الْفَنَاءَ وَدَعَوْتُ الْمَنَى فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتُ الْقَدَحَ
إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَمَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ بِمِثْلِهَا مُقْتَرَحُ

وكان ذلك بعد تدبيره على الصاحب وإبعاده عن ركن الدولة وانفراده بالديار
كما سنده كرهه ، ثم طرب بالشعر وشرب إلى أن سكره ، وقال : غطوا المجلس لأصطحب
عليه غداً ، وقال لندمائته : يا كروني ، ثم نام ، فدعاه مؤيد الدولة في السحر وقبض
عليه وأخذ ما يملكه ثم قتله ، وكان من خبر ذلك أنه لما توفي ركن الدولة وقام بعده
ولده مؤيد الدولة مقامه خليفة لأخيه عضد الدولة أقبل من أصفهان إلى الري ،
ومعه الصاحب أبو القاسم بن عباد فخلع على أبي الفتح هذا خلع الوزارة ، وألقى إليه
مقاليده المملكة والصاحب على حالته في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به
وشدة الحظوة لديه ، فكرهه أبو الفتح مكانه ، وأسأه به الظن ، فبعث الجند على أن
يشغبوا عليه ، وهو بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصفهان ، وأسرّاً
في نفسه الموجدة على أبي الفتح ، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة واحتقاده
عليه أشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منها مما يئله عز الدولة بختيار ، ومنها ميل
القواد إليه بل غلوم في موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ،
واجتمع رأى الأخوين على اعتقاله وأخذ أمواله ، ولما قبض عليه بدّرت منه كلمات

أيضا نقلت إلى عضد الدولة فزادت في استيحاشه منه ، وأنبض من حضرته
من طالبه بالأموال وعذبه بأنواع العذاب ، ويقال : إنه سَمَلَ إحدى عينيه ،
وقطع أنفه وجز لحيته

وفي تلك الحال يقول وقد آيس من نفسه واستأذن في صلاة ركعتين ودعا
بدواة وقوطاس وكتب [من السريع] :

بَدَلْ مِنْ صُورَتِي الْمُنْظَرُ لَكُنْهُ مَا غَيْرَ الْخَبَرُ

وَلَسْتُ ذَا حُزْنٍ عَلَى فَائِثٍ لَكِنْ عَلَى مِنْ بَاتٍ يَسْتَعْبِرُ

وَوَالَهُ الْقَلْبُ لَمَّا مَسَنِي مُسْتَخْبِرٌ عَنِّي وَلَا يُخْبِرُ

وحدث أبو جعفر الكاتب ، قال : كان أبو الفتح قبل النكبة التي أتت
على نفسه قد لمج بأشاد هذين البيتين في أكثر أوقاته ولست أدرى أحماله ، أم
لغيره ، وهما [من الرمل] :

سَكَنَ الدُّنْيَا أَنَاسٌ قَبْلَنَا رَحَلُوا عَنْهَا وَخَلَّوْهَا لَنَا

وَنَزَلْنَاهَا كَمَا قَدْ نَزَلُوا وَنُخَلِّيْهَا لِقَوْمٍ بَعْدَنَا

ولما يتقن بهلاكه وأنه لا ينجونهم يبذل المال مد يده إلى جيب جبة كانت
عليه فنتقه عن رقعة فيها مكتوب ما لا يحصى من ودائمه وكنوز أبيه وذخائره
وألقاها في كانون كان بين يديه ، ثم قال للموكل به المأذور يقتله : اصْنَعْ مَا أَمَنْتَ
صَانِعٌ ، فوالله لا يَصِلُ من أموال المستورة إلى صاحبك الدرهم الواحد ، فأزال
يَعْرِضُهُ عَلَى الْعَذَابِ وَيُمَثِّلُ بِهِ حَتَّى تَلْفَ .

وفيه يقول بعض الشعراء المتعصبين له :

أَلِ الْعَمِيدِ وَأَلِ بَرْمَكٍ مَالِكُمْ قَلَّ الْمُعِينُ لَكُمْ وَقَلَّ التَّائِصِرُ

كَانَ الزَّمَانُ بِحُجْمِ قَبْدَالِهِ إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ الْحَبُّ الْغَادِرُ

ورثاه كثير من الشعراء بغرر القصائد

من شواهد
ادعاء أن للشبه
من جنس
للشبه به

٩٩ — لَا تَعْبُوا مِنْ بَنِي غِلَاظِهِ قَدْ زُرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

البيت لأبي الحسن بن طباطبا العلوي من المنسرح ، وقبلة :

يا من حكى الماء فرطاً رِقَّتِهِ وقلبه في قساوة الحجر

يا ليت حظي كحظ ثوبك من جسمك يا واحداً من البشر

وبعد البيت ، ورأيناه بلفظ :

* قَدْ زُرَّ كِتَابُهَا عَلَى الْقَمَرِ *

ولعله أبلغ في المراد ، والغِلَاظُ — بكسر الغين المعجمة — شعار يلبرس

تحت الثوب .

والشاهد فيه : ما في البيت الذي قبله ، لأنه لو لم يجعله قرآ حقيقاً لما كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن الكتان إنما يُنزع إليه البلى بسبب ملازمته للقمر الحقيقي ، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسناً ، وردّ كون الاستعارة مجازاً عقلياً : بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له ، للعلم الضروري بأنها مستعملة في الرجل الشجاع مثلاً ، والموضوع له هو السبب الخصوص ، وأما التعجب والنهي عنه في البيت والذي قبله فلبناء على تناسي التشبيه ، قضاءً لحق المبالغة ، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلاً ، حتى إن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عنه يترتب على المشبه أيضاً .

وأبو الحسن ابن طباطبا ، اسمه محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، طباطبا ، بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ترجمة ابن طباطبا العلوي : رضى الله تعالى عنهم ! وهو شاعر مفلق ، وعالم محقق ، مولده بأصبهان ، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء ، (٩ — مائة ٢)

وأدياء ، ومشاهير . وكان مذكورا بالفطنة والذكاء وصفاء القريحة وصحة اللذهن وجودة المقاصد .

وله من المصنفات كتاب « عيار الشعر » ، وكتاب « تهذيب الطبع » ، وكتاب « العروض » ، ولم يسبق إلى مثله .

ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتا ، ليس فيها راء ولا كاف ، أولها [من الكامل] :

ياسيدا دانت له الساداتُ وتنابت في فعله الحسناتُ
يقول منها في وصف القصيدة :

ميزانها عند الخليل مُعَدَّلُ متفاعِلن متفاعِلن فَعَلَاتُ

لواصلُ بنُ عطاء الباقي لها تُلَيْتُ توَّهم أنها آياتُ

ومن شعره يهجو أبا علي الرستمي ويرميه بالدعوة والبرص [من الخفيف] :

أنت أعطيت من دلائل رُسل الله آياتها علوت الرؤسا

جئت فردا بلا أب ، ويمنا لك يابض ، فأنت عيسى وموسى

وما أحسن قول أبي المطاع ناصر الدولة ابن حمدان في معنى البيت المستشهد

ات في معنى
ده القمر
ب. الكنان

به [من البسيط] :

ترى الثياب من الكنان يلحها نُورُ من البدر أحيانا فيلبها

فكيف تُنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

وقال منصور البستي ، المعروف بالغزال ، فيه من قصيدة ، يصف الساق

[من الكامل] :

ومشى بكنان فخلت عناكبا نسجت على الباقوت ثوب قتام

أعجب ببدن سالم كئانه وبه يحرق أنفاس الأتوام

ومثله قول الآخر [من المديد] :

كَيْفَ لَا تَبْكِي غُلَّائِلُهُ وَهُوَ بَدْرٌ وَهِيَ كَهَانُ

١٠٠ - فان تعافوا العدلَ والإيماناً فان في إيماننا نيراناً

شاهد القرينة
اللفظة
للاستعارة

قائلة بعض العرب ، من الرجز .

والشاهد فيه : ذكر القرينة في الاستعارة ، لأنها مجاز ، ولا بد لها من قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ، وهي : إما أمر واحد أو أكثر ، وهو هنا قوله « تعافوا » فان تعلقه بكل من العدل والإيمان قرينة دالة على أن المراد بالنيران. السيوف : أي سيوفاً تلعب كشمس النيران ، لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجئون إلى الطاعة بالسيوف .

١٠١ - وصاعقة من نصله تنسكن فيها على أرواس الأقران حس سحائب
شاهد مجيء
للقرينة مما في
ملشمة

البيت للبحترى ، من قصيدة^(١) من الطويل ، أولها :

هَيْبِهِ لِمَنْهَلِ الدَّمْعِ السَّوَابِ وَهَبَاتِ شَوْقٍ فِي حَشَاةِ لَوَاعِبِ

وإلا فَرُدِّي نَظْرَةَ فِيهِ تَعْجَبِي لِمَا فِيهِ أَوْ لَا تَحْفَلِي بِالسَّجَابِ^(٢)

وهي طويلة ، والرواية فيه « وصاعقة في كهفه » كما في الديوان^(٣) وبعنه :

(١) اقرأها في الديوان (١ - ٧٢)

(٢) في الديوان « أو لا تحفلي للمعجائب »

(٣) في نسخة الديوان المطبوعة بمصر « وصاعقة من نصله » كما في نسخ

التلخيص

يكادُ الندى منها يفيض على المدَا لَدَى الحربِ في ثَنِيَّ قَنَا وَقَوَّاضِبِ
والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة العذاب ، والحراق الذي
يبد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من
السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران : جمع قرن ،
وهو الكفنة.

والشاهد فيه : مجيء القرينة معاني ملتزمة ، مربوطة بعضها ببعض ،
يكون الجميع قرينة ، لا كل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل المدوح
الحسن التي هي في الجود وعموم العطاء سحائب : أَى يَصِبُّهَا عَلَى أَ كَفَائِهِ فِي
الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن
كلًا من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب
لأنامل المدوح ذكر أن هناك صاعقة وَيَبِّينُ أَنَّهَا مِنْ نَصْلِ سَيْفِهِ ، ثم قال « على
أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل ،
فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الحسن الأنامل .

١٠٢ - * وَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسُهُ رِمَانَهُ *

شاهد
الاستفارة
النرية

قائله يزيد بن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل
يصف فرسالة بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانَه في قَرْبُوسِ سِرْجِه
وقف مكانه إلى أن يعود إليه ، وتماهه :

* عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ *

والقربوس - بفتح الراء ، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر - وهو حِنُونُ
السَّيْرِجِ ، وهما قربوسان ، والعنان - بكسر العين - سير اللجام الذي تَمْسُكُ

به الدابة ، والشكيم ، والشكبة : الحديبة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس ،
وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدَتْهُ فِيهَا أَزُورُ حَبَائِي إِهْمَالَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطِرٍ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهي : الغريبة ، والغرابة قد تكون في
نفس الشبه كما في البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس
المرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركة الحنجي ،
ممتدا إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب^(١) أو غيره كوقوع العنان في قربوس المرج
لجاءت الاستعارة غريبة كفرابة المشبه .

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيْلُ الْغَنَوَى [من الكامل] :

وَجَعَلْتُ كُرَى فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمٌ سَنَامِيَا الرَّحْلِ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَ الصَّيْدُ أَنْصَارَ وَأَذْنَ الصَّبْحُ لَنَا بِالْأَبْصَارِ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحْبِي الرُّومِيسُ رُبْعَهَا فَتَجِدُهُ بَعْدَ الْبَلَى وَبِمَيْتِهِ الْأَمْطَارُ

وقول أبي نواس [من السريع] :

بِصَحْنٍ خَلَّ لَمْ يَفِضْ مَأْوُهُ وَلَمْ يَخْضَعْ أَعْيُنُ النَّاسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أيات من
الاستعارات
الغريبة

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى
قوله المرج ثابت في جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب
إسقاطه » اهـ

فَلَمَّا بَدَأَ افْتَأَتَتْ مَحَاسِنُهُ قَسَرًّا إِلَيْهِ أَعِيْنَةُ الْحَدَقِ

١٠٣ - * وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطْرِ الْأَبَاطِحُ *

قائله كثير عزة، من قصيدة من الطويل، وصدرة :

* أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا *

وقبله (١) :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَسَحُ
وَشَدَّتْ عَلَى حَذْبِ الْمَهَارَى رِحَالَنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

وقيل : الأبيات لابن الطنرية . وذكر الشريف الرضي في كتابه « غرر
الفرائد » قال : أنشدني ابن الأعرابي للمضرب (٢) ، وهو عقبة بن كعب بن
زهير بن أبي سلمى رحمهم الله تعالى :

وَمَا زِلْتُ أَرْجُو نَفْعَ مَسْكِيٍّ وَوُدَّهَا وَتَبَعْدُ حَتَّى أَبْيَضَ مِنْى الْمَسَائِحُ
وَحَتَّى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ إِلَيْهِ وَحَتَّى نَصَفُ رَأْسِي وَاضِحُ

(١) أنشد ثلاثة الأبيات أبو هلال العسكري في الصناعتين (٢) (٤٢ الآستانة)
وابن قتيبة في الشعر والشعراء (٨ أوربا) والشيخ عبد القاهر الجرجاني في أصرار
البلاغة (١٦ طبعة ثالثة) وروى أولها وثالثها أبو علي القالي في ذيل الأمالى
(١٦٦) وأبو الفتح ابن جني في الخصائص (١ - ٢٢٥) وروى ثلاثة الأبيات
في ضمن ثمانية أبيات الشريف المرتضى في أماليه (٢ - ١١٠) وهى الأبيات
التي رواها المؤلف فيها بعد ، بنفس ترتيبها هنا . ونسبها إلى المضرب عقبة بن كعب
ابن زهير بن أبي سلمى المزني ، وأسند روايتها إلى ابن الأعرابي كما هو في
كلام المؤلف

(٢) فى الأصل « للمضرب » ونحسبه محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى أمالى
الشريف المرتضى الذى نقل عنه المؤلف

شاهد التصرف
فى الاستقامة
الغامية حتى تصير
غريبة

عَلَا حَاجِي الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ ظِلَاءَ جَرَتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحٌ
وَهَزَّةٌ أَظْمَانٍ عَلَيْنِ بِهِجَةٍ طَلَبْتُ وَرَيْقَانُ الصَّبَا بِي جَالِحٌ
فَلَمَّا قَضَيْتُنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ
وَشَدَّتْ عَلَى حَدَبِ الْمَهَارَى رَحَالَهَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْقَادَى الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
فَقَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاثِيلَ وَارْتَمَتْ بَيْنَ الصَّخَارَى وَالصَّفَاحِ الصَّحَاصِحُ (١)

والأباطح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

والمعنى : لما فرغنا من أداء مناسك الحج ، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع ، وشددنا الرحال على المطايا ، وارتحلنا ولم ينظر السائرون في الغداة السائرين في الرواح للاستعجال ، أخذنا في الأحاديث وأخذت المطايا في سرعة السير .

والشاهد فيه : حصول الغرابة في الاستعارة العامة بتصرف فيها ، فانه استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الابل سيرا عنيقا حثيثا في غاية السرعة المشتعلة على لين وسلاسة ، والشبه فيها ظاهر عالمي ، ولكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل - وهو سالت - إلى الأباطح ، دون المطى أو أعناقها ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الابل ، وأدخل الأعناق في السير لأن السرعة والبطء في سير الابل يظهران غالبا في الأعناق ، ويتبين أمرهما في الهوادي ، وسائر الأجزاء يستند إليها في الحركة ويتبعها في الثقل والخفة . ومثل هذه الاستعارة في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز رحمه الله تعالى حيث يقول [من البسيط] :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ خِينِ دَعَا أَنْصَارُهُ بُوْجُوهُ كَالِدَنَا نَائِرِ

(١) في الأصل « والسناح الصحاصح » محرفا وما أثبتناه موافق لما في أمالي الشريف المرتضى

أراد أنه مطّاع في الحى ، وأتهم يسرعون إلى نصرته كالسيل ، وكأن إدخال
الأعناق في السير أ كدكلا من الرقة والغرابة في الأول أ كده هنا تعديّة الفعل
إلى ضمير المدحوع يعلى لأنه يؤكّد مقصوده من كونه مطّاعاً في الحى .

ترجمة
كثير عزة

وكثير عزة^(١) هو [كثير بن] ^(٢) عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر
ابن عويمر ، أبو صخر ، الخزاعى الشاعر المشهور ، أحد عشاق العرب ، وإنما
صفروه لأنه كان شديد القصر . حدث الواقصى ^(٣) قال : رأيت كثيراً يطوف بالبيت
فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه ، وكان إذا دخل على عبد الملك
ابن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله تعالى يقول له : طأطأ رأسك لثلاثييه
السقف ، وكان يلقب زب الذباب .

وعن أبي عبيدة قال : كان الحزين الكنانى قد ضرب على كل رجل من
قريش درهمين في كل شهر ، منهم ابن أبي عتيق ، فجاءه لأخذ درهماً على حماره
أعجب ، قال : وكثير مع ابن أبي عتيق ، فأمر ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين
فقال الحزين لابن أبي عتيق : من هذا الذى معك ؟ قال : أبو صخر كثير بن
أبي جمعة ، قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهجوه ببيت
من الشعر ؟ قال . لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسى ، ولكنى أشتري عرضه
منك بدرهمين ، ودعا له بهما ، فأخذهما وقال : لا بد لى من هجائه ببيت ، قال :
وأشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، فدعا له بهما ، فأخذهما أيضاً ، وقال : ما أنا
بتاركه حتى أهجوه ، قال : وأشتري ذلك منك بدرهمين أيضاً ، فقال له كثير :

(١) نحمد لكثير عزة ترجمة في الأغاني (٨ - ٢٧ و ١١ - ٤٦) وفي الشعر
والشعراء (٣١٦) وفي تزيين الاسواق (١ - ٤٧) وفي ابن خلكان (٢ - ١٨٩)
وفي خزانة الأدب للبغدادى (٢ - ٣٧٦)

(٢) زيادة لا بد منها ، وهى ثابتة فى جميع المراجع ، وعبد الرحمن اسم
أبيه ، وامم جده الأسود ، وأبو جمعة كنية الأسود
(٣) كذا ، ولم أعثره على تعريف ، ولعله محرف .

ابن له ، وما عسى أن يقول في بيت واحد ، قال : فأذن له ابن عتيق ، فقال
[من الطويل] :

قَصِيرُ الْقَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ يَعْصُ الْقُرْأُ بِاسْتِئْذَنِهِ وَهُوَ قَائِمٌ

قال : فوثب إليه كثير ، فلكزه فسقط عن الحمار ، فخلص ابن أبي عتيق
بينهما ، وقال لكثير : قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ؟ فقال كثير : وأنا
ما ظننت أن يبلغ بي في بيت واحد هذا كله .

وكان كثير يقول بتناسخ الأرواح ، وكان يدخل على عمه له يزورها فشكرمه
وتطرح له وسادة يجلس عليها ، فقال لها يوما : لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني
حق كرامتي ، قالت : بلى والله إنى لأعرفك ، قال : فمن أنا ؟ قالت : فلان ابن فلان
وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأمه ، فقال : قد علمت أنك لا تعرفيني ، قالت :
فمن أنت ؟ قال : أنا يونس بن متى ، وكان يقرأ ^(١) (في أي صورة ما شاء ركبك)
وكان يؤمن بالرجمة ، ودخل عليه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم يعود في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثير : أبشر فكأنك بي
بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق ، فقال له عبد الله بن حسن
رضي الله عنه : مالك ؟ عليك لعنة الله ! فوالله لئن مت لا أشهدك ! ووالله لا
أعودك ولا أكلك أبدا . وكان شيعيا غاليا في التشيع ، وكان يأتي ولد حسن بن
حسن رضي الله عنهم إذا أخذ العطاء فيهب لهم الدراهم ، ويقول : بأبي الأنبياء

(١) عبارة الأغاني أوضح حيث يقول « وكان كثير شيعيا غاليا ، وكان
يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : (في أي صورة ما شاء
ركبك) ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة .

الصغار (١) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : إني لأعرف صالح بن هشام من فاسدهم بحب كثير ، مَنْ أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ، لأنه كان خشبياً يؤمن بالرجعة .

وحدث رجل من مَرْيَنَةَ قال : ضِفْتُ كثيراً ليلةً وبثُّ عنده ، ثم تحدثنا وثننا ، فلما طلع الفجر تضور ، ثم قت فتوضأت وعليت وكثير نائم في لحافه ، فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال : يا جارية اسجري (١) لي ماء ، أي سخني ، قال : فقلت : تبّاً لك سائر اليوم وبعده ، وركبت راحلتي وتركته .

وكان كثير عاقلاً لآبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة في أصبع من أصابع يديه فقال له كثير : أتدري لم أصابتك القرحة في أصبعك ؟ قال : لا أدري ، قال : بما ترفعها إلى الله في عين كاذبة .

وعن طلحة بن عبيد الله قال : مارأيت أحق من كثير ، دخلت عليه في نفر من قريش وكنا كثيراً مانبرأ به وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أباصخر ؟ وهو مريض ، فقال : أجدي ذاهباً ، فقلت : كلا ، فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم يتحدثون بأنك الدجال ، قال : أما إذ قلت ذاك فاني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام .

(١) في الأصل « ويقول أنا نبي الأنبياء الصغار » محرفاً عما أثبتناه ، وعبرة الأغاني تؤيد هذا التصحيح ونصها « نزار كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار ، فقال : يا بابي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار » وفي رواية أخرى « كان شيعياً وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطائه فيهب لهم الدراهم ويقول : وا ، بابي الأنبياء الصغار »

(٢) في الأصل « أنجزى » محرفاً وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، ويؤيده التفسير

وعن عبدالعزيز بن عمر رحمهما الله أن أناسا من أهل المدينة المنورة كانوا يهزأون بكثير فيقولون وهو يسمع : إن كثيرا لا يلتفت من تيهه ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ، ويمضي في قبيص .
وكان عبد الملك بن مروان مُعجبا بشعره ، قال له يوما : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر .

وقال عبد الملك له يوما : مَنْ أشعر الناس يا أبا صخر ؟ قال : مَنْ يروى أمير المؤمنين شعره ، فقال له عبد الملك : إنك لمنهم .

وحدث كثير قال : ما قلت الشعر حتى قُوِّلته ، قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا نصف النهار أسيرُ على بعيرٍ لي بالنعيم ، أو بقاع حران ، وإذا ركب قد دنا إلى حتى صار إلى جنبي ، فتأملت فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً ، فقال لي : قل الشعر ، وألقاه على ، قلت : من أنت ؟ قال : قرينك من الجن ، فقلت الشعر .

وكان أول أمره مع عزة التي يتعشقها أنه مر بنسوة من بنى ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة فقالت له : يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بشمنه إلى أن ترجع ، فأعطاها كبشاً ، وأعجبته ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه درايمك ، قال : لا آخذ درايمي إلا ممن دفعت^(١) إليه ، وولى وهو يقول [من الطويل] :

فَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرَبِهِ
وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرَبِهَا
فَقُلْنَ لَهُ : أَيْتَ إِلَّا عَزَّة ، وَأَبْرَزْنَاهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ ، ثُمَّ إِنِّهَا أَحْبَبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ حَبِّهَا .

(١) عبارة الأغاني « لا آخذ درايمي إلا ممن دفعت الكبش إليها »

وعن الهيثم بن عدى أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة
 فقال : حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحدهما بصاحبه ، فلما
 كنا ببعض الطريق أمرها زوجها باتباع سمن يصلح به طعاما لأجل رفقته ،
 فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلى وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت
 أبرى سمنًا لي ، فلما رأيتهما جعلت أبرى وأنظر إليها ولا أعلم حتى برت ذراعي
 وأنا لا أشعر به ، والدم يجري ، فلما تبينت ذلك دخلت إلى فأمسكت يدي ،
 وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندي نخع من سمن : فحلفت لأأخذنه ،
 فقامت به إلى زوجها ، فلما رأى الدم سألهما عن خبره ، قال : فكلامته ، حتى
 حلف عليها لتصدقته ، فلما أخبرته ضربها وحلف للشتى في وجهي ، فوقفت
 على وهو معها ، فقالت لي : يا ابن الزانية ، وهي تبكي ، ثم انصرفا ، فذلك
 حيث أقول [من الطويل] :

أَسِينِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لِأَمَلُومَةٍ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٍ إِنْ تَقَلَّتْ
 هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائٍ مَخَامِرِ لَعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
 ومنه قوله فيها أيضا [من الطويل] :

وَدَدْتُ وَحَقَّ اللَّهُ أَنْتَ بَكْرَةٌ وَأَنْتِ هَجَانٌ مُضْعَبٌ نَمَّ تَهْرَبُ
 كَلَانًا بِهِ عَرٌّ فَنَ يَرْنَا يَقُلْ عَلَى حَسَنِهَا جِرَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ
 نَكُونُ لَذَى مَالٍ كَثِيرٍ مَقْتَلٍ فَلَا هَوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلَبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحُ أَهْلِهِ عَلَيْنَا فَا تَنْتَفُكُ نَرْمِي وَتُضْرَبُ

يحكى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر إليها أنشدته الأبيات وقالت له : ويحك !
 لقد أردت لي الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ، فخرج من عندها خجلًا
 وأسوأ من هذه الأمانة أمنية الفزاري^(١) حيث قال [من البسيط] :

(١) في هامش مطبوعة بولاق - تعليقاً على هذه الكلمة - ما نصه .
 قوله الفزاري كذا في نسخة وفي أخرى العذري

مَنْ جَبَّهَا أَتَمَّتْ أَنْ يَلَاقِيَنِي مَنْ نَحَوْ بِلَدْنِهَا نَاعٍ فَيَنْتَاهَا
 كَمَا أَقُولُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضَمَّرَ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَلَاهَا
 وَلَكِنَّهُ اسْتَدْرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :
 وَلَوْ تَمَوْتُ وَرَأَعْتُ لَقَلْتُ لَهَا : يَا بؤْسَ الْمَوْتِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا
 وَقَالَ الْآخَرُ [مَنْ الطَّوِيلُ] :

تَمَنَيْتُ مَنْ حَبَى بُثِينَةً أَنَا وَوَدَدْنَا جَمِيعًا ثُمَّ نَحْيًا وَلَا أَحِبَّا
 فَتَرَجَعَ دُنْيَاهَا عَلَيْهَا وَإِنِّي بِسَاعَةِ ضَمَمَهَا رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا
 وَكُلِّ امْرِئٍ أَمَانِيهِ تَلِيْقُ بِعَالِيهِ ، قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَيْهِ : مَا تَمَنَّى ؟ قَالَ : سُنْدًا عَالِيًا وَبَيْتًا خَالِيًا ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْوَرَاقِينَ : مَا تَمَنَّى ؟
 قَالَ : قَلْبًا مَشَاقًا ، وَحَبْرًا بَرَّاقًا ، وَجُلُودًا وَأَوْرَاقًا ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الصُّوفِيَّةِ :
 مَا تَمَنَّى ؟ قَالَ : دَقْنَا^(١) وَدَقَا ، وَلَا أُرِيدُ رِزْقًا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ [مَنْ مَخْلَعُ الْبَسِيطِ] : آيَاتُ فِي أَنْوَاعٍ
 مِنْ الْأَمَانِي
 لَوْ قَالَ لِي خَالِقِي تَمَنَّى قُلْتُ لَهُ سَائِلًا بِصِدْقٍ
 أُرِيدُ فِي صُبْحِ كُلِّ يَوْمٍ فُتُوحَ خَيْرٍ يَأْتِي بِرِزْقٍ
 كَفِّ حَشِيشٍ وَرِطْلٍ لَحْمٍ وَمَنْ خَبَرَ وَنَيْكَ عِلْقٍ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ [مَنْ الْبَسِيطُ] :

لَوْ قِيلَ مَا تَمَنَّى قُلْتُ فِي عَجَلٍ أَخَا صَدُوقًا أَمِينًا غَيْرَ خَوَانٍ
 إِذَا فَعَلْتَ جَمِيلًا ظَلَّ يَشْكُرُنِي وَإِنْ أَسَأْتُ تَلَقَّانِي بِغَفْرَانٍ
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَارَةَ فِي الْأَمَانِي [مَنْ الطَّوِيلُ] :

أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حِسَانٌ كَأَنَّمَا سَقَنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا

(١) كَتَبَ مُصَحِّحُ مَطْبُوعَةِ بُولَاقِ مَانَصَه : قَوْلُهُ دَقْنَا كَذِبًا فِي النَّصْحِ وَلَعَلَّهُ دَقْنَا

مَنْ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا

وبديع قول الوزير مؤيد الدين الطغراني رحمه الله تعالى [من البسيط]:
أَعْلَلَّ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقَبِيَا مَا أَضِيقَ الْمَيْشَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
وقد أخذه الهاد الكاتب فقال [من الطويل]:

وَمَا هُذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفٌ نَوْرُخُ فِيهَا نَمٌّ يُنْمَعَى وَتُغْمَقُ
وَلَمْ أَرْعِشًا مِثْلَ دَائِرَةِ الْمَنَى تَوْسَعُهَا الْأَمَالُ وَالْعِيشُ صَبِيقُ

وقال العفيف إسحاق بن خليل كاتب الانشاء للناصر داود [من البسيط]:
لَوْلَا مَوَاعِيدُ آمَالٍ أَعِيشُ بِهَا لَمْتُ يَا أَهْلَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ زَمَنٍ
وَأِنَّمَا طَرْفُ آمَالٍ بِهِ مَرَحٌ يَجْرِي بِوَعْدِ الْأَمَانِ مُطْلَقِ الرَّسَنِ
وقال آخر [من الخفيف]:

فِي الْمَنَى رَاحَةٌ وَإِنْ عَلَتْنَا مِنْ هَوَاهَا يَبْعُضُ مَا لَا يَكُونُ
وقال أبو الوليد بن زيدون أيضاً [من الكامل]:

أَمَّا مَنْ قَلْبِي فَأَنْتَ جَمِيعُهُ يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بُعْضَ مَنْكَ
يُدْنِي مَزَارِكَ حِينَ شَطَبِهِ النَّوَى وَفَمَّ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالْكِ
ومن هنا أخذ الحاجري قوله [من الطويل]

بِمَذْمُوكِ الشَّوْقُ الشَّدِيدُ لِنَاطِرِي فَاطْرِقُ إِجْلَالًا كَأَنَّكَ حَاضِرُ
وقال ابن رزّين من شعراء الذخيرة [من مجزوء الكامل]:

لَأَسْرَحَنَّ نَوَاطِرِي فِي ذَلِكَ الْوَرُوضِ النَّضِيرِ
وَلَا كَلْتُكَ بِالْمَنَى وَلَأَسْرَبَنَّكَ بِالضَّمِيرِ

وقال علم الدين أيدمر الحيوى [من مجزوء الخفيف]:

كَمْ لَدَيْنَا أُمَانِيًّا قَدْ حَوَتْ مُحْكَمَ الْعَمَلِ
فَارْغَاتٍ مِنَ الدُّنَا نِيرٍ مَلَأَى مِنَ الْأَمَلِ

وهو عكس قول الآخر [من الطويل] :

وإن رجاء كامنًا في نواله لكالمال في الأكياس تحت الخواتم
وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

ليت شعري ما العذر لولا قضاء الله في رزقي وفي حرمانه
ولقد كنت أن أهيّم بحمل المهم لولا تملئي بالأمان

وله أيضا [من الكامل] :

حسب الفتى حسن الأمان إنه لا يعتريه مدى الزمان زوال
وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاملي [من الخفيف] :

لي حبيب لو قيل: ما تمنى ما تعدّيته ولو بالنسب
أشتهى أن أحلّ في كل طرفٍ فأراه يلحظ كلّ الميوس

وقال غيره [من الوافر] :

أعلل بالمتى قلبي لأنّي أفرج بالأمانى المهم عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجئ ولكن لأقل من التمنى

وقال الآخر وهو أصرح مما قبله [من الوافر] :

إذا ما عنّ ذكرك في ضميري وقابلني محيّاك الجليل
أصير لفرط أشواقى أيورا لعلنى أن نيكلك مستحيل

وهو يشبه قول الصفي الحلبي أيضا [من الوافر] :

إذا صدّ الحبيب لغير ذنب وقاطعتي وأعرض عن وصالي
أمثله وأنكسح عند صلحي بأثير الفكر في ثقب الخيال

وقد سد ابن المعتز باب المتى بقوله [من البسيط] :

لا تأسفن من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيه
وتابعه الخالدي فقال [من السريع] :

ولا تكن عبد المتى فالتى رهوس أمسوال المغاليس
وقال الآخر [من السريع] :

من قال من دنياه أمنيّة أسقطت الأيام منها الألف

وقال شرف الدين القبروانى أيضا [من الكامل] :

غلف تمنوا فى البيوت أمانياً وجميع أعمار الشام أمانى
وقال الآخر [من الوافر] :

ألا يا نفس إن ترضى بقوت فانت عزيزة أبداً غنية
دعى عنك المطامع والأمانى فكم أمنيّة جلبت منيّة
وقال أبو الحسين الجزار [من الخفيف] :

أنا فى راحة من الآمال أين من همى بلوغ المال
لى عجز أراح قلبى من الهم ومن طول فكرتى فى الحال
ما لباس الحرير مما أرجيه فبرجى ولا ركوب البغال
راحة السر فى التخلف عن كل محل أضحى بعيد المنال

وقال بعضهم [من الطويل] :

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا فإن صدقت جازت بصاحبها القدرا
وقال آخر [من الطويل] :

ولى من غمى النفس دنيا عريضة ومستفتح يفتدو على ويطرق
فقدت المتى إلا النفس تلوه عن المتى لتجربة منها ولا هى تصدق
وقال الصلاح الصفدى [من الطويل] :

ألا فاطر عك النفى ولا تبث بكاساته نشوان غير مغيق
فان كان مما لا غنى عنه فليكن وفاة عدو أو حياة صديق

وقد أكثرنا في طول الأمل وضده فلنرجع إلى أخبار كثير عزة .
يحكى أنه خرج في الحج بجمل يبيعه ، فمر بسكنية بنت الحسين رضى الله عنهما ،
ومعها عزة وهو لا يعرفها ، فقالت لها سكنية : هذا كثير سومي بالجل ، فسامته ،
فاستام بمائتي درهم ، فقالت : ضع عنا كذا وكذا ، لشيء قليل ، فأبى ، فدعت
له بتمر وزبد فأكل ، فقالت له : ضع عنا كذا وكذا ، لشيء قليل ، فأبى أيضا ،
فقالنا له : قد أكلت بأكثر مما نألك ، فقال : ما أنا بواضع شيئا ، فقالت
سكنية : اكشفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة ، فلما رآها استحيا وانصرف وهو
يقول : هو لكم ، هو لكم

وحدث محمد بن سلام قال : كان كثير يتقول ، ولم يكن عاشقا ، وكان جميل
صادق الصباة والعشق ، وقال أبو عبدة : كان جميل يصدق في حبه ، وكان كثير
يكنب في حبه

ويروى أنه نظر ذات يوم إلى عزة وهي تيمس في مشيتها ، فلم يعرفها ،
فاتبعها وقال لها : يا سيدتى ، قفى لى أكلك فأنى لم أر مثلك قط ، فمن أنت ؟
قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ فقال : بأبى أنت ! لو أن
عزة أمة لوهبتها لك ، قالت : فهل لك في المخالة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟
قالت : وكيف بما قلته في عزة ؟ قال : أقلبه كله وأحوله إليك ، فكتشفت عن
وجهها وقالت : أغدرا يا فاسق ، وإنك لمكذبا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت ، فلما
مضت أنشأ يقول [من الطويل] :

ألا ليتنى قبل الذى قلت شيب لى من السم جرعات بماء الذرارح
فتى ولم تعلم على خيانة وكم طالب للريح ليس برايح
أبوه بذنبى إننى قد ظلمتها وإنى يباقي سرها غير بائح

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة المنورة ، فاشتاق إليها فسافر ليلقاها ، فصادفها
في الطريق وهي متوجهة إلى مصر ، فجرى بينهما كلام طويل الشرح ، ثم إنها
(١٠ — مامد ٢)

انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير إلى مصر فوافهاها توفيت والناس
منصرفون عن جنازتها ، فأبى قبرها وأناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو
يقول أبياتاً منها قوله [من الطويل] :

أقول ونضوى واقف عند قبرها عليك سلام الله والعين تسفح
وقد كنت أبكى من فراقك حية فأنت لم ترى الآن أنأى وأنزع
وقال له عبد الملك بن مروان يوما : بحق على بن أبي طالب هل رأيت أحداً
أعشق منك ؟ قال : يأمر المؤمنين ، لو أنشدتني ^(١) بحمك لأخبرتكَ ، بينا أنا أسير
في بعض الفلوات إذ أنا برجل قد نصب جبالته ، فقلت له : ما حبسك هاهنا ؟
فقال : أهلكتي وأهل الجوع فنصبت جبالتي هنا لأصيب لهم شيئاً يكفيني
ويعصمنا يومنا هذا ، قلت : أرايت إن أقمت معك فأضبت صيدا فجعل لي جزءاً
منه ؟ قال : نعم ، فيينا نحن كذلك وقعت ظبية في الجبال فجرجنا نتبدر فبدري
إليها فقلها وأطلقها ، فقلت : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتني لها رقة لشبهها
بليلى وأنشأ يقول [من الطويل] :

أيا شبه ليلى لا تراعى فأننى لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وفاقها فأنت لليلي ما حيث طليق
وحدث عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال : بكى بعض آل كثير عليه
حين نزل به الموت ، فقال له كثير : لا تيك فكأني بك بعد أربعين يوماً تسمع
خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعاً إليك

وحدث يزيد بن عروة رحمهم الله تعالى قال : مات كثير وعكرمة رحمه الله
تعالى في يوم واحد ، فقيل : مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس ، ولم تخلف
امراً ولا رجلاً عن جنازتهما ، وغلب النساء على جنازة كثير يبكين ، يذكرن
عزة في نديهن ، فقال أبو جعفر محمد بن علي : افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها

(١) كذا والمحموظ أن هذا الفعل ثلاثي ، فالهزمة أوله لا محل لها

قال : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن علي رضي الله عنهما يضربهن بكفه ويقول : تَنَحَّيْنِ يا صويحبات يوسف ، فأتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صدقت ، إننا لصويحاته ، وقد كنا خيراً منكم له ، فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تحيئني بها إذا انصرفنا ، فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرر النار ، فقال لها : إيه أنت القائلة : إنك لن يوسف خير منا ؟ قالت : نعم ، تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله ، قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني ، قالت : نحن يا ابن رسول الله دعونا إلى اللذات من المطعم والمشرب والمتنع والمتنع ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الحب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن ، فأينا كان عليه أحن وبه أرفأ ؟ فقال لها محمد : الله درك لن تغالب امرأة إلا غلبت ، ثم قال : ألك بعل ؟ فقالت : لى من الرجال من أنا بعله ، فقال لها : ما أصدقك مثلك من تملك زوجها ولا يملكها ، فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه ربيبة فلانة بنت معقب الأنصارية وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة ، في ولاية يزيد بن عبد الملك ، رحمهم الله تعالى !

* * *

مدار الاستمارة
التبعية على
المعلم

١٠٤ - * قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّامِحَا *

هو لابن المعتز، من قصيدته السابقة في التشبيه (١) وصدده :

* جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ *

وبعده قوله :

إِنْ عَفَا لَمْ يُغْفَرْ لِلَّهِ حَقًّا أَوْ سَطَا لَمْ يَخْشَ مِنْهُ جَنَاحًا

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم (٧٩ في ص ٣٤ من هذا الجزء) .

ألف الهيجاء طفلاً وكهلاً
بحسب السيف عليه وشاحا
والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فان القتل والإحياء
الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود

١٠٥ - نَقَرِيهِمْ لَهْمِيَّاتٍ

مدار التبعية
على للنسول

قائله القطامي ، ولفظه :

نقريهم لهميات نقذ بها ما كان خاط عليهم كل زراد
وهو من قصيدة (١) من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي أولا:
ما اعتاد حب سلفي غير معتاد ولا تقضى بوائ دينها الطادي (٢)
بيضاء مخطوطة المتنين به كنة رياء الروادف لم تغل بأواد (٣)
ما للكواعب ود عن الحياة كما ودعنى والمخذن الشيب معادي
أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صداد
إذ باطلي لم تشع جاهليته عنى ولم يترك الخللان تقوادي
كنية الحى من ذى اليقظة احتملوا مستحقين فؤادا ما له فادى (٤)

(١) اقراها في ديوان القطامي (٧ أوربا)

(٢) في الديوان « حين معتاد » وفي الأصل * ولا تقضى بوائ دينها
الصادى * محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان . والطادى : الثابت
القديم .

(٣) في الأصل « مخطوطة » محرفا . ومخطوطة المتنين : لطيفتهما . ولم
تغل : من قولهم « أمغلت الشاة » إذا ولدت في السنة مرتين .
(٤) في نسخة من الديوان « من ذى الغضبة » وفي نسخة أخرى كما هنا
ونمة روايات أخرى ، وفي الديوان « مستحقين أسيرا » وعنى به فؤاده

بِتَوَا وَكَانَتْ حَيَاتِي فِي اجْتِنَاعِهِمْ
وَفِي تَقَرُّقِهِمْ قَتْلِي وَإِقْصَادِي
يَقْتُلُنَا بِمُحْدِثٍ لَيْسَ يَعْطُهُ
مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي (١)
فَهِنْ يَنْتِزِعْنَ مِنْ قَوْلٍ يَصْبَنَ بُو
مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

واللهزم : القاطع من الأسنة ، وأراد بلهنيات طعنات منسوبة إلى
الأسنة القاطعة ، أو أراد نفس الأسنة ، والتشبيه للبالغة ، والتقد : القطع ،
والزاد : صانع الدروع

والشاهد فيه : أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه
على الفاعل أو المفعول كما هنا ، فإن المفعول الثاني — وهو اللهنيات — قرينة
على أن « تزييم » استعارة .

وقد تقدم ذكر القطامي (٢) في شواهد القلب ، والله أعلم .

١٠٦ • غُرُّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا •

هو من الكامل ، وعامه :

• غَلِغَتْ لَضَحِكَتِي رَقَابُ الْمَالِ •

وهو من قصبة لكثير عزة ، وأراد بفسر الرداء كثير العطاء
والشاهد فيه : الاستعارة المجردة ، وهي ما قرنت بلام المتعارفه ، فانه
استعار الرداء للعطاء ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه ،
ثم وصفه بالفسر الذي يلائم العطاء دون الرداء فجزىدا للاستعارة ، والقرينة سياق

(١) في نسخة من الديوان و« لا مكتومه بادي » .

(٢) ارجع إلى ترجمة القطامي في شرح الشاهد (رقم ٣٢ في ج ١ ص ٧٩١
من هذه المطبوعة) .

الكلام ، وهو قوله « إذا تبسم ضاحكاً » أى شارعاً فى الضحك آخذاً فيه ، غلقت لضحكته رقاب المال ، يقال « غلق الرهن فى يد المرتن » إذا لم يقدر على انفكاكه ، وهو يريد فى البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقاب أمواله فى أيدي السائلين

ومن استعارة الرداء قوله [من الوافر] :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرِو زُوَيْدُكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ
لِي الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي فِدُونُكَ فَاغْتَجَر مِنْهُ بِشَطْرٍ

فانه استعار الرداء لل سيف ، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء .

وما أحسن استعارة الرداء فى قول أبى الوليد بن الجنان الشاطبي وهو [من مجزوه الرمل] :

فَوْقَ خَدِّ الْوَرْدِ دَمْعٌ مِنْ عَيُونِ الشَّحْبِ يَذْرَفُ
بِرْدَاءِ الشَّمْسِ أَضْحَى بَعْدَ مَا سَالَ يُجْفَفُ

وفى معنى عجز البيت قول امرئ القيس [من الطويل] :

غَلَقَنْ بَرَهْنَ مِنْ حَبِيبٍ بِهَادَعَتْ سُلَيْمِي فَأَضْحَى حَبْلُهَا قَدْ تَبَرَأَ
وَقَوْلِ زُهَيْرٍ [من البسيط] :

وَفَارَقَتْكَ بَرَهْنٍ لَا فَسْكَالَ لَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرُّهْنُ قَدْ غَلِقَا
وَقَوْلِ الْوَلِيدِ [من الطويل] :

* وَمِنْ يَكُ رَهْنًا لِلْحَوَادِثِ يَغْلِقِي *

وقول عمر بن أبى ربيعة [من الطويل] :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَايَهُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقِ رَهْنٍ إِذَا ضَمَهُ مَبْنِي^(١)

وقول أبى جعفر بن مسleme بن وضاح مخاطب ساجع حمام من أبيات [من السريع] :

وَهَاجَ مَبْنِكَالِكَ بَيْسْتَانِ إِسْرَاهِيمَ لِلنَّجْدِيِّ ذَكَرَ الْقَطِينِ

(١) كذا ، ولم اجد له فى ديوان عمر

فَرَجَ فَسَاعِدْنِي عَلَى لَوْعَتِي فَأَنْ رَهْنِي غَلَقْتُ فِي الرُّهْنِ
وَقَوْلِ أَبِي نَصْرٍ السَّاجِي [مَنْ الرِّجْ:]
تَشْكُو إِلَيْكَ جُفَّتِي مَا نَالَهَا فَيَالَهَا إِنْ صَرَّتْ وَيَالَهَا
لَأَنهَا مَرْهُونَةٌ بِجُبُكُم طَوْبًا لَهَا إِنْ غَلَقْتُ طَوْبًا لَهَا
وَمَا أَلْظَفَ قَوْلَ الصَّلَاحِ الصَّفْدَى مَعَ زِيَادَةِ إِيْهَامٍ وَإِيْهَامِ الطَّبَاقِ [مَنْ
الْمَجْثُ:]

سَهَامٌ لِحَفْظِكَ أَصْنَتْ قَلْبِي وَلَمْ تَرَفُقْ
مَا تَفْتَحُ الْجَفْنَ إِلَّا وَرَهْنِ قَلْبِي يَفْلُقُ

لدى أسدٍ شاكٍ السلاح مُنْذَفٍ لَهُ لَبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقُلْ

تقدم قريياً^(١) أن قائله زهير بن أبي سلمى ، من قصيدة من الطويل
واللبد بالكسر^(٢) شَرَّ زَبْرَةِ الْأَسَدِ ، وَكُنَيْتُهُ أَبُو لَبْدٍ ، وَالتَّعْلِيمُ : مِبَالَقَةٌ
القلم وهو قطع الأظفار

والشاهد فيه : اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة ، فالتجريد قد عرف
قبله ، والترشيح هو : ما قرن بعلام المستعار منه ، فقوله هنا « لدى أسد شاكٍ
السلاح » تجريد ، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع ، وباقي
البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه ، وهو الأسد الحقيقي
ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر^(٣) حيث قال [من الطويل]

(١) هو الشاهد رقم (٩٧) الذي مضى شرحه في (ص ١١٢ من هذا الجزء)

(٢) يزيد بكسر أوله ، وأما ثانيه ففتوح .

(٣) انظر حديث هذا الأخذ عن الأصمعي في الشعر والشعراء (١٠١ أوروبا)

لَمَرُّكَ إِنَّا وَالْأَحَالِفَ هَوْلًا لِنِي حَقِيَّةٍ أَظْفَارُهَا لَمْ تَقْلَمَ (١)
أى : نحن فى حرب ، وكذلك أخذه النابذة حيث قال أيضا [من السكامل]:
وَبَنُو قَعْبَيْنِ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ غَيْرَ مُقْلَى الْأَظْفَارِ

١٠٧- وَيَصْغُدُّ حَتَّى يَظُنُّ الْجَوْلُ بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

مبنى الترشيع
على تناسي
التشبيه

البيت لأبى تمام الطائي ، من قصيدة (٢) من المتقارب يرى بها خالد بن يزيد
الشيثاني ويدكر أباه ، وأولها :

نَعَاءٌ إِلَى كُلِّ حَيٍّ نَعَاءٌ فَنَى الْعَرَبِ اخْتِطَرُفَ الْفَنَاءِ
أَصْبِنَا جَمِيعًا بِسَهْمِ النَّضَالِ فَهَلَا أَصْبِنَا بِسَهْمِ الْفَلَاءِ (٣)
أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ جُعْتُنَا بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحِيَاءِ
فَإِذَا حَيَّوْتَ بِهِ حَاضِرًا وَمَاذَا خَبَّاتَ لِأَهْلِ الْخِلْيَاءِ (٤)
نَعَاءٌ نَعَاءٌ شَقِيقَ النَّدَى إِلَيْهِ نَعِيًّا قَلِيلَ الْجَدَاءِ
وَكَاثَرًا مَانًا شَرِيكَ عِنَانٍ رَضِيعِي لِبَانٍ خَلِيلِي صَفَاءِ (٥)
إِلَى أَنْ قَالَ بِخَاطَبٍ وَلَهُ :

- (١) فى الأصل « لى جعبة » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشعراء .
(٢) أقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤٧ يروت) وقد أثبتت هذه الأبيات
المروية هنا وكانت مبنية على الألف اللينة ، بدون همزة فى رويها وهو خطأ
(٣) فى الأصل « بسهم النصال » وفيه « بسهم الملا » وكلاهما تحريف ، وما
أثبتناه موافق لما فى الديوان ، والغلاء : مجاوزة الحد .
(٤) فى الأصل « وماذا حضرت به حاضرا »
(٥) فى الديوان « وكأنا جميعا » .

أَبَاجَمَرُ لِيُؤَرِّكَ الزُّمَّا نُؤَزَّ وَيَكُنَّكَ طُولُ الْبَقَاءِ (١)
 فَمَا مَرُّكَ الْمُرْتَجَى بِالْجَهَامِ وَلَا رِيحُنَا مِنْكَ بِالْجَرِيَاءِ (٢)
 فَلَا رَجَعْتَ فِيكَ تِلْكَ الظُّنُونِ حَيَارَى وَلَا أَسْدُ شَيْبِ الرَّجَاءِ
 وَقَدْ نَكِسَ الثُّغْرَ فَاغْبَثْ لَهُ صُدُورَ الْقَنَاقِ ابْتِثَاءِ الشُّمَاءِ
 فَقَدْ مَاتَ جَدُّكَ جَدَ الْمُلُوكِ وَنَجْمُ أَيْكَ حَدِيثُ الضِّيَاءِ
 وَلَمْ يَرْضَ قَبْضَتُهُ لِلْحَمَامِ وَلَا حَمْلُ عَاتِقِهِ لِلْوَاءِ
 فَمَا زَالَ يَقْرَعُ نَلَّكَ الْعَلَاءِ مَعَ النِّجْمِ مَرْتَدِيًّا بِالْعَمَاءِ (٣)

وبعد البيت ، وهى قصيدة طويلة ، وهذا البيت فى مدح أبيه وذكر علوه
 والشاهد فيه : أن مبنى الترشيع على تناسى التشبيه ، حتى إن المرشح يبنى
 على علو القدر الذى يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى
 السماء ، فلو أن قصده أن يتناسى التشبيه ويُعبر على إنكاره فيجعله صاعداً فى
 السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه

ومثله قول بشار [من مجزوء الوافر] :

أَتَنَنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَ

وقول ابن الرومى يمدح به بنى نوبخت [من المنسرح] :

شَافَهُمُ الْبَدْرَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَمْرِ إِلَى أَنْ بَلَغْتُمْ رُحُلَا

وقول أبى الطيب المتنبي أيضاً [من الكامل] :

كَبُرْتُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ

(١) فى الديوان « ليعرك الزمان * عزاء ».

(٢) المزن : السحاب ، والجهام : الذى لا ماء فيه ، والجرياء : ريح الشمال

(٣) العماء : السحاب المرتفع .

وقول الآخر [من الطويل] :

ولم أَرِ قَبْلَ مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ مُنَاقِقُهُ الْأَسَدُ
وقد اتفق علماء البديع على تقديم الاستعارة المرشحة على غيرها في هذا
الباب ، وأنه ليس فوق رتبته رتبة ، ولذا ذكر نبذة منها ومن غيرها ، فمن
محاسن ماورد فيها قول أبي جعفر الشقري [من السريع] :

يَهْلُ تَرَى أَظْرَفَ مَنْ يَوْمَنَا قَلَدَ حَيْدَ الْأَفْقِ يَلُوقُ الْعَقِيقُ
وَأَتَقَ الْوَرَقَ بِمِيدَانِهِ مَرْقَصَةً كُلَّ قَضِيبٍ وَرِيقُ
وَالشَّمْسُ لَا تَشْرَبُ خِرَالِنْدَى فِي الرُّوضِ إِلَّا بِكُؤُوسِ الشَّقِيقِ
ومثله في الرشاقة قول ابن رشيقي [من السريع] :

بَاكِرٌ إِلَى اللَّذَاتِ وَارَكِبٌ لَهَا سَوَابِقَ اللَّهِوِ ذَوَاتِ الْمَزَاحِ
مَنْ قَبْلُ أَنْ تَرُشِفَ شَمْسُ الضُّحَى رِيقَ الْغَوَادِي مِنْ تُغُورِ الْأَقَاحِ
ولطيف قول بعضهم أيضاً [من السريع] :

شَرَّابُنَا الرِّيقُ وَكَسَاتُنَا شِفَاهُنَا وَالْقُبْلُ النُّقْلُ

ويقرب من البيت الأول ، من قول ابن رشيقي ، قول ابن المعتز ،

[من الوافر] :

وَقَدَّرَ كَهْزَتُ بَنَاخِيلِ الْمَلَاهِي وَقَدْ طَرَّنا بِأَجْنَحَةِ الشُّرُورِ

وبديع أيضاً قول ابن وكيع [من الرمل] :

غَرَدَ الطَّيْرُ فَنَبَّهَ مِنْ نَفْسٍ وَأَذَرِ كَأْسُكَ فَالْعَيْشُ خُلْسُ
مُلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غَيْدِ الدَّجَى وَتَمَرَّتِ الصَّبْحُ مِنْ ثَوْبِ الْغُلَسِ
وَانْجَلَى عَنْ حَلَلٍ فَضِيَّةٍ فَالَهَا مِنْ ظُلَمِ اللَّيْلِ دَنْسُ

وقول أبي نُوَّاسٍ [من السريع] :

بصحنٍ خَدَيْ لَمْ يَفْضْ مَازُهُ وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

فَأَذَابِدَا اقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ قَسَرَّا إِلَيْهِ أَعْنَى الْحَدَقِ
وقوله أيضاً ، وهو عجيب هنا [من البسيط] :

مَا زِلْتُ أُسْتَلُّ رُوحَ الزَّقِّ فِي لَطْفٍ وَأُسْتَقَى دَمُهُ مِنْ جَفَنِ مَجْرُوحِ
حتى اثنتيت ولي روحان في جسدي وَالزَّقُّ مُنْطَرِحٌ جِسْمٌ بِلَا رُوحِ

وقول البدر الذهبي ، وأجاد [من مغلغ البسيط] :

مَا نَظَرْتُ مُقْلَتِي عَجِيغًا كَاللُّوزِ لَمَّا بَدَا نَوَارُهُ
اشتعل الرأس منه شيئاً وَاخْضَرَّ مِنْ بَعْدُ عَذَارُهُ

وقول ابن خفاجة الأندلسي [من الطويل] :

وَقَدْ جَالَ مِنْ حَوْلِ الْغَمَامَةِ أَذْهُمٌ لَهُ الْبَرْقُ سَوَطٌ وَالشَّمَالُ عِنَانُ
وَضَمِخَ دَرْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطُ جُحَانُ
وَنَمَتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَيْلَةٌ لَهَا النُّورُ نَفْسٌ وَالنَّسِيمُ لِسَانُ

وقول ابن قناص [من الخفيف] :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ حِينَ تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنَ النَّدَى بِجُمَانِ
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُنَامِلِ الْأَغْصَانِ

و بديع أيضاً قول ابن بُنَاتَةَ السَّعْدِي [من الطويل] :

خَرَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَظْهُورَهُمْ عَيُونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ
لَقَوْا نَبْلًا نَمَرْدَ الْعَوَارِضِ وَانْتَنَوْا لِأَوْجُهُمْ مِنْهَا لَحَى وَشَوَارِبُ

وقول الشريف أبي الحسن العقيلي [من المتقارب] :

وفرق تيجانَ نَوَارِهِ فلم ينسَ من غُصْنٍ مَفْرِقًا
 وقوله أيضاً [من الوافر] :
 إذا أبدى مُؤامِرَةَ النجى أفتُ لهُ وُجوه الاحتمالِ
 وقوله أيضاً [من الكامل] :
 خَلَصَ بِجَاهِ الوصلِ قلبَ متيِّمٍ غمَزَ الصَّدُودُ عليه أعوانَ الضئِ
 وقوله أيضاً [من الخفيف] :
 كلما لاحَ وَجْهُهُ بِمِكانٍ كثرت زحمةُ العيونِ عليه
 وقوله أيضاً [من المتقارب] :
 فلما تبدى لنا وجهُهُ تَهَيَّنَّا محاسنهُ بالعيونِ
 وقول السرى الرقاء في يوم بارد من أبيات [من مجزوء الكامل] :
 متلون يبدى لنا طرقاتَ بأطرافِ النهارِ
 فهوهُ من كسبِ الرذا وغيمه جافٍ إلا زارِ
 يبكى فيجمدُ دمه والبرقُ يكحله بنارِ
 وقول أبي القاسم الدينورى [من مجزوء الرمل] :
 من عَدَّ يرى من بديعِ الـ حسنَ ذى قدَرٍ رشيقِ
 أنبتَ في فيه اللؤلؤ لؤلؤ أرضٍ من عقيقِ
 وما أظف قول أبى زكرياء المغربى من قصيدة أولها [من الرمل] :
 نامَ طفلُ التبتِ في حجرِ النعامِ لاهتزازِ الطلِّ في مهدِ الخُرْأَجِ
 يقول فيها :
 كحلَّ الفجرُ لهم جفنَ الدجى وغداً في وجنة الصبحِ لثاماً
 تحسبُ البدرَ مُحيّاً تملُّ قد سقته راحةُ الفجرِ مداً
 وقول السامى ، وهو بديع [من البسيط] :
 والكأسُ للسُّكرِ التهرى صائفة والماءُ للحبِّبِ الدرِّى نَظَامُ

بِقَنَانِكَ كَفُّ بِالْكَسَاةِ أَدْمَعُنَا كَأَنَّا فِي حَجَرٍ الرُّوضِ أَيْتُمٌ
وما أبدع قوله أيضاً [من الوافر] :

تَبَسُّطُنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ نَمْرِ الدُّنُوبِ
قيل : كان الصاحب بن عباد يستحسن هذا البيت ، وكان يستشهد به
كثيراً ، ويقول : مادري قائله أى درة رعى بها ، وأى غرة سيرها وخلدها .
وقول التنوخي وهو من غريب الاستعارات [من الخفيف] :

وَرِيَاضٍ حَاكَتْ لَهَا التُّرَيَّا حُلَلًا كَانَ غَزَلُهَا لِلرُّعُودِ
نَثَرَ الْفَيْثُ دُرَّ دَمْعٍ عَلَيْهَا فَتَحَلَّتْ بِمِثْلِ دُرِّ الْعُقُودِ
أَقْحَوَانُ مُمَانِقٍ لَشَقِيقِي كَشْفُورٍ تَمَضَّى رَدَّ الْخُدُودِ
وعيونٌ من نرجسي تترأى كميونٍ موصولة التسبيد
وكان الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في حدود الفيد
وكان الندى عليها دموعٌ في عيونٍ مفعوجة بفقيد
وقول السيد أبي الحسن علي بن أبي طالب البلخي ، من أبيات

[من الطويل] :

وَكَمْ قَدَمَضَى لَيْلٌ عَلَى أُبْرُقِ الْجَمِيِّ مُضَى وَيَوْمٌ بِالْمَشْرِقِ مُشْرِقُ
تَسَرَّعْتُ فِيهِ اللَّهُوَ أَمْلَسَ نَاعِمًا وَأَطِيبُ أَنْسِ الْمَرْءَ مَا يَتَسَرَّعُ
وَيَا حَسَنَ طَيْفٍ قَدْ تَمَرَّضَ مَوْهَنًا وَقَلْبُ الدُّجَى مِنْ صَوْلَةِ الصَّبْحِ يَخْفَى

وقول ابن الساعى [من الطويل]

وَلَوْلَا وَشَاءُ بَلْ رُوَاةٌ تَخَرَّصُوا أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي مِمَاعٍ وَلَا قَلَرِ
لَثَمْتُ نَمُورَ النُّورِ فِي شَنْبِ النَّدَى خِلَالَ جَبِينِ النَّهْرِ فِي طَرَرِ الظَّلِّ

وقول القاضي كمال الدين بن النبيه [من الطويل] :

تَبَسَّمَ نَعْرُ الرُّوضِ عَنْ شَنْبِ الْقَطْرِ وَدَبَّ عِنْدَارُ الظَّلَاقِ وَجَنَّةُ النِّهْرِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

والنهرُ خَدٌّ بالشَّعَاعِ مُورَدٌ قَد دَبَّ فِيهِ عِنْدَارُ ظِلِّ الْبَانِ
والماءُ فِي سُرُوقِ النُّصُونِ خَلَاخُلٌ مِنْ فِضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالنَّيْجَانِ
وقول ابن قُرَنَاصٍ أيضاً [من الوافر] :

لَقَدْ عَقَدَ الرَّبِيعُ نُطَاقَ زَهْرٍ يَضُمُّ بِفِضْنِهِ خَصْرًا نَحِيلًا
وَدَبَّ مَعَ الْمَشَى عِنْدَارُ ظِلٍّ عَلَى نَهْرٍ حَكَى خَدًّا أُسِيلًا
وكلهم قد أخذوا الوجه والعنار من ابن خناجة ، حيث قال
[من الطويل] :

وَإِنِّي وَإِنْ جِثْتُ الْمَشِيبَ لَمَوْلَعٌ بِطَرَّةٍ ظِلٌّ فَوْقَ وَجْهِ غَدِيرٍ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الشَّهَابِ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقِ [من البسيط] :
إِذَا الْكَرَى ذَرَّ فِي أَجَانِبَاتِنَا سِنَّةً مِنَ النَّعَاسِ نَفْضُنَاهَا عَنْ الْمُدْبِرِ
وقول ابن نباتة المصري أيضاً [من الطويل] :

وَلَمَّا جِئْتُ طَرَفَ رِيَاضِ جَمَالِكُمْ جَعَلْتُ سُهَادِي فِي عَقُوبَةٍ مَنِّجِي
أَجَابِنَا إِنْ عَقَمَ السَّفْحَ مَنْزِلًا وَأَخْلَيْتُمْ مِنْ جَانِبِ الْجَنْدَعِ مَوْطِنًا
فَقَدْ حَزَنْتُمْ دَمْعِي عَقِيقًا وَمُهْجِي غَضَّيْ وَسَكَنْتُمْ مِنْ ضُلُوعِي مُنَحْنِي
وقوله أيضاً [من الكامل] :

هَذِي الْحَنَامُ فِي مَنَابِرِ أَيْكَا تُمَلِّى الْفَنَاءَ وَالطَّلَّ يُكْتَسِبُ فِي الْوَرَقِ
وَالْقَضْبُ تَخْفُضُ لِلْسَّلَامِ دُرُوسَهَا وَالزَّهْرُ يَرْفَعُ زَانِرِيهِ عَلَى الْحَدَقِ
وهو أحسن من قول الأمير مجير الدين بن تميم [من الكامل] :
إِنِّي لِأَشْهَدُ لِلْحَيَى بِفَضِيلَةٍ مِنْ أَجْلِهَا أَصْبَحْتُ مِنْ عَشَائِهِ

مَا زَارَهُ أَلَيْمَ نَرْجِسِهِ فَنَى إِلَّا وَأَجْلِسُهُ عَلَى أَحْدَاقِهِ
وقول مجد الدين الأربلى [من الكامل] :

أَصْنَبِي إِلَى قَوْلِ الْعَذُولِ بِجَمَلِي مُسْتَفْهِمًا عَنْكَ بَغِيرَ مَلَالِ
لَتَلْقَطِي زَهْرَاتٍ وَرَدِّ حَدِيثِكُمْ مِنْ بَيْنِ شَوْكٍ مَلَامَةِ الْعَذَالِ
وقول مائى الموسوس [من المتقارب] :

دَعْنِي إِلَى وَصْلِهَا جَهْرَةً وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لَهَا أَعْشَقُ
فَقَمْتُ وَالسَّكْرَ مِنْ مَفَرِّ إِلَى قَدَمِي أَلَسُنُ تَنْطَقُ

وما أجود قول أبي طاهر البغدادى فى نار القرى [من الكامل] :
خَطَرْتُ فَكَادَ الْوَرَقُ تُسْجَعُ فَوْقَهَا إِنْ الْحَمَامَ لَمَوْلَعٌ بِالْبَانِ
مِنْ مَعْشَرٍ نَشَرُوا عَلَى تَاجِ الرُّبَا لِلطَّارِقِينَ ذَوَائِبَ النَّيْرَانِ
وهو مأخوذ من قول الأول [من الطويل] :

يَبْتَثُونَ فِي الْمَشْتَى خِصَاصًا وَعِنْدُهُمْ مِنْ الزَّادِ فَضْلَاتٌ تَعْدُ لِمَنْ يَقْرَى
إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ طَارِقٌ رَفَعُوا لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الظُّلُمَاءِ أَلْوِيَةً حَمْرًا
وقول صرد فيها [من الكامل] :

قَوْمٌ إِذَا حَيَا الضُّيُوفُ جَفَانُهُمْ رَدَّتْ عَلَيْهِمُ أَلْسُنُ النَّيْرَانِ
ومنه قول النهاى [من الكامل] :

نَادَتْهُ نَارُكَ وَهِيَ غَيْرُ فَصِيحَةٍ وَهَنًا بِحَقِّ ذَوَائِبِ النَّيْرَانِ
وقد بالغ مهبّار الديلمى فى قوله [من الكامل] :

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قَبَائِهِمْ يَتَقَارِعُونَ عَلَى قَرَى الضُّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقَدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبُّ الْقَرَى طَرَبًا عَلَى النَّيْرَانِ

وما أحسن قول ابن سُكْرَةَ ، وهو صاحب البيتين الجامعين لكلمات الشناء
[من مجزؤه الرمل] :

قِيلَ بِمَا أَعْدَدْتَ لِلْبَرِّ دٍ فَقَدْ جَاءَ بِشِدَّةٍ
قُلْتَ دُرَّاعَةً عُرِّي نَحْمَهَا جَبَّةٍ رَعْدَةً

وما ألطف قول ابن عمار [من الكامل] :

أُدرِ الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنَّان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كلفوره لما استردَّ الليلُ منَّا العنبرا
ومن بديع الاستمادة - على سخفه ومجونه - قولُ سعيد بن سناء الملك ،
[من مجزئه الكامل] :

يا ههنا لا تستحي مني قد انكشف المغطى
إن كان كُكُّك قد تنأى عَـبَ إِن أبرى قد تمطى

فاستمارة الثناؤب والتعطى هنا من أحسن الاستعارات . قال ابن جبارة :
أنشدني هذا ابنُ سناء الملك ، وزاد في الإعجاب به ، فلما عُتِدُ إلى البيت
أُخِنَتْ جزءاً من البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، فوجدت فيه أن
بفسادية قالت لأخرى : خرجت اليوم إلى العيد ؟ قالت : إى وحياتك ،
قالت لها : فما رأيت ؟ قالت : أحرأحاً تتشاب وأيوراً تمطى ، فلما اجتمعتُ
به قلت له : قد عرفتُ وعثرت على الكثر الذى انتهت به ، وحكى له الحكاية
قال : سيدنا يفتش عن أمرى .

ومن ظريف الاستعارات قول الأمير مجير الدين بن نعيم [من الكامل] :
كيف السبيلُ لأنْ أُقْبَلَ خَدَّ مَنْ أَهْوَى وقد نامت عيونُ الحرَّسِ
وأصابعُ المنشور تُؤمِّي نَحْوَنَا حسداً وتغمرها عيونُ النرجسِ
وبديع قول السلاوى أيضاً في وصف الحرب [من الكامل] :

والنقع ثوبٌ بالنسور مطررٌ والأرضُ قرشٌ بالجياذ مخيلٌ
وسطورٌ خيلك إماءاً أليفاتها سمرٌ تنقط بالدماء وتشكلُ
وأجاد البدر بن يوسف الذهبي بقوله [من السريع] :

هلم يا صاح إلى روضةٍ يجلبها العاني صدًا ثمه
نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كفه

ومن ظريف الاستمارة أيضاً قول ابن النويرة [من مجزوء الكامل] :

عاينتُ حبةً خاله في روضةٍ من جُلنارٍ
ففسدا فؤادي طائراً فاصطاده شركُ العذارِ

وما أبدع أيضاً قول الشريف الرضي الموسوي [من البسيط] :

أرسي النسيمُ بواديكم ولا يرحتُ حواملُ المزنِ في أجداكم تضعُ
ولا يزالُ جنينُ التبتِ ترُضُهُ على قبوركُمُ الراضةُ المغمُ

وقد أخذه ابن أسمعد الموصلي ، فقال من قصيدة ، يتشوق فيها إلى دمشق

[من البسيط] :

سقى دمشقَ وأياماً مضتُ فيها حواملُ السُحبِ باديها وعاديها
ولا يزالُ جنينُ التبتِ ترُضُهُ حواملُ المزنِ في أحشأ أراضينا
ومحاسن هذا الباب كثيرة ، والاقتصار على هذه النبتة أولى .

١٠٨ — هي الشَّهْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَزُ الْفؤَادِ عَزَاءُ جَبِيلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التَّزَوُّلَا

البيتان للعباس بن الأحنف ، من المتقارب

(١١ — معاهد ٢)

والشاهد فيهما: جواز البناء على الفرع - وهو المشبه به - مع جحد الأصل وهو المشبه، لأنه هنا طوى ذكر الأصل، وجعل الكلام خلوا منه، ويسى هذا الجواز المفرد، ومنه قول الفرزدق [من الطويل]:

أبي أحمدُ الغيثين صمصعةً الذي متى تبخل الجوزاء والدُّلو يُعْطِرُ
وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشين [من الكامل] :
يتماورَانِ من الغبارِ مَلَأَةً بيضاء محمكةً إذا نسجَاهَا
تُطَوَّى إذا وَرَدَا مكانًا محزناً وإذا السنا بكُ أسهلتُ نشرَاهَا
وقول سعيد الكاتب النصراني [من مجزوء الخفيف] :

قلتُ زورِي فأرسلتُ أنا آتِيكَ مُحَرَّةً
قلتُ فالليلُ كانَ أخفى وأدنى مَسَرَّةً
فأجابتُ بحجةٍ زادتِ القلبَ حِمَرَةً
أنا شمسٌ وإِني تطلعُ الشمسُ بِكَرَّةً
وله في معناه أيضاً [من الخفيف] :

وعدَّ البدرُ بالزيارةَ ليلًا فاذا ما وفي قضيتُ نذوري
قلتُ يا سيدي فلمْ تؤثرِ الليلُ على بهجةِ النهارِ المنيرِ
قال لي لأحبُّ تغييرَ رسمي هكذا الرَّسمُ في طلوعِ البدرِ
وقال في معناه أيضاً [من الخفيف] :

قلتُ للبدرِ حينَ أعْتَبَ زُرِّي واشتتِ الوصلَ بالقللِ والتجاني
قالَ إني معَ المشاءِ سآتي فانتظرنِي ولا تخفِ من خِلافِ
قلتُ يا سيدي فزُرْنِي نهارًا فهو أدنى لقربةِ الإيلافِ
قالَ لا أستطيعُ تغييرَ رسمي إنما البدرُ في الظلامِ يوافي

وقد جمع أبو العلاء المعرى المعنيين في قوله [من الخفيف] :

هي قالت لما رأته شيب رأسي وأرادت تنسكراً وازوراراً
أنا بدر وقد بدا الصبح من شيبك والصبح يطرد الأقاراً
قلت لابل أراك في الحسن شمساً لا تروى في الدجى وتبهونهاراً



١٠٩ - وإذا النية أنشبت أظفارها ألقيت كل نعمة لا تنفع
شاهد الاستعارة بالكناية

البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، من قصيدة ^(١) من الكامل ، قالها وقد هلك
له خمس بنين في عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر ، فقام بهذه
القصيدة ، وأولها :

أمن المنون وزيبها تنوجع والدمر ليس بمعذب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعه إلا أقص عليك ذاك المضجع ^(٢)
فأجبتها أما لجسمي إنه أودى بئي من البلاد فودعوا ^(٣)
أودى بئي فأعقبوني حسرة عند الرقاد وعبرة لا تقلع
فالعين بعدم كأن حداقها كحبات بشوك فهي عور تسمع ^(٤)

- (١) انظرها في ديوان أبي ذؤيب في مجموعة شعر الهذليين (١ - ١ طبع دار الكتب المصرية) وانظرها أيضاً في المفضليات ، ولم يراع المؤلف ترتيبهما
(٢) في المفضليات « أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا » وكذلك في الديوان
(٣) في الأصل « فأجبتها أرني لجسمي » وأثبتنا ما في المفضليات والديوان
(٤) في المفضليات « سملت بشوك » وكذلك في الديوان

فَهَرَّتْ بِمَدْمُ بَيْشٍ فَاصْبِ وَإِخَالُ أَيْ لَاحِقُ مُسْتَسْبِمُ
 سَبَقُوا هَمَوًى وَأَهْنَقُوا لَهَوَامُ فَتُخَرَّتُوا وَاسْكَلَ جَنْبُ مَرْعُ
 وَقَدْ حَرَصْتُ بَانَ أَدَامَعُ عَنْهُمْ فَذَا الْمُدَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
 وَبَعْدَ الْبَيْتِ ، وَبَعْدَ :

وَنَجْلِدِي لِشَامَتَيْنِ أَرِيمُ أَيْ لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ
 حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْؤَةٌ بِصِفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تَقْرَعُ
 وَالْمَهْرُ لَا يَسْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاقَةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرِيمُ^{١١}

يروى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما استأذن على معاوية فى مرض موته ليعوده ، فأذن وأمر أن يقدم ويسند ، وقال : ائذنوا له ، وليسلم قائماً ولينصرف ، فلما سلم عليه وولى ، أنشد معاوية قول المذنب فى هذه القصيدة • ونجلدى لشامتين أريم • البيت • فأجابه ابن عباس على الفور : • وإذا النية أنشبت • • البيت • ثم ما خرج من داره حتى سمع الناعية عليه .

والشاهد فيه : الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخيلية ، فهو هنا شبه فى نفسه النية بالسبع فى اغتياله النفوس بالقهر والقلبة من غير تفرقة بين نفع وضرر ولا رقة لرحوم ، فأثبت لها الأظفار التى لا يكمل الاغتيال فى السبع بدونها تحقيقاً للبالغة فى التشبيه ، فتشبيه النية بالسبع استعارة بالكناية ، وإثبت الأظفار لها استعارة تخيلية .

(١) فى الأصل «جون السحاب» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى المفضليات والديوان والأغاني وخزانة الأدب - وأراد بجون المرأة حماراً وحشياً ، والمرأة - بفتح السين - أعلى الظهر ، والجدايد : الآن اللواتى خفت ألبانهن واحدهن جدود .

م. هادي
الحادي

وهو يقول : من الكامل :

بين النخيل ومغدير الاطام

تَذَرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْنِجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، ففعلت به ذبحا يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به ، ففني لي شيئهم — — يعني القنفذ — قد قبض على صلٍ — — يعني الحية — — فهي تلتوي عليه ، والشيهم يقضها حتى أكلها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيهم شيء مهمم — — والتواء الصل : التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم بإيها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر ، فحثثت ناقتي ، حتى إذا كنت بالفسابة زجرت الطائر ، فأخبرني بوفاته ، ونمَّ غراب سانح ، فنطق بمثل ذلك ، فتموت بالله من شرماعن

(١) لابی ذویب ترجمه فی الاغانی (٦-٥٨) وتاریخ دمشق لابن عساکر (٥-١٧٩) وخزانة الادب (١-٢٠٣) والشمراء لابن قتیبة

(۲) کذا ، وفي الأغاني « خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن مخزوم » وهو تحريف وما هنا موافق لما في الخزائن ومطلع ديوانه

لى فى طريقى ، وقدمت المدينة المنورة ، ولها ضجيج بالبكاء ، كهضجيج الحجيج
إذا انطوى بالإحرام ، قلت : مه ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فجنّت إلى المسجد ، فوجدته خاليا ، فأتيت بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فأصبت بابه مُرتجاً ، وقيل : هو مُسجى ، وقد خلا به أهله ، قلت :
أبن الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار ، فجنّت إلى
السقيفة ، فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالماً وجماعة من
قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عباد ، وفيهم شعراؤهم : حسان
ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وملاً منهم ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت
الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب ، وتكلم أبو بكر ، فله دره
من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلم بكلام
لا يسمعه سامع إلا مال إليه واتقاد له ، ثم تكلم عمر بعده بكلام دون كلامه ،
ومدة يده ، فباليه وبأبيوه . ورجع أبو بكر ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت مدفنه صلى الله عليه وسلم . ثم أنشأ
أبو ذؤيب يبكى النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) [من الكامل] :

لما رأيتُ الناس فى عسلانهم ما بين ملحودٍ له ومُضَرَّحٍ
متناذبين للشرح بأكنهم نصّ الرقاب لفقْد أبيض أدرج
فهنالك صرتُ إلى الهموم ومن بيت جار الهموم ببيت غير مروح ^(٢)

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوان أبى ذؤيب المطبوع فى ديوان
الهذليين بدار الكتب المصرية ، وتوجد ماعداً ثانيها فى تاريخ دمشق باختلاف
يسير فى الفاظها

(٢) فى تاريخ دمشق « بيت غير مرزح » محرفاً

كفت لمصرعه النجوم و بدرها وتضعضت آطامُ بطن الأبطح^(١)
وتزعزت أجبالُ يثرب كلها ونخيلها لخلول خطب مدفع^(٢)
ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرتُ سعد الأذبح
وزجرتُ أن نعب المشحجُ سائحاً متفائلاً فيه بقال أقبح^(٣)
ثم انصرف أبو ذؤيب رحمه الله تعالى إلى باديته ، فأقام بها .
وقال جند بن سلام : كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غيرة فيه ولا وهق .
وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ قال : أحياً أم رجلاً . قالوا : حياه
قال : أشعر الناس حياه هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . وقال
جد بن معاذ العمري : في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراء ، وكان اسم
الشاعر بالعبانية مؤلف زوراء ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العيرانية ،
— وهو كثير بن إسحاق — فحجب منه ، وقال : قد بلغني ذلك .
وكان أبو ذؤيب يروى امرأة ، يقال لها : أم عمرو ، وكان يرسل إليها خالد
ابن زهير ، فخانها فيها ، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل ، يقال له : عويمر
ابن مالك بن عويمر ، وكان رسوله إليها ، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرَّمها
فأرسلت ترضاه ، فلم يفعل ، وقال فيها^(٤) [من الطويل] :
تُرِيدَن كَمَا تَجْمَعِينِ وَخَالِئاً وَهَلْ يُجْمَعُ السِّفَانُ وَيَحْكُ فِي غَمْدٍ ؟
أَخْلَدَ مَا رَاعَيْتَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ فَتَحَفَظَنِي بِالْغَيْبِ أَوْ بَعْضَ مَا تَبْدِي
دَعَاكَ إِلَيْهَا مَقْلَنَاهَا وَجَيْدُهَا قُلْتَ كَمَا مَالَ الْحَبَّ عَلَى عَمْدٍ

(١) في تاريخ دمشق « وتزعزت آطام »

(٢) وفيه * وتحركت آكام يثرب كلها *

(٣) وفيه * وزجرت إذ نعب . . . *

(٤) انظرها في الديوان (١٥٩) والأغاني (٦ - ٦٢)

وكنـت كـرقاقـ المـرابـ إذا جـرى لـقـومٍ وقـد باتـ المـطـى بـهـم تـخـدى (١)
فـأـلـيتُ لا أنـفـكُ أحـذو قصـيدـةً تـكـونُ وإياها لـها مثـلا بـنـدى (٢)

وقال أبو زيد عمرو بن شيبه : تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية ، يعنى قصيدته المثبتة قريباً .

وعن ابن عياش — بالياء التحتية والشين المعجمة — قال : لما مات جعفر الأكبر بن المنصور مشى فى جنازته من المدينة إلى مقابر قریش ، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ، ثم انصرف إلى قصره ، فأقبل على الربيع ، فقال : يا ربيع ، انظر من فى أهلى ينشدنى :

• أمنَ المتون ورَيبها يتوجعُ •

حتى أنسلنى عن مصيبتى ، قال الربيع : فخرجت إلى بنى هاشم ، وم بأجمعهم حضور ، فسألهم عنها ، فلم يكن فيهم أحد يحفظها ، فرجعت فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتى بأهل بيتى ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة لقلة رغبتهـم فى الأدب أعظمُ وأشد على من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر هل فى القواد والعوام من يعرفها ؟ فأنى أحب أن أسممها من إنسان ينشدها ، فخرجت فاعترضت الناس ، فلم أجد أحداً ينشدها إلا شيخاً مؤدباً قد انصرف من تأديبه ، فسألته : هل يحفظ شيئاً من الشعر ، قال : نعم ، شعر أبى ذؤيب ، فقلت : أنشدنى ،

(١) فى الأصل (تحدى) وفى الأغاني (يحدى) كلاهما بالخاء مهملة ، وأثبتنا الصواب عن الديوان

(٢) فى الأصل «لا أنفكُ أحذو» وكذا فى الأغاني ، بالـدال مهملة ، وهى رواية ، وممناتها أغنى بها ، وأثبتنا أوثق الروايتين ، وممنى «أحذو» بالـدال مهملة — أقول

فابتدأ بهذه القصيدة العينية ، فقلت : أنت بفتى ، فأوصلته إلى المنصور ، فأنشده
إياها ، فلما قال :

* والدهرٌ ليسَ بمعتبٍ مَنْ يَجْزَعُ *

قال : صدق والله ، فأنشدني هذا البيت مائة مرة لتردد هذا المصراع على ، فأنشده ،
ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله :

* والدهرٌ لا يبقى على حدائيرٍ إلخ *

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ، ثم أمر الشيخ بالانصراف ، فاتبته
فقلت : أمر لك أمير المؤمنين بشيء ؟ قال : نعم ، وأراني صرة في يده فيها
مائة درهم

وعن الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : كان أبو ذؤيب الهذلي خرج
في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة
ست وعشرين غازيا في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبعث معه نفرا منهم
أبو ذؤيب ، ففى عبد الله يقول [من المتقارب] :

وصاحبِ صدقٍ كسيدِ الضُّرِّ ۝ ينهضُ في الغزوِ نهضا نجيحاً^(١)

في قصيدة له^(٢) ، فلما قدموا إلى مصر مات أبو ذؤيب بها

وعن أبي عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي من أهل المدينة المنورة قال :
خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له^(٣) أبو عبيد حتى قدموا على عمر

(١) في الأصل « كسيد الضُّرِّ » وأثبت ما في الديوان . والضراء - بفتح
الضاد - ما وراك من الشجر

(٢) انظرها في الديوان (١٢٩ - ١٣٦)

(٣) في الأغاني « يقال له أبو عقيل » وسماه بمذذك في كل موضع جرى
فيه اسمه من هذه القصة أبا عبيد ، وفي تاريخ دمشق كما هنا

ابن الخطيب رضى الله عنه ، فقال : أى العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ قال :
 الايمان بالله ورسوله ، قال : قد فعلت فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ،
 قال : ذلك كان على ولا أرجو جنة ولا أخاف ناراً ، ثم خرج ففزا أرض الروم مع
 المسلمين ، فلما قتلوا أخذه الموت ، فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً
 فنفهما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدهما وليعلم أنه مقتول ، فكلهما
 أراد أن يتخلف عليه ، فقال لهما أبو ذؤيب : اقترعا ، فطارت القرعة لأبى عبيد
 فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس ، فكان أبو عبيد يحدث قال : قال لى أبو
 ذؤيب ، يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعصد من الشجر بسيفك ، ثم
 اجررنى إلى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى أفرغ ، فاعسلنى وكفى بكفى ثم اجعلنى
 فى حفرتى ، واثقل على الجرف برمحك ، وألق على الفصون والحجارة ، ثم اتبع
 الناس فان لهم رهبة تراها فى الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة ، قال : فما أخطأ
 مما قال شيئاً ، ولولا نعتى لم أهتد لأثر الجيش ، وقال وهو يجود بنفسه [من الرجز] :
 أبا عبيد رَفَعَ الْكِتَابُ وَاقْتَرَبَ الْمَوْعِدُ وَالْحَابُ (١)
 وَعِنْدَ رِجْلِي جِلُّ نَحَابٍ أَحْمَرُ فِي حَارِكِهِ انْصِبَابُ
 ثم مضيت حتى لحقت بالناس ، فكان يقال : إن أهل الاسلام أبعدا
 الأثر فى بلاد الروم ، فما كان وراء قبر أبى ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين ،
 وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة ، والله أعلم أى ذلك كان

١١٠ - وَلَمَّا نَطَقْتُ بِشِكْرِ بَرِّكَ مُفَضِّحاً فَلَسَانُ حَالِي بِالشَّكَايَةِ انْفُطِقُ
 من شواهد
 الاستشارة
 بالكتابة
 البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله

والشاهد فيه : مافى البيت قبله ، فانه شبه الحال بلذنان متكلم فى الدلالة على المقصود ، وهذا هو الاستعارة بالكناية ، فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان المتكلم ، وهذه الاستعارة التخيلية

وقريب من معناه قول ابن الخيى [من الكامل] :

أبدًا أحنُّ إلى محيِّاك الذى يُصِى البعيد إليه نورٌ مشرقٌ
وأرومُ شكوى موجعات الحب لا استَحْظا بها لكن لملك تشفقُ
فأرى لسانى بالصبا به أخرسًا ولسانُ حالى بالشكابة ينطقُ
وأفوه باسمك والمسافة بيننا قصوى فيضى الجو طيباً يعبقُ

١١١ - صحاح القلب عن سلى وأقصر باطله وعزى أفراس الصبا ورواحله من شواهد

الاستعارة
بالكناية

البيت لزهير بن أبى سلى ، وهو أول قصيدة (١) من الطويل ، وبعده :
وأقصرت عما تملين وسددت على سوى قصد السبيل معادله

إلى أن يقول فيها :

قلنا له أبصر وسدد طريقه وما هو فيه عن وصانى شاغله (٢)
وقلت تعلم أن فى الصيد غرة وإن لا تضعه فانك قاتله (٣)
فاتبع آثار الشيا ولیدنا كشوبوب غيث يحفش الأكم وابله (٤)

(١) انظرها فى ديوان زهير (١٢٤) طبع دار الكتب المصرية

(٢) فى رواية الأعمى الشنمى « فقلت له ، وفى الديوان « سدود أبصر طريقه »

(٣) فى الديوان وشرح شواهد النحو : تعلم أن للصيد غرة والغرة - بكسر الغين المعجمة - الغلة ، ووقع فى الأصل « عزه » محرفا عما أثبتناه

(٤) الشوبوب : الدفعة من المطر ، ويحشى : يسيل ويخرج ، يقال : حفش فلان لك الود ، إذا أخرج كل ما عنده ، والمراد يكثر السيل حتى يحشى ما فى الآكم

نظرت إليه نظرة فرأيتُه على كل حال مرة وهو حاملُهُ
وهي طويلة .

يقال : أقصر عن الشيء ، بمعنى انتهى أو عجز عنه
والشاهد فيه : ما في البيت قبله أيضاً ، فانه أراد أن يبين أنه ترك
ما كان يرتكبه من الحجة زمن الجهل والنفي ، وأعرض عن معاودته فبطلت آلامه ،
فشبه في نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالبحج والتجارة قضى منها الوطر
فأهملت آلامها .

ووجه الشبه : الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال
بمهلكة ولا متحيز عن معركة .

وهذا التشبيه المضمّر في النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص
بتلك الجهة - وهي الأفراس والرواحل التي بها قوامُ السير والسفر - فائبات
الأفراس والرواحل استعارة تخييلية ، والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل
إلى الجهل والفتنة ، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفس
وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو أراد بها الأسباب التي قلما
تمتدح في اتباع النفي إلا أو أن الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الأفراس
والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلاً إذا أريد بها الدواعي وحساً إذا أريد بها
اتباع أسباب النفي

١١٢ - * والطاعنين مجامع الأضغان *

هو من الكامل ، ولا أعرف ^(١) قائله ، وصدره :

ن شواهد
الكتابة

(١) نسبه في الموازنة (٢٨٢ بتحقيقنا) إلى عمرو بن معديكرب
الزبيدي ، ولم أجده في ديوان عمرو ولا في زياداته

• الضاربين بكل أبيض مخدّم •

والمخدّم - بالذال المعجمة - السيف ، والأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد والشاهد فيه : القسم الأول من أقسام الكناية ، وهو : أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، وتكون لمعنى واحد كما هنا ، وتكون لمجموع معان ، قوله : « بمجامع الأضغان » معنى واحد كناية عن القلوب ونحوه قول البحترى [من الطويل] :

فأتبعها أخرى فأضللتُ نصلها بحيث يكون اللب والرغب والحقدُ

١١٣ - إن الساحة المروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج من شواهد الكناية البيت لزياد الأعجم ، من أبيات (١) من الكامل ، قالها في عبد الله بن الحشرج ، وكان قد وفد عليه ، وهو أمير على نيسابور فأمر بانزاله وأطقه وبعث إليه بما يحتاجه ، ففدا إليه فأنشده البيت ، وبعده :

ملك أغر متوج ذو نائل للمعتفين بمنه لم تشج
ياخير من سعد المنابر بالتقى بعد النبي المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ألفت باب نوالكم لم يرتج

فأمر له بعشرة آلاف درهم
والمروءة : كمال الرجولية .

والشاهد فيه : القسم الثالث من أقسام الكناية ، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات ، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها في قبة ضربت

عليه ، تنبيهاً على أن محلها ذوقية ، وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء ، قال أبو تمام [من الكامل] :

لولا بنو جشمَ بن بكر فيكم كانت خيامكم بغير قبابٍ
وإنما احتاج في هذا البيت إلى هذا لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ، فأما إثبات الصفات المذكورة له ، لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له

وفي معنى البيت قول زياد أيضاً في مريثة المفيرة بن المهلب [من الكامل] :

إن الساحة والمروة ضُمَّنا قبرا بمرّ وعلى الطريق الواضح

وقريب منه قول ابن خلاد يمدح ابن العميد [من الوافر]
لقد شهدتُ عقولُ الخلق طرّاً وحسبكُ بالبصائر من شهود
بأن محاسن الدنيا جميعاً بأفنية الرئيس ابن العميد
وقول الآخر يمدحه [من الكامل] :

والمجدُ يدعو أن يدوم بمجيدِهِ عقدُ مساعي ابن العميدِ نظامُهُ

وابن الحشر الممدوح : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس ،
وأُميراً من أُمرائها ، ولحقه كثيرون من أعمال خراسان ، ومن أعمال فارس وكرمان ^{جدة عبد الله} ^{الحشر} ^(١)
وكان جواداً ممدوحاً ، وفيه يقول زياد أيضاً [من الطويل] :

إذا كنت مرتاد الساحة والندى فسائل تُخبر عن ديار الأشاهب

وكان عبد الله كثير المعطاء ، أعطى بخراسان حتى أعطى فراشه ولحافه ، فقالت له امرأته : لشد ما تلاعب بك الشيطان وصرت من إخوانه مبذراً كما قال الله

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه « فتولة

وكرمان ، في نسخة هذان بدل كرمات » اهـ

تعالى (إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين) فقال عبد الله بن الحشرج لراحة ابن درى النهدي وكان أخاه وصديقا : ألا تسمع ما تقول هذه التوكي وما تتكلم به ؟ فقال له راحة : صدقت والله وبررت وإنك لمبشر ، وإن المبشرين لا إخوان الشياطين ، فقال ابن الحشرج في ذلك [من الطويل] :

مكارم ما تعبي بأموالنا التلذذ	مكى يأتنا الغيث المغيث بعد لنا
رجال وضنت في الرخاء وفي الجهد ^(١)	مكارم قد جُذ نأبها إذ تمنعت
خلاف الذي يأتي خيار بني نهد	أردنا بما جُذنا به من تلادنا
وُسْعُهَا نهد بن زيد على الزهد	تلوم على إتلاف المال خلأني
علي ولا منكم غوائى ولا رشدى	أنهد بن زيد لست منكم فقتلوا
وكلا وحتى تبصروني في اللحد ^(٢)	أتيت صغيرا ناشئا ما أردتم
لعقبى وما أجنى به عمر الخلد	سأبدل مالى ، إن مالى ذخيرة
ير على الأزواد كالأسد الوزد	ولست بمبكا على الزاد باسل
لما كلفت كفاى في الزمن الجلعدي	ولكننى سمع بما حزت باذل
أبوه بأن أعطى وأوفى بالمهد	بنلك أوصانى الرقاد وقبله

والرقاد : كان أحد عمومه ، وكان سيدا جوادا .

(١) في الأصل « مكارم ماجدنا بها » وظاهر أنه محرف عما أئبناه

(٢) كذا ، ولعله

• أتيت صغيرا ناشئا ما كرهتم •

أو نحو ذلك

شواهد الفن الثالث، وهو علم البديع

شاهد طباق
التدريج

١١٤ - زردى ثياب الموتِ نَحْرًا فَا نَى لها الليلُ إلهي من سندسٍ خُضرُ

البيت لأبي تمام الطائي ، من قصيدة من الطويل^(١) ، يرثي بها أبا نهشل
محمد بن حميد حين استشهد ، وأولها :

كنا فليجل الخطبُ وليفدح الأمرُ وليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عن^(٢)
توفيت الآمالُ بعد محمد فأصبح في شغل عن السفرِ السفرُ^(٣)
وما كان إلا مالٌ من قلٍّ ماله وذُخْرًا لمن أمسى وليس له ذُخْرُ
وما كان يدرى من بلاءٍ يسرَ كفو إذا ما استهلَّتْ أنه خلق العسر^(٤)
يقول فيها :

غدا غدوةٌ والحمدُ نسجُ ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
وبلعه البيت ، وبعده :

كانَ بنى نبهان يومَ وفاته نجومُ سماءٍ خرمَ من بينها البدرُ
يعزُّونَ عن ثاوٍ تعزَّى به العلا ويبكي عليه البأس والجود والنصر^(٥)
وأنى لهم صبرٌ عليه وقد مضى إلى الموتِ حتى استشهدَ أهو والصبرُ
ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب المملوطة بالدم ، فلم ينقض يومُ قتله ، ولم

(١) اقرأها في الديوان (٣٦٨) وهي في رثاء بنى حميد الطوسي محمد
وقحطبة وأبي نصر

(٢) في الديوان « فليس لعين »

(٣) في الديوان « وأصبح في شغل »

(٤) في الديوان

• وما كان يدرى مجتد جود كفه •

(٥) في الديوان « والشعر » مكان « والنصر »

يجل في ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من تنفس الجدة .
أقول : ولو قال أبو تمام :

تردئ ثياب الموت حمراً فما اختفى عن العين إلا وهي من تنفس خضر
لكان أبلغ في القصد وأجوع ، فانه جفل غايةً تبدلها بالنفس دخوله في
الليل ، وهذا ليس بعلوم ، فان الميت إذا غُيب بالنفس عن الأعين تبدلت
أحواله إلى خير أو شر ، والميلاد بالله تعالى . ويشهد قهقك ماورد أن الميت
يعجز ستره عن الأعين يأتيه ملكا السؤال .

وفي معنى بيت أبي تمام قول القاضى الفاضل هبة الرحيم ، رحمه الله ،
[من مجزوه الكامل] :

لمسنى لفتسول للاً حظه عيون البيض شزراً
متضرجاً بدم وأتسنة الحووى فى الجنات عظراً
متكفناً بملايس فراء وهي تعود خضراً
يروى أنه ماورد نبي هذا المرنى غس أبو تمام طرف رداًته فى مداد ،
ثم ضرب به كفيه وصدره ، وأنشد هذه القصيدة .
وإلى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب المغربى فى قوله يرنى الشيخ أباعلى
ابن خلدون [من السكامل] :

لولا الحياه وأن أجى بضلة تفضى على بها ضيوف ملائم
وأكون متبعاً لأشنع سنة قد سنها قبل أبو تمام
لبست لبس الثكلاث وكنت فى سود الوجوه كأتنى من حام
والشاهد فى البيت : الطباق المسمى بالتدبيح ، وهو : أن يذكر الشاعر
أو الناثر فى معنى من المدح أو غيره ألواناً لقصد الكتابة أو التورية ، ويسمى

تدبيح الكناية أيضاً ، فانه هنا ذكر لون الحمرة والخضرة ، والمراد من الاول الكناية عن القتل ، ومن الثاني الكناية عن دخول الجنة .

ومن طباق التدبيح قول عمرو بن كلثوم [من الوافر] :
بأنّا نوردُ الراياتِ بيضاً ونُصدِرُهُنَّ حرّاً قد روينّا
ولو اتفق له أن يقول :

من الأسل الظمأ يردن بيضاً ونُصدِرُهُنَّ حرّاً قد روينّا
لكان أبعد بيت للعرب في الطباق ، لانه يكون قد طباق بين الايراد والاصدار ، والبياض والحمرة ، والظمأ والرى ، وقد تمّ لأبي الشيص ، قال [من الطويل] :

فأوردّها بيضاً ظمأً صدورُها وأصدرّها بالرى ألوانُها حرّاً
فصار أخذُه مفقوراً بكالم معناه ، وما أحسن قول ابن حيوس [من الكامل] :
وتملكِ العلياءَ بالسعي الذي أغناكَ عن متاعم الأنسابِ
ببياض عرضٍ واحمرار صوارمٍ وسواد نَقَمٍ واخضرارِ رحابِ
وافخر بعمِّ عمِّ جودٍ نواله وأبٍ لأفعال الدنيةِ آفٍ
وقوله أيضاً [من الخفيف] :

إن تردّ عِلْمُ حالهم عن يقينٍ فالقهم في مكارمٍ أو نزالِ
تلقَ بيضَ الأعراضِ سمرَ مثارِ النقعِ خضرَ الأكنافِ حرّ النصالِ
وقد أخذَه ابن التنبية فقصر عنه في قوله [من السريع] :
لهم بنانٌ طافحٌ بالندى فهنّ إما ديمٌ أو يحاذِ
بيضُ الأيادي خضرُ روضِ الرُّبا حُرّ المواضي في العجاج المُتارِ
وقول بعضهم [من الكامل] :

النفسُ فوقَ الماءِ تحتَ شقائقِ
مثلُ الأسدِ خُضِبَتْ بِمَاءِ
كالصُّمْدَةِ السَّمَاءِ نَحْتَ الرَايَةِ ۖ
حُمْرَاءُ فَوْقَ اللَّامَةِ الْخَضِرَاءُ
وقريب من لفظه قول الصلح الصفدي رحمه الله تعالى [من الكامل] :
مَا بَصُرْتُ عَيْنَكَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا
فِيَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ
كَالشَّامَةِ الْخَضِرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ ۖ
حُمْرَاءِ تَحْتَ الْمَقْلَةِ السُّودَاءِ
ولابن النبية [من المتقارب] :

دَعِ النَّوْحَ خَلْفَ حُدُوجِ الرَّاكِبِ
وَسَلِّ فَوَادِكَ عَنْ كُلِّ ذَاهِبٍ
بِيضِ السَّوَالِفِ حَمَرِ الْمَرِاشِفِ
صَفَرِ الْقَرَائِبِ سَوَادِ الْقَوَائِبِ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا إِذَا مَا نَظَمْتَ
نَفَرَ الْحَبَابِ ثَنَاءَ الْحَبَابِ
ولابن الساعاني [من الكامل] :

مِنْ مَعْشَرٍ وَيَجِلُّ قَدْرُ عِلَائِهِ
عَنْ أَنْ يَقَالَ لَمْلَهُ مِنْ مَعْشَرٍ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنْ زُرُقَ رَمَاحِهِمْ
سَرَّ يَجِلُّ سَوَادُ قَلْبِ الْمَسْكِرِ
ولابن دبوقاء العماد من أبيات [من المتقارب] :

أَرَى الْقَدَرَ فِي ثَغَرِهِ مُحْكَمًا
يَرِينَا الصُّحَاغَ مِنَ الْجَوْهَرِ
وَتَسْكَمَةُ الْحَسَنِ إِضَاحُهَا
رَوْنَاهُ عَنْ وَجْهِكَ الْأَزْهَرِ
وَمِنْ ثَوْرٍ دَمَى غَدَاً أَحْمَرًا
عَلَى آسٍ عَارِضَكَ الْأَخْضَرِ
وَبَعْتُ رَشَادِي بَنِي الْهَوَى
لَأَجْلِكَ يَا طَلْعَةَ الْمَشْرِقِ

ولأبي الحسن محمد بن القنوع من أبيات [من الطويل] :
وَيَخْتَرِمُ الْأَرَوَاحَ وَالْمَوْتَ أَحْمَرُ
بِأَبْيَضَ يَنْلَوُهُ لَدَى الطَّلَعِ أَزْرَقُ
وما أحسن ما قال بهمه :

وَيُجَرِّي عَنَاقَ الْخَلِيلِ قُبًّا شَوَازِبًا
تَبَارِي هُبُوبَ الرِّيحِ بَلْ هِيَ أَسْبَقُ

إِذَا حُفِرَتْ مَنِيًّا الْجَوَافِرُ فِي الصَّفَا عَكْرِيْبَ ظَلَمْتِ بِالنَّجِيعِ نَحْلًا
وَلَأَبَى الْفَرْجَ الْبَيْضَاءُ فِي قَرِيبٍ مِنْ مَمْتَلَةٍ [مِنْ الْكَامِلِ] :
وَكَاثِمًا نَقَشْتَهُ خَوَافِرُ خَيْلِهِ لِلنَّاعُورِينَ أَهْلَةً فِي الْجَمْدِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَهُ بِمَدَنِهِ :

وَكَانَ طَرَفَهُ الْبَيْضُ مَطْرُوفُهُ وَقِيدُ جَمَلٍ الْغَيْلُ لَهُ مَكَانُ الْإِثْمِ
وَلَأَبَى سَعِيدُ الرِّسْمِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

مِنْ لِلْفَخْرِ الْعَالِيَةِ فِي السَّيْفِ وَالرَّغَى وَأَهْلُ الْمَصَالِي وَالْمَوَالِي وَاللَّيَالِي
إِذَا نَزَلُوا أَخْضَرَ التَّرْمِي مِنْ نَزْوِهَا وَإِنْ نَازَلُوا أَحْمَرَ الْقَتَا مِنْ نَزْوِهَا
وَلَا بِنَ جَابِرِ الْإِنْدَلِسِيِّ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

تَشْتَكِي الصَّفْرُ مِنْ يَدَيْهِ وَتَرْضَى السَّيْمُ مِنْ رَاحَتَيْهِ عِنْدَ الْحُرُوبِ
أَحْمَرُ السَّيْفِ أَخْضَرُ السَّيْفِ حَيْثُ الْأَرْضُ غَبْرَاءُ مِنْ سَوَادِ الْخَطُوبِ
وَلَأَبَى الْقَاسِمُ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ الطَّبْرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ [مِنْ الْمَرِيعِ] :
حَرَّ يَدَى بِالْكَأْسِ وَالرَّوْضُ مَخْضَرُ الْأُثْبَا قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ
وَلَأَبَى بَكْرُ الْخَالِدِيِّ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَمَدَامَةٌ صَفْرَاءُ فِي قَارُورَةٍ زَرْقَاءُ تَحْمِلُهَا يَدُهُ بَيْضَاءُ
فَارَاحُ شَمْسِهِ وَالْحَبَابُ كَوَاكِبُ وَالْكَفُّ قُطْبُ وَالْإِنَانَةُ سَاهُ
وَلَنَجْمُ الدِّينِ الْبَارِزِيِّ فِي وَصْفِ قَلَمٍ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَمَنْقَطُ الْخَطِّ يَحْكِي فَعْلَ مَهْمَرٍ اِخْطُ إِلَّا أَنْ هَذَا أَصْغَرُ
فِي رَأْسِهِ الْمَسُودُ إِنْ أَجْرُوهُ فِي الْمَبِيزِ لِلْأَعْدَاءِ مَوْتُ أَحْمَرُ

وَمِنْ الْمَضْحَكِ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ لَنْكَلِكِ الْبَصْرِيِّ يَهْجُو أَبَا رِيَّاشَ ، وَكَانَ نَهْمًا
شَرَّهَا عَلَى الطُّغْلَامِ [مِنْ الْوَافِرِ] :

يَطِيرُ إِلَى الطَّعَامِ أَبُو رِيَّاشٍ مُبَادِرَةٌ وَلَوْ وَلَوْ لَهُ قِسِيرٌ
أَصَابَهُ مِنَ الْخُلُوعِ صَغُرُ وَلَكِنْ الْأَخَادِعَ مِنْهُ حُمُرُ

وكان أبو رياش هذا باقمة في حفظ أليم العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل
آية في هذا دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحتها وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه
كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير النقشف، قليل التنظيف، وفيه يقول
أبو عثمان الخالدي [من الرجز]:

كَأَنَّمَا قُلْتُ أَبِي رِيَّاشٍ مَا بَيْنَ صَيْفَيْنِ قَتَاهُ الْغَنَاشُ
وَذَا وَذَا قَدْ لَجَّ فِي أَنْتِفَاشٍ شُهَدَانِجٌ يُجَوِّدُ فِي خَشْمِ غَاشٍ

وفيه يقول ابن لنسكك وقدولى عملا بالبصرة [من الكامل]:

قُلْ لِلْوَضِيعِ أَبِي رِيَّاشٍ لَا تَبْلُغْ يَمَّ كُلِّ تَبْهِكٍ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ
مَا أَزْدَدَتْ حَبْنٌ وَلَيْتَ إِلَّا خِصَّةً كَالْكَلْبِ أَتَجَبُّ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَمَلِ
وله فيه أيضاً [من الكامل]:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا رِيَّاشٍ قَدْ حَوَّيَ عِلْمَ اللُّغَاتِ وَفَاقَ فِيمَا يَدْعَى
مَنْ يُخْبِرُ عَنْهُ فَاقِي سَائِلٌ مَنْ كَانَ حَفْكَهُ بِأَبْرِ الْأَمْهَقِ

وله فيه أوفى غيره من الأدباء [من الكامل]:

يَا مَنْ تَطَلَّبَ وَهُوَ مِنْ خَرَقِ اسْتِنَةٍ قَلْبُكَ يَكْبِدُ كُلَّ دَاءٍ مُضْطَلِ
فشل الصيال وما عهدنا دبره مذ كان ينشل عن صيال الفيشل
وأراه في الكُتُبِ الجليلَةِ زاهدا لا يَسْتَجِدُّ سِوَى كِتَابِ الْمُدْخَلِ
قَبْلَتُهُ وَلَمَتُّ فَاهُ مُسْلَمًا لَمْ يَصْدِيقِ فَمِ الصَّدِيقِ الْمَجْمَلِ^(١)

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة هـ في نسخة: الصديق
المقبل

فَدَنَا إِلَى عَلَى الْمَكَانِ وَقَالَ لِي أَفْذَبِكَ مِنْ مَنَعَشَقِي مُنْغَزَلٍ
إِنْ كُنْتَ تَلْمِزْنِي بَوْدٍ فَاشْفِنِي بِلِسَانِ بَطْنِكَ فِي فَمِي مِنْ أَسْفَلِ
وَقَدْ زَاغَ الْقَلَمُ وَطَاشَ ، بِحَيْرَةِ أَبِي رِيَّاشَ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ .

* * *

١١٥ - لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

شاهد إيهام
التضاد

البيت للرجل من قصيدة (١) من الكامل أولها :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيُّهُ سَلَكَا لَا، أَيْنَ يَطْلُبُ فَضْلٌ، بَلْ هَلَكَا

وبعد البيت ، و بعده :

يَا سَلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنَقَصَةٌ لَا سَوْفَةً يَبْقَى وَلَا مِلْكَ
قَصَرَ الْفَوَايِدَ عَنْ هَوَى قَرِيرٍ أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَيْهِ مُشْتَرِكَا
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ نَوْمِكَا يَا صَاحِبِي إِذَا دُمِي سَفِكَا
لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دُمِي اشْتَرَكَا

حدث أبو هفان قال : قال مسلم بن الوليد [من السريع] :

مُسْتَهْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

فسرقه دعبل فقال ، وأنشأ البيت ، فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار
أحق به منه .

وحدث أبو المنثري قال : كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل للرجل « لا
تعجبي يا سلم ... البيت » فاستحسنه ، فقال الأصمعي : إنما سرقه من قول الحسين

(١) اقرأ أكثر هذه الآيات في الأغاني (١٨ - ٣٢ وما بعدها)

ابن مطير الأسدي [من الخفيف] :

أَيْنَ أَهْلِ الْقِيَابِ بِالْهَنَاءِ أَيْنَ جِيرَانِنَا عَلَى الْأَحْثَاءِ
فَارْقُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوًى رَ الْآفَاحِي تُجَادُ بِالْأَنْوَاءِ
كُلُّ يَوْمٍ بِأَفْحْوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ

وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله « تضحك الأرض من بكاء السماء » من قول دكين الراجز [من الرجز] :

جُنُ النَّبَاتِ فِي دُرَاهَا وَرَكَاتٍ وَضَحِكُ الْمَرْزُوقِ بِهِ حَتَّى يَكِي

وقال أبو هفان : أنشدت يوماً بعض البصريين الحقاء قول دعبيل « ضحك المشيب برأسه فبكي » فجاءني بعد أيام فقال : قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبيل ، قلت : يا هذا وأى شيء قلت ؟ فتمنع ساعة ثم قال [من الرجز] :

* قَهَّهْ فِي رَأْسِهِ الْقَتِيرُ *

وقد تداول الشعراء معنى بيت دعبيل ، فنه قول الرازي الترمطي [من مجزوء الكامل] :

ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى بِأَعْيُنِ كَأْسِهِ
رَجُلٌ نَحْوَنَهُ الزَّمَا نُ بِيُوسِهِ وَبِيَأْسِهِ
فَجَرَى عَلَى غُلُوثِهِ طَلَّقَ الْجَوْحُ بِقَاسِهِ
أَخَذْنَا بِأَوْفَرِ حَظِّهِ لِرَجَائِهِ مِنْ بَأْسِهِ

ومنه أيضاً قول ابن نباتة المصري رحمه الله تعالى [من السريع] :

تَبَسُّمُ الشَّيْبِ بِذَقْنِ الْفَتَى يُوَجِّبُ سَحَابَ الدَّمْعِ مِنْ جَفْنِهِ
حَسَبُ الْفَتَى بَعْدَ الصَّبَا ذَلَّةً أَنْ يَضْحَكُ الشَّيْبُ عَلَى ذَقْنِهِ

ولولفه رحمه الله تعالى أيضاً في هذا المعنى [من مجزوء الرمل] :

ضحك الشيب برأسي فبكت عيني الشُّبابا
ومن البكاء على الشباب ، وهو أبكى بيت قيل في فقدته ، وينسب لأبي
الفصن الأسدي [من الوافر] :
آيات في البكاء
على الشباب

أناملُ رجمةَ الدنيا سفاهاً وقد سار الشبابُ إلى الذهابِ
فلَيْتَ لنا كيلاً بكلِّ أرضٍ جُعمَ لنا فنحنُ على الشبابِ
وما أحسن قول أبي العلاء الممرى فيه أيضاً [من البسيط] :
وقد تموّضتُ عن كلِّ عشبٍ
فما وجدتُ لأيام الصِّبا عِوضاً
وقول الآخر [من الكامل] :

شيان لو بكتِ الدماءُ عليهما عينيَّ حتى تؤذنا بذهابِ
لم تبُلغا المشار من حقيهما فقد الشباب وفُرقة الأحابِ
ولأبي بكر بن مجير [من الكامل] :

رحلَ الشباب وما سمعتُ بعِرةَ تَجري لِمَن لِفراقِ ذاكِ الرَّاحِلِ
قد كنتُ أزهى بالشباب ولم أخلُ أن الشَّيبةَ كالخِصَابِ الناصِلِ
ظلُّ صفائي ثم زالَ بسرعةٍ يا ويحَ مُغرِّ بظُلِّ زائلِ
ولأبنِ حديس في قريب من معناه [من الطويل] :

ولم أَرَ كالدياخوئاً لصاحبٍ ولا كصابي بالشَّبابِ مضاباً
فقدتُ الصِّبا فابيضَ مُسودُّمِي كأنَّ الصِّبا للشَّيبِ كان خِضاباً
ولأبي الفتح البستي فيه [من الخفيف] :

دعْ صومعي تسيلُ سَيْلاً بداراً وضلوعي يصلمين بالوَجْدِ نادراً
قد أعادَ الأَمسى نهارى لَيْلاً منذَ أعادَ المشيبُ ليلى نهاراً
ولعلَّ بن عبد الكوفي في البكاء من المشيب والبكاء عليه [من الوافر] :

بكى للشيب ثم بكى عليه فكان أعز من فقد الشباب
فقل للشيب لا تبرح حمداً إذا نادى شيباً بالذهاب

ومثله قول مسلم بن الوليد [من البسيط]:

الشيب كرهه وكرهه أن يفارقتي فاحبب لي على البغضة مؤذود
بعض الشباب وقد ياتي له خيف والشيب ينهب مفقوداً بمفقود

وقد أعاد مسلم بن الوليد هذا المعنى فقال [من البسيط]:

لا يرحل الشيب عن دار أظلمها حتى يرحل عنها صاحب الدار
ويقال: إن سلماً أخذ هذا المعنى من قول بعض الأعراب [من الرجز]:

استغفر الله واستقبله ما أنا من شيبه يهوله

• أعظم من حوله رحيله •

ومثل قول مسلم قول للمحتزى [من الوافر]:

يعنيب الغانيات على شيب ومن لي أن أمتع بالشيب
ووجدني بالشباب وإن تقضى حمداً دون وجدني بالشيب

ومما أحسن قول كشاجم النكاتب [من الطويل]:

تفكرت في شيب الفتى وشبابه فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يفصاحني شرح الشباب في قضى وشيبي إلى حين الممات مصاحب

وبديع قول الغزالي [من الكامل]:

ذهب الشباب ذهب سهم مارق لا ينقطع مع الناسف رده
وأتى المشيب بقضه وقضيضه وأشد من وجدان ذلك فقد
أناني السرى والسركا لطفل الذي يجد السكون إذا تحررك مهده
من يقدح زناداً بكف مالها زنده فكيف تراه يقدح زنده

ویدج أيضاً قول حسن بن النقيب رحمه الله تعالى [من الكلل] :
 لَا تَسْقُ عَلَى الشَّيْبِ وَقْدَهُ قَلَّ الشَّيْبُ وَقْدَهُ يُنَاسَفُ
 هَذَاكَ بِحَقِّهِ سَوَاءٌ إِذَا أَهْضَى وَمَضَى، وَهَذَا إِنْ مَضَى لَا يُخْلَفُ
 وقوله أيضاً [من المنسرح] :

عَجِبْتُ لِلشَّيْبِ كَيْفَ أَكْرَمَهُ طَبِخَ القلبَ وَهُوَ عَاشِقُهُ^(١)
 وَكَتَبْتُ لَا أَشْتَهِي أَرَاهُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا أَشْتَهِي أَفْلَرُهُ
 وما أحسن قول الصفي الحلبي [من الخفيف] :

لَوْ تَقَيَّعْتُ أَنْ شَبَعَ يَاسُ الشَّيْبِ يَمُوقُ لَمَا كَرِهْتُ اللَّيْلَانَا
 غَيْرَ أَنِّي عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا نَرْمَا يَمُوقُ وَمَا يَتَقَاضَى
 ولأبي الفتح البستي رحمه الله تعالى فيه [من الكلل] :

يَا شَيْتَاقِي دَوِي وَلَا تَرَحَّلِي وَتَيَقَّنِي أَنِّي بَوْمُكَ مَوَاعٍ
 فَدَكْتُ أَجْرَ مَنْ حَلَّكَ مَرَّةً وَالْآنَ مِنْ خَوْفِ أَنْ يَحْلِكَ أَجْرُكَ
 ولأبي اليمن الكندي فيه أيضاً [من الطويل] :

عَدَا اللَّهُ عَمَّا جَرَّهُ الْهَوُّ وَالْعَبَا وَمَا مَرُّ مِنْ قَلْبِ الشَّيْبِ وَقَبَا
 زَمَلْتُ صَحْبَتَهُ بِأَرْغَدِ عَيْشَةٍ إِلَى أَنْ مَضَى مَسْكُومًا لَيْلِي
 وَأَعْتَبْتُ مِنْ صَدُوعِهِ مُشْتَهَى مَشِيًّا قَى عَنَّا الْكَرَى بِحُلُولِهِ
 لَنْ عَظَمْتَ أَجْرَ أَنَا بِمُدُومٍ فَأَعْظَمُ مِنْهَا خَوْفُنَا مِنْ رَجُلِهِ
 وقد خالف ابن الرومي حيث يقول [من المنسرح] :

(١) في الأصول كلها

• عجبت للشيب كيف أكرمه •

كبر الظن أنه محرف عما أثبتناه

من كل يكي الشلب من أبقر قلت أبكي عليه من أسقم
كيف وشرخ الشلب عرضي يوم حبابي لو قصرت القلب
لا صوجبت ثيرة الشلب ولا عيبت ما في المشيب من خفق
ومنه قول بعضهم [من الخفيف]:

لم أقل للشلب في دعة الله ولا حظي غداة استقلا
زار زارنا أقلم قليلا سودة الصفح بجنوب وولي
ومن الجيد أيضا قول العلوي [من الوافر]:

لعمرك للمشيب على ما قننت من الشراب أجل قوتا
تمكنت الشلب فصار شيئا ومليت المشيب فصار موتا
وما أحسن أيضا قول الآخر [من البسيط]:

والمره إن حل شيب في مقلوه فما جلوه أو يرحلن ما
وما أحسن قول المعري في ملح الشيب [من الخفيف]:
خيرني ماذا كرهت من الشيب فلا علم لي بذنب المشيب
أضيء النهار أم وضع القو لو أم كونه كثر الحبيب
أخبرني فضل الشلب وماذا فيه من منظر يسر وطيب
غنوه بلليل أم جه لسنى أم كونه كيش الاديبي
وبالجهة فما أحسن قول الخافظ بن سهل بن غانم الأصماني وأصم [من غلج
لبسيط]:

من شاب قد مات وهو حي يمشي على الأرض متو هالك
نوكز عمر الفتى حبابا لكذ في شيبه فلك

والشاهد في البيت: اجتمع بين معنيين غير متقابلين عبرتهما بالمتقنين ومتقابل
صنعهما الحقيقيان، فانه هنا لا تقابل بين البكاه وظهور الشيب، لكنه عبر

عن ظهوره بالضعك الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً بمعنى البكاء، ويسمى إبهام التضاد، لأن المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقياً، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهان التضاد، نظراً إلى الظاهر والحل على الحقيقة.

ومن الشواهد على إبهام التضاد قول أبي تمام الطائي [من الكامل] :

وَتَنْظَرِي حَبَّ الرُّكَّابِ يَنْصُهَا حُجِّي الْقَرِيضِ إِلَى مَعِيتِ الْمَالِ

فليس بين محي وميت هنا تضاد بالمعنى، إلا بما يتوهم من اللفظ، لأن محي القريض هنا كناية عن مجيئه، ويعنى به نفسه، وميت المال كناية عن مفاته في السكرم، وليس بينهما تضاد.

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

يَبْدَى وَشَاحاً أَيْضاً مِنْ سَيْفِهِ وَالْجَوُّ قَدْ لَبَسَ الرِّدَاءَ الْأَغْبَرَ

فإن الأبيض ليس بضد الأغبر، وإنما يوم بلفظه أنه ضده.

ودعبل^(١) : هو ابن علي بن رزبن بن سليمان بن تميم الخزاعي، ويكنى أبا علي. وهو شاعر مطبوع متقدم هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء، ولا من وزراءهم، ولا من أولادهم، ولا ذو نباحه : أحسن إليه، أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد.

ترجمة دعبل
الخزاعي

وحدث أبو هفان قال : قال لي دعبل : قال لي أبو زيد الأنصاري : رمت اشتق دعبل ؟ قلت : لا أدري، قال : الدعبل الناقة التي معها أولادها.

وحدث محمد بن أيوب، قال : دعبل اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب لقب به.

وعن أبي عمرو الشيباني قال : الدعبل البعير المسنن .

وحدث دعبل قال : كنت جالسا مع بعض أصعابنا ذآت يوم ، فلما
ذت سألت رجلا لم يعرفني أصحاحاً عني ، فقالوا : هذا دعبل ، قال : قولوا في
جليسكم خيراً ، كأنه ظن اللقب شتماً
وقال دعبل : صُرع مجنون مرّة ، فصحت في أذنه : « دعبل » ثلاث
مرات ، فافاق .

وكان سبب خروجه من الكوفة أنه كان يتشطر ، ويصحب الشطار ،
فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين المشاء والتممة ، فجلسا على طريق رجل
من الصيارفة ، كان يروح كل ليلة بكيسه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا عليهما وثبا
عليه وجرحاه وأخذنا مافي كيسه ، فاذا هي ثلاث رمانات في خرقه ولم يكن كيسه
معه ليلتذد ، ومات الرجل في مكانه ، واسترد دعبل وصاحبه ، وجدّ أولياءه
الرجل في طلبهما ، وجدّ السلطان أيضاً في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار ،
فاضطر إلى أن يهرب من الكوفة ، فساد دخلها حتى كتب إليه أهله أنه لم يبق
من أولياء الرجل أحد .

وحدث أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يخرج فيغيّب سنين يعمور
الدنيا كلها ويرجع ، وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشراة ^(١) والصعاليك يلقونه
فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه ، وكان إذا لقيهم وضع طعامه
وشرا به ودعاهم إليه ، ودعا بغلاميّه فننف وشنف ^(٢) — وكانا مغبين — فأقصدهما
يفنيان ، وسقام وشرب معهم ، وأنشداهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة

(١) في الأصل « السراة » بالسين مهملة محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما
في الأغاني والشراة في الأصل جمع شارب ، ثم أطلق على قومهم الخوارج
(٢) في الأغاني « ودعا بغلاميّه نقيف وشنف »

أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . قال : وأنشدني دعبل لنفسه في
بعد أسفاره [من الطويل] :

حلتُ محلاً يَقْصُرُ البرقُ دونهُ ويمعز عنه الطيفُ أن يتجسَّأ
وحدث محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبل الرى في أيام الربيع ، فجاهم
فلم ير مثله في الشتاء ، فجاه شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه في رقعة
وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعْبِلٌ بثلجٍ من الشعر فجات سماؤنا بالثلوج
نزل الرى بعد ما سكن البر دُ وقد أينعت رياضُ المروج
فكسانا بيرده لا كساه الله ثوباً من كرسفٍ مخلوج
وَأَلْقَى الرقعة في دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتجّل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوماً عند دار رجل ، يقال له صالح
[ابن علي]^(١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيصة
في سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيته قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال
صالح : ما صنعت به ؟ قلنا : ندبحه ، فذببحناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن
الديك ، فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فوجدناه ، وشربنا يومنا ،
فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصرى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ،
وكان ذلك المسجد مجمع للناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونهباء الناس ،
فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أَسَرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ أَسَرَ السَّكِيُّ هُفَا خِلَالَ الْمَاقِطِ

(١) زيادة عن الأغاني (١٨ - ٣٣) وقال في رواية أخرى لهذا الخبر :
وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعُثُوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِمْ وَبَنِيهِمْ
 يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْقَعُوا
 مَا بَيْنَ نَافِقَةٍ وَآخِرِ سَامِطٍ
 نَهْشَوْهُ فَأَنْزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ
 وَنَهَشَتْ أَفْهَامَهُ بِالْحَائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت :
 وبحكم ! ضاقت عليكم المأكل ، فلم نجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل
 ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت
 ذلك لدعبل وبعثت به إليه ، وإلا أوقعتنا فى لسانه ، ففعلت ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به ففسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوماً عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان :
 شديد البخل ، فأطلقنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بقداءه ، فأتى
 بقصة فيها ديك جاسر هريم ، لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه خرس ، فأخذ كسرة
 خبز ، فحاض بها مرقته وقلب جميع ما فى القصعة ففقد الرأس ، فبقى مطرقاً ساعة
 ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال :
 ظننتك لا تأكله ، قال : بئس ما ظننت ! والله إنى لأممت من يرمى برجليه ،
 فكيف من يرمى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصيح
 ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقة الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب
 بهما المثل ، فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع السكيتين ،
 ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن
 الساق ، ومن العنق ، فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فأنا نأكله] (١) ،
 فانظر أين هو ؟ قال : لا أدرى والله أين هو ، رميت به ، قال : لكنى أدرى أين
 هو ، رميت به فى بطنك فوالله حسيبك .

وحدث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن علف ، فقلت له : أنت

(١) زيادة لا بد منها .

أخبر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول ، يعنى فى حق المأمون [من الكامل] :
 إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
 رفعوا تحلك بعد طول حمله واستنقذك من الخضيض الأوهدي
 فقال لى : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من
 يصلبني عليها بعد .

وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشام ، وبات عندهم رجل من
 أهل بيت لحيان ، يقال له حوى بن عمرو السكسكى ، وكان جميل الوجه ، فذب
 إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين ، فقال فيه
 دعبل [من السريع] :

لولا حوى لبيت لحيان ما قام أيرُ العزب الفاني

له دواة فى سراويله يليقها النازح والداني

وشاع هذان البيتان ، فهرب حوى من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى
 دعبلا سبه ، وقال : فضحتني أخراك الله !! .

وحدث محمد بن الأشعث قال : سمعت دعبلا يقول : ما كانت لأحد عندي
 منة قط إلا تمنيت موته .

وكان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ما قاله فيه ، وهو
 جالس وفي يده طومار قد جعله على فيه كاللسكى [عليه] (١) وهو جالس ، فلما
 فلما فرغ أمره به بشيء قليل لم يرضه ، فقال [من البسيط] :

يا من يقبل طوماراً ويلشمه ماذا بقلبك من حب الطوامير

فيه مشابه من شيء تُسرُّ به طولاً بطولاً وتدويراً بتدوير

لو كنت تجمع أموالاً كجهمكها إذا جمعت بيتاً من دنائير

وقال دعبيل في الفضل بن مروان [من الطويل] :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحة في الفضل وقلتُ فسبرتُ المقالة في الفضل
ألا إن في الفضل بن سهل لعمرة إذا اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
والفضل في الفضل بن يحيى مواظ إذا فكر الفضل بن مروان في الفضل
فأبقى جيلاً من حديث تفر به ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل
فإنك قد أصبحت للملك قياً وصبرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أر أحياناً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب إذا هي أنشدت سوى أن نصح الفضل كان من الفضل
فبعث إليه الفضل بدنانير ، وقال له : قد قبلت نصحك ، فاكفى

خيرك وشرك

وحدث محمد بن حاتم المؤدب ، قال : قيل للمأمون : إن دعبيلاً قد هجاك ،
فقال : وأى عجب في هذا ؟ هو يهجو أبا عباد فلا يهجونى أنا ، ومن أقدم على
جنون أبى عباد أقدم على حلمي ، ثم قال لجلسائه : من كان فيكم يحفظ شعره
في أبى عباد فلينشده ، فأنشده بعضهم [من الكامل] :

أولى الأمور بضيمة وفساد أمرٌ يدره أبو عباد
خرق على جلسائه فكأنهم حضروا الملحة ويوم جلال
يسطو على كتابه بدواته فضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل منلت حرّث بجر سلاسل الأقياد
فاشد أمير المؤمنين وثاقه فأصح منه بقية الحداد

قال : وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان ؛ فضحك المأمون ، وكان إذا

نظر إلى أبي عباد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دعبيلُ
في قوله .

وحدث أبو ناجية ، قال : كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه ،
وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب إلى الجبل ، وقال ينجوه ،
[من الطويل] :

وفاضَ بفرط الدمع من عينه غُربُ	بكي لشتات الدين مكتئبُ صبُ
فليسَ له دينٌ وليسَ له لبُ	وقامَ إمامٌ لم يكنْ ذا هدايةٍ
يملكُ يوماً أو تدينُ له العُربُ	وما كانت الأنبياء تأتي بمثلِهِ
من السلف الماضي إذا عظم الخطبُ	ولكن كما قال الذين تسابحوا
ولم تأتسأ عن ثامنٍ لهم كُتبُ	ملوكُ بني العباس في الكتبِ سبعةُ
خيارٌ إذا عدُّوا ، وثامنهم كلبُ	كنك أهل الكهف في المدسبةُ
لأنك ذو ذنبٍ وليسَ له ذنبُ	وإني لأعلي كلهم عنك رفةُ
وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ ^(١)	لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
يظل لها الاسلامُ ليسَ له شعبُ ^(٢)	وفضلُ بنُ مروان سينلُمُ ثلثةُ

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه « قوله
وأشناس ، كذا في النسخ ، وفي نسخة وأشناف ، ولعل الصواب وأصناف »
اه . وما ظنه صواباً أبعد ما يكون عن الصواب . ووصيف وأشناس غلامان
من غلمان الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على الفرس والعرب ، فكانوا
عنه العال في ضياع سلطان الخلافة ، وقد وصل كل واحد منهما إلى رتبة
القائد في عهد المعتصم

(٢) في الأصل « يظل له الاسلام » وما أثبتناه موافق لما في
الآغا (١٨ : ٤٠) .

ولما مات المعتصم قال ابن الزَيْلِطِ يرثيه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذْ غيَّبوهُ وانصرفوا في خيرِ قَبْرِ خَليْرِ مدفونِ
لنْ يَجْبِرَ اللهُ أُمَّةً قَدَّتْ مثلكَ إلا بِمثلِ هرونِ

فقال دعبل يعارضه [من المنسرح] :

قد قلتُ إذْ غيَّبوهُ وانصرفوا في شرِّ قَبْرِ لشرِّ مدفونِ
أذهبْ إلى النارِ والمذابِ فَنَا خلَّتْكَ إلا من الشياطينِ
مازلتُ حتى عَدَدْتُ بَيْعَةً مِنْ أَضَرَ بالمسلمينِ والدينِ

وحدث محمد بن جرير ، قالَ : أنشدني عبد الله بن يعقوب
هذا البيت وحده لدعبل ، يهجو به المتوكل ، وما سمعت له غيره فيه ،
[من الوافر] :

ولستُ بقاتلٍ بدعا ولكنَّ لأمرٍ ما تَعَبَّدَكَ المبيدُ
قال : يرميه في هذا البيت بالأنفة .

وحدث محمد بن جرير قال : كنت مع دعبل بالصيمرة ، وقد جاءنا نعي
المعتصم ، وقيام الواقع ، فقال لي دعبل : أملك ما تكتب فيه ؟ قلت : نعم ،
فأخرجت قرطاسا ، فأملئ على يديها [من البسيط] :

الحمد لله لا صبرٌ ولا جلدُ ولا عزاءُ إذا أهلُ البلا قد وَا
خليفة مات لم يحزن له أحدُ وآخر قام لم يفرح به أحدُ
وكان المأمون قد تطلب دعبلا ، وجدَّ في ذلك وهو طائر على وجهه ، حتى
دسَّ إليه قوله [من الكامل] :

علم ونحكيمٌ وشيب مَفَارِقُ تطميسُ ريمان الشلب الرائقِ
وإمارةٌ في دولةٍ ميمونةٍ كانت على الفئات أشغبَ عائقِ

نَمَوْا ابن شكلة بالعراق وأهلِهِ فَهَمَّا إِلَيْهِ كُلُّ أُخْرَقٍ مَائِيٍّ (١)
 أَنَّى يَكُونُ وَلَا يَكُونُ وَلَمْ يَكُنْ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقٍ (٢)
 إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُضْطَلَمًا بِهَا فَلْتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِحَارِقِ
 ولما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ
 قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة وولاه عهده ، ثم إنه كتب إلى دعبيل أمانا ،
 فلما دخل وسلم عليه تبسم في وجهه ؛ وقال أنشدني :

* مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ *

فجزع ، فقال له : لك الأمان ، فلا تخف ، وقد رويتها ، ولكنني أحب سماعها
 من فيك ، فأثبده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي ، حتى اخضلت لحيته
 بدمعه ، ثم إنه أحسن إليه وانسرب به ، حتى كان أول داخل إليه ، وآخر
 خارج من عنده ، ثم عاد إلى خباته ، وشاعت له آيات بعضها أيضا ، بهجو
 بها المأمون . .

وحدث دعبيل قال : دخلت على علي بن موسى الرضى ، فقال : أنشدني
 مما أحدثت ، فأثبته [من الطويل] :

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَخِي مُقْفَرُ الْعَرَاصَاتِ

(١) فى الأصل «ابن شكلة» محرفا عما أثبتناه ، والبيت ساقط من الأغاني
 وابن شكلة : إبراهيم بن المهدي عم المأمون ، وكان قد خرج عليه وطلب
 الخلافة لنفسه ، وكان يحسن الغناء ويجيده . ثم أخذه المأمون وعفا عنه ،
 ومخارق : مغم معروف

(٢) فى الأغاني

« أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَأَنَّ *

حتى انتهيت إلى قولي فيها :

إِذَا وَرَوْا مَدُّوا إِلَى وَارِبِهِمْ أَكْثَرًا مِنَ الْأَوْتَارِ مُنْقِصَاتٍ

قال : فبكي عنده حتى أغشى عليه ، فأومأ إلى خادم كان على رأسه أن أسكت
فكسكت ، فكث ساعة ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت
فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى ، وأومأ الخادم أيضاً إلى أن أسكت ،
فكسكت ، ثم مكث ساعة أخرى ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها ،
فقال : أحسنت أحسنت ، ثلاث مرات ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب
باسمه ، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد ، وأمر لي من في منزله بحلي كثير أخرجه
إلى الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة ، اشتراها مني الشيعة ،
فحصل لي مائة ألف درهم ، فكان أول مال اعتقدته .

ثم إن دعيلاً استوهب من علي بن موسى الرضى رضى الله عنهما ثوباً قد لبسه
ليجعله في أكفائه ، فخلع جبة كانت عليه فأعطاه إياها وبلغ أهل قم خبرها
فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم ، فلم يفعل ، فخرجوا عليه في طريقه
فأخذوها غصباً ، وقالوا له : إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فأنت أعلم ،
فقال لهم : إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً ، ولا تنفعكم غصباً ، وأشكركم إلى الرضى ،
فصالحوه على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم وفردكم من بطانتها ، فرضى بذلك .

وحدث دعييل قال : لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي ،
وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ، فاني لفي ذلك إذ
سمعت والباب مردود على قائلاً يقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أألج
برحمتك الله ؟ فأقشعر بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم ، فقال لي : لا ترع فإني
رجل من إخوانك من الجبن من ساكني البين طراً عليتنا طارىء من أهل العراق
فأنشدنا قصيدتك * مدارس آيات . . إلى آخرها * فأجبت أن أسمعها منك ،

قال: «نشته يه، فيكي حتى خرته قل: يرحمك الله! لا أهدمك بمحدث في
 نيتك، ويميك على انمك بمنحك؟ قت: بلى، قل: مكنت حيناً نسمع
 بيجري بن محمد رجب، قد تعالى، فصررت إلى المدينة المنورة فسمعت يقول: حدثني
 أبي عن أبيه عن جده رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل
 «على وشيتهم القارون» ثم ودعني لينصرف قلت: يرحمك الله! لئن رأيت
 أن تجبرني بأهلك فليس، قل: أنا ضيق بن عمر.

وحدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي قل: يولي إبراهيم بن أنهي يبناد
 وقد قل المال عنده، وكان قبطاً إلى أعراب من أعراب السواد وغيرهم من
 أولس الناس وأوغدهم، فاحتبس عليهم العطاء، فبطل إبراهيم يرفهم وهم لا يرون
 لوعده حقيقة، إلى أن خرج رسوله إليهم يوماً قد اجتمعوا وضجوا فصرح إليهم
 بأنه لا مال عنده، قال قوم من غوغاه أهل بنداد: أخرجوا إلينا خيلتنا ليقى
 أهل هنا الجانب ثلاثة أصوات تكون عطائم ولاهل هنا الجانب مثلها، قل
 إسحاق: فانشق دعبل بعد أيلم [من السريح]:

يَلْمَسُ الْإِجْنَادَ لَا تَقْطَرُوا وَارْضُوا بِمَا كُنْ وَلَا تَسْخَطُوا
 فَتَوْفَ تَنْطَوْنَ حَتِيَّةً يَلْتَذِيهَا الْأَمْرُ وَالْأَشْطُ
 وَالْمَبْدِيَّةُ قِيَادَكُمْ لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تَرْبُطُ
 وَمَكْدَا يَرْزُقُ قِيَادَهُ خَلِيقَةً مُصَحَّهَ الْبَرِّطُ

ودخل عباده بن طاهر على المأمون قال له: أي شيء تحفظ يا عباده
 لعيل؟ قال: أحفظ أيتانا في أهل بيت أمير المؤمنين، قل: هاتها، فأنشده
 عباده قوله [من البسيط]:

(١) في الأصل «ألا مشر الأجناد» ولا يستقيم به وزن البيت، وما
 أثبتناه موافق لما في الأغاني (١٨ - ٤٣)

فِي رَغِيَا لَا يَمُ الْعَبَابِ أَيْمَ نَزَلُ فِي أَنْوَابِ قَدَائِ
 بِهِ غَضَى رَضِيَهُ مِنْ لِيَانِهِ أَصْبُرُ إِلَى غَيْرِ جُلُوتِهِ وَكَتَلَتِ
 دَعَا عَنْكَ ذِكْرُ زَمَانٍ فَكَتَ مَطْلَبُهُ وَأَقْفِ بِرَجُلِكَ عَنْ مَعْرِزِ الْجِبَالِ
 وَخَصِي بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِمُهُ نَحْوُ الْمَدَاوِ بِنِي هَيْتَ الْكَرَامَتِ
 قَالِ الْمَأْمُونُ : إِيَاهُ وَجِدْ وَأَفْهَ مَقَالِ قَالِ ، وَتَلِ يَمِيدَ ذِكْرِهِ مَلَايِنُهُ فِي
 وَصْفِ غَيْرِهِ ، ثُمَّ قَالِ الْمَأْمُونُ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرِ سَفَرِهِ قَالِ ذَلِكَ
 سَفَرِ عَلَيْهِ قَالِ فِيهِ [من الطويل] :

أَمْ يَنْزِلُ لِسَفَرِ الْقَدِيرِ تَحَمَّلُوا إِلَى وَطَنِ قَبْلَ الْمَاتِ رُجُوعُ
 هَمَّتْ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَايَ عِبْرَةٍ فَطَقَنْ بِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ
 تَبَيَّنَ فَكَمْ دَارَ تَهَرَّقَ تَحْتَلُّهَا وَتَحُلُّ شَتَبَتِ عَدَا وَهُوَ جَمِيعُ
 كَذَلِكَ أَيْبَالِي مَرْفُوعُ كَمَا تَرَى لِكُلِّ أَنَارِسٍ جَذْبَةٌ وَرَيْعٌ ")
 ثُمَّ قَالَ الْمَأْمُونُ : مَلَسْتُ قَطَّ إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ تُصَبِّحُنِي وَتَجْعَلُنِي
 وَبَسِيقِي حَتَّى أَعُودَ .

وَمِنْ شِعْرِهِ يَهْجُو [من مجزوه الخفيف] :

رَفَعَ الْكَلْبُ فَاتَّصَعَ لَيْزَ فِي الْكَلْبِ مُصْطَنَعُ
 بَلَغَ النَّسَايَةَ أَلَى دُونَهَا كُلُّ مَا ارْزَعُ
 إِنَّمَا قَصُرَ كُلُّ شَيْءٍ إِذَا طَارَ أَنْ يَقَعُ
 لَمْ يَنْ أَفْهُ نَحْوَهُ صَارَ مِنْ بَدِّهَا صَرَعُ

وَمِنْ شِعْرِهِ يَهْجُو أَيْضًا [من البسيط] :

(١) في مطبوعة بولاق • طوال الأيالي مرفعين كما ترى • وقد أثبتنا
 ما في الأغاني ، إذ كان كل ما هنا مأخوذا عنه

نُيِّتُ الْمَدِيحَ رَجُلًا دُونَ مَا لَهُمْ رَدُّ قَبِيحٍ وَقَوْلٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
 فَلَمْ أَفْزُ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلَتْ رِجْلُ الْبَعُوضَةِ مِنْ فَعَارَةِ اللَّابَنِ
 ومنه قوله فيمن استشفع به في حاجة فاحتاج إلى شفيع يشفع له [من السرياع]:
 يَا عَجَبًا لِلْفُرْتَجِي فَضْلُهُ لَقَدْ رَجَا مَا لَيْسَ بِالنَّافِعِ
 جُنْنَا بِهِ يَشْفَعُ فِي حَاجَةٍ فَاحْتَاجَ فِي الْأَذْنِ إِلَى الشَّافِعِ
 وحدث دعبيل قال : خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنيت أسير
 في بعض طريقه والمُكَّارِي يسوق بي بفلا تحتي وقد أتعبتني تعباً شديداً ، فنفني
 المكاري بقولي [من الكامل] :

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَجَبَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
 قُلْتُ لَهُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ لِيَكْفَ مَا يَسْتَعْمَلُهُ مِنَ الْحَثِّ لِلْبَغْلِ لَثْلَا
 يتعصبى : تعرف لمن هذا الشعر يا فتى ؟ قال : لمن ناك أمه وغرم درهمين ، فما أدرى
 من أى أموره أعجب : أمن هذا الجواب ، أم من قلة الغرم على عظم الجناية .
 وحدث علي بن عبد الله بن مسعدة قال : قال لى دعبيل وقد أنشدته قصيدة
 بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني [من الرجز] :

رُئِئَاؤُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودٌ
 والله ما أعلم أنى حسدت أحداً كما حسدت بكراً على قوله * كأنه من كبدى
 مقدود * وكان بكر هذا وراقاً ضيقاً عيشه . معافراً للشراب في منازل الحارثيين
 وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً حسناً ماجناً خليعاً ، وكانت الحمرة قد
 أفسدت عقله في آخر عمره ، فصار يهجو ويمدح بالدرهم والدرهمين ونحو هذا ، فاطرح
 وحدث بعض الكوفيين قال : حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي
 وبتنا عنده ونمت ، فما أنبهنى إلا ضياح بكر يستغيث من العطش ، فقلت له : مالك ؟
 قم فاشرب فالدار ملاءى ماء ، قال : أخاف ، قلت : من أى شيء ؟ قال : في الدار

كلب كبير فأخاف أن يظنني غزاً لا فيثب على ويقطعني ويأكلني ، فقلت له :
 خرب الله بيتك ! أنت والله بالخنازير أشبه منك بالفرلان ، قم فاشرب إن كنت
 عطشانا وأنت آمن ، وكان عقله قد فسد من كثرة الشرب .

وحدث أحمد بن عثمان الطبري قال : سمعت دعبل بن علي يقول : لما هاجبت
 أباسعد الخزومي أخذت معي جوراً ودعوت الصبيان فأعطيهم منه ، وقلت لهم :
 صيحوا به قائلين [من مجزؤه الخفيف] :

يا أباسعد قوصره زاني الأختِ والمرّة
 لو تراه مجيباً خلته عقْدَ قنطرة
 أو ترى الأير في أسيره قلت ساق بمقطره

فصاحوا به فغلبته

ولأبي سعد الخزومي بهجو دعبلا ، وكان قد دعاه إلى بيته ، وأضافه
 [من المنسرج] :

لدعبل منةٌ يَمْنُ بها فلمستُ حتى المات أنساها
 أدخلنا بيته فأكرمنا ودس امراته فنكناها

وحدث أبو سعد الخزومي ، واسمه عيسى بن خالد الوليد ، قال : أنشدت
 المأمون قصيدتي الدالية التي ردّدتُ فيها على دعبل قوله [من الكامل] .
 ويسومني المأمونُ خُطّةً عاجز أو ما رأى بالأمس رأسَ مُحَمَّدٍ
 وأول قصيدتي [من الكامل] :

أخذَ المشيبُ من الشباب الأغيذ والتائباتُ من الأثامِ بِمِرْصَدٍ
 ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أحييك برأسه ، فقال : لا ، هذا
 رجل قد فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله فلا حاجة فيه
 وكان الرشيد قد غنى بقول دعبل :

* لا تعجبي يا سلم من رجل الآيات *

فطرب لها وسأل عن قائلها ، فقيل : لدعبل غلام نشأ من خُرَاعة فأمر له بمشقة
آلاف درهم وخلعة من ثيابه وصركب من مراكبه ، وجيز له ذلك مع خادم من
خدمه إلى خُرَاعة ، فأعطاه الجائزة وأشار عليه بالمسير إليه ، فلما دخل عليه وسلم
أمره بالجلوس فجلس ، واستنشد الشعر ، فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمة
وأجرى عليه رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر ثم إنه ما بلغه أن
أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح
بها أهل البيت رضى الله عنهم وهجا الرشيد [من البسيط] :

وليسَ حَيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ تَلَّمَهُ	مَنْ ذِي يَمَانٍ وَلَا بَكْرٍ وَلَا مُضَرٍّ
إِلَّا وَهْمٌ شَرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ	كَأَنَّ تَشَارُكَ أَيْسَارُ عَلَى جُزُرٍ
قَتْلٌ وَأَمْرٌ وَتَحْرِيقٌ وَمَنْهَبَةٌ	فَمَلُّ الْفِرَاقَةِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرِ
أَرَى أُمِيَّةً مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا	وَلَا أَرَى لِبَنِي الْقَبِيَّاسِ مِنْ عُدُوٍّ
أَرْبَعٌ يَطُوسُ عَلَى الْقَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا	مَا كُنْتُ تَرْبِعَ مِنْ دِيرٍ إِلَى وَطَرٍ ^(١)
قَبْرَانِ فِي طُوسٍ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ	وَقَبْرُ شَرْهَمٍ هَذَا مِنَ الْعَبَرِ
مَا يَنْفَعُ الرُّجْسَ مِنْ قَرَبِ الزَّكِيِّ وَلَا	عَلَى الزَّكِيِّ بِقَرَبِ الرُّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ ^(٢)
هَبَّاتُ كُلِّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ	لَهُ يَدَا ، فَخُذْ مَا شِئْتَ أَوْ قَدْ رِ

يعني قبر الرشيد وقبر موسى الكاظم ، ولعمري لقد هذا هذا ، ولنفسه
ظلم وآذى

(١) في مطبوعة بولاق * . . . من دين على وطر * وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق * ما ينفع الرجس من قبر الزكي * . وقد أثبتنا

ما في الأغاني ، وهو أهم مقابلة مع عجز البيت

وحدث أبو حفص النحوى مؤدب آل طاهر ، قال : دخل دعبيل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ينفد [من المنسرح] :

جئتُ بلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ ذِمَّائِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

قال : فانتقل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجه إليه بصره فيها ألف درهم ، وكتب إليه معها [من الكامل] :

أَعْمَلْنَا فَأَنَّاكَ عَاجِلُ بَرْنَا وَلَوْ أَنْتَظَرْتَ كَثِيرَهُ لَمْ يَقْلَلِ
فَخَذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ وَتَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نَفْعَلْ

وكان دعبيل قد قصد مالك بن طوق ومدحه فلم يرض ثوابه فخرج عنه وقال فيه [من السريع] :

إِنَّ ابْنَ طُوقٍ وَبَنِي تَغْلِبَ لَوْ قُتِلُوا أَوْ جُرْحُوا قَصَرَهُ
لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ دِيَةِ دَرْمَا يَوْمَا وَلَا مِنْ أَرْضِهِمْ بَعْرَهُ
دِمَائِهِمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُوعٌ مِثْلُ دَمِ الْعَنْدَرَةِ
وَجُوهُهُمْ بَيَضٌ وَأَحْسَائِهِمْ سَوْدٌ وَفِي آدَانِهِمْ صَفْرُهُ
وقال فيه أيضا [من السريع] :

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكٍ فِي تَارِخِ الْأَرْضَيْنِ وَالْدَانِيَةِ
طَرًّا فَلَمْ نَعْرِفْ لَكُمْ نِسْبَةً حَتَّى إِذَا قُلْتُ بَنِي الثَّانِيَةِ
قَالُوا فَوَيْعَ دَارًا عَلَى يَمْنَةٍ وَتِلْكَ هَادَارُهُمْ ثَانِيَةِ

فبلغت الآيات مالكا، فطلبه، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس ابن محمد بن علي العباسي ، وكان قد بلغه هجاء دعبيل وعبد الله بن عيينة نزارا فأما ابن عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه ، وأما دعبيل فإنه حين دخل البصرة بعث إليه فقبض عليه ، ودعا بالنطم والسيف ليضرب عنقه فحلف

بالطلاق على جدها وبكل عمن تُبْرِىء من الدم أنه لم يقلها ، وأن عدوًّا له قالها - إما أبو سعد الخزومي أو غيره - ونسبها إليه ليفرى بدمه ، وجعل يتضرع إليه ، ويقبل الأرض ويبكي بين يديه فرقله ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد أن أشورك ، ثم دعا له بالعصى فضربه حتى سلح ، وأمر به فألقى على ففاه وفتح فمه ، فرد سلحه فيه ، والمقارع تأخذ رجله ، وهو يحلف أن لا يكف عنه حتى يستوفيه ويبله أو يقتله ، فمارفت عنه حتى بلغ سلحه كله ، ثم خلاه فهرب إلى الأهواز ، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيماً قد أمدأ ما أعطاه سماً وأمره أن يقتله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهر قمه بمكازلها زج مسموم ، فمات من الغد ، ودفن بتلك القرية ، وقيل : بل حمل إلى السوس فدفن فيها .

وكانت ولادته في سنة ثمان وأربعين ومائة . ووفاته في سنة ست وأربعين ومائتين .

ولما مات - وكان صديق البحرى ، وكان أبو تمام قد مات قبله - رثاها البحرى بقوله [من الكامل] :

قد زاد في كلنى وأوقد لوعتى متوَّى حبيب يوم مات ودعبل
أخوى لا تزل السماء مخيلةً تفشا كما بساء مزن مُسْبِلِ
جذب على الأهواز يبعد دونه مسرى النعى ورمية بالموصل^(١)
ودعبل - بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة .

(١) في الأصل « ورمسه بالموصل » محوفاً عما أثبتناه ، وانظر هذه الأبيات في هبة الأيام (٥٠) ، ثم انظرها في خمسة أبيات ، في أخبار أبي تمام (٢٧٤ - ٢٧٥) وفي الموازنة (٤٢) ولا توجد هذه الأبيات في ديوان البحرى .

١١٦ — ما أحسن الدينَ والدُّنيا إذا اجتمعَا وأقبحَ الكفرَ والأفلاسَ بالرجُلِ شاهد للمقابلة

البيت من البسيط ، ويُعزَى لأبي ذُلّامة .

يحكى أن أبا جعفر المنصور سأل أبا ذُلّامة عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة ، فقال : بيت يلمب به الصبيان ، قال : وما هو على ذلك ؟ قال : قول الشاعر ، وأنشده البيت .

قال ابن أبي الأصبغ : لا خلاف في أنه لم يُقلّ قبله مثله ، فانه قابل بين أحسن وأقبح ، والدين والكفر ، والدنيا والأفلاس ، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ .

وأحسن من بيت أبي ذُلّامة قول المتنبي [من الطويل] :

فلا الجودُ يفتي المالَ والجدّةُ مقبلٌ ولا البخلُ يبقى المالَ والجدّةُ مدبرٌ

أمثلة من حسن
المقابلة

ومن المقابلة قول النابغة الحمدي [من الطويل] :

فتى تمّ فيه ما يسرُّ صديقَه على أن فيه ما يسوء الأعدايا

وقول الفرزدق [من الطويل] :

وإنّا لنخفي بالأكفِ رماحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعاليقِ

وقول عبد الله بن الزبير الأسدي [من الوافر] :

فردّ شعورهنّ السودَ بيضاً ورَدّ وجوههنّ البيضَ سوداً

وقول أبي تمام [من البسيط] :

يا أمةً كان قبجُ الجورِ يسخطها دهرًا فأصبح حسنُ العدلِ يُرضيها

وقول البحتري [من الخفيف] :

فاذا حاربوا أذلّوا عزيزاً وإذا سالموا أعزّوا ذليلاً

وقول يزيد بن محمد المهلبى لسليمان بن وهب [من الطويل] :

فمن كان للأنام والذلّ أرضه فأرضكم للأجر والعزّ معقل

وقول العباس بن الأحنف [من السريع] :
 اليومُ مثلُ الحولِ حتى أرى وَجْهَكَ والسَّاعَةُ كالشَّهْرِ
 لأنَّ السَّاعَةَ مِنَ اليَوْمِ كالشَّهْرِ مِنَ الحَوْلِ جزءٌ من اثني عشر .
 ولمؤلفه من أبيات [من السريع] :
 لو كانَ ذَا الكاشِخِ في بلدِي لم يَسْتَطِعْ يَوْمُضُنِي وَمَضَا (١)
 وَكُنْتُ في المَرْسَاءِ لَهُ وَكانَ لي مِنْ ظِلِّ أَرْضَا
 وَحَسَنُ في المَقَابِلَةِ قولُ الشَّريفِ الموسوي [من البسيط] :
 وَمَنْظَرِي كانَ بالسَّراءِ يَضْحَكُنِي يَقْرَبَ ما عَادَ بالضَّرَاءِ يَبْكُنِي
 وَقولُ أبي عبد الله النَّوَاصِ [من البسيط] :
 جَهْلُ الرِّميسِ وَحقُّ اللَّهِ يَضْحَكُنَا وَفَعْلُهُ وإِلَّا النَّاسُ يُبْكِنَا
 وَقولُ ابنِ فُحْمٍ الخِلافةِ [من الرمل] :
 طالَتِ الشَّقْوَةُ للمرءِ إِذَا قَصَرَ الرِّزْقُ وطالَ العَمْرُ
 وَقولُ السَّريِّ الرَّثاءِ [من مجزوء الرجز] :

وَصاحبٌ يَدْعُ لي نَارَ السُّرُورِ بِالْقَدَحِ
 في رَوْضَةٍ قد لَبِسَتْ مِنْ لَوْلُو الطَّلِ سَبِخُ
 وَالْجَوْثُ في مُمَسِّكِ طَرَاذُهُ قَوْسُ قَزَحِ
 يَبْكِي بِلاَ حَزَنِ كَأَنَّ يَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ فَرَحِ

وقوله وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :
 وَمُضَلِّلٍ يَسْعَى إِلى بَكَاسِهِ وَقَدْ كادَ ضَوْهَ الصَّبَحِ بِاللَّيْلِ يَفْنَكُ

(١) في مطبوعة بولاق « لو كان ذاك الكاشخ » بزيادة الكاف التي
 تحذف بها الوزن .

وقد حجب الغيم السماء كما
ظلمنا نبت الوجد والكأس دائر
وجلسنا في الماء يوى ويؤتى
وقول التمام الحداد المصري [من المنسرح]:

أما ترى النبت كلما ضحكت
كلهم الزهر في الربض بكي
كلحب يبكي لديه عاشقه
وما أحسن قول الأراجاني وأرشفه [من مخلع البسيط]:

ثبت أما والتحي حبيبي
وابيض ذاك السواد منى
حتى برغى سلوت عنه
واسود ذاك البياض منه

وما أصنى قول الصنى الحلى [من الطويل]:

مليج يغير النسن عند اهتزاز
فافية معنى ناقص غير خصر
ويجبل بدر التم عند شروق
وما أشرق قول الشمس التلساني [من الطويل]:

فكم يتجافى خصره وهو فاحل
وكم يدعى صونا وهذى جفونه
وكم يتحالي ريقه وهو بارد
ومن مقابلة حمة بخمة قول المتنبي [من البسيط]:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وقد أخذهم بمضهم أخذاً مليحاً
وأنتى وبياض الصبح يفرى بي
قال [من الكامل]:

أقل النهار إذا أضاء صباحه
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً
وأظلم أنتظر الظلام الغامساً
والليل يرفى لي فيدير عابساً

والمتنبي أخذ معنى بيته من مصرع بيت لابن المعتز، وهو قوله [من

البسيط]:

لَانْتَقِ إِلَّا بَلِيلَ مَنْ تَوَاعَدُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ
إِلَّا أَنْ ابْنَ الْمُعْتَرَجِينَ هَذَا الْمَعْنَى بِذِكْرِ نَمَامَةِ وَقَوَادِ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ سَبَّكَ
أَحْسَنَ سَبْكَ وَأَبْدَعَهُ ، فَصَارَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ .

وقال عبد الله بن خنيس من شعراء المغاربة [من الكامل] :
بَاتَتْ لَهُ الْأَهْوَاءُ أَدَمَ سَابِقًا وَغَدَتْ بِهَ الْأَيَّامُ أَشْهَبَ كَابِي
فَأَحْسَنَ مَا شَاءَ ، لِمُقَابَلَتِهِ الْأَدَمَ بِالْأَشْهَبِ ، وَالسَّابِقَ بِالْكَابِي ، عَلَى أَنَّهُ
مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
[من الطويل] :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْرَى فِي الظَّلَامِ بِأَدَمٍ فَهَذَا أَنَا أَغْدُو فِي الصَّبَاحِ بِأَشْهَبِ
وَفِي بَيْتِ كُلِّ مِنْهُمَا زِيَادَةٌ عَلَى الْآخَرِ .
وَمِنْ مُقَابَلَةِ سِتَّةِ بَسْتَةٍ مَا أَوْرَدَهُ الصَّاحِبُ شَرَفَ الدِّينِ مُسْتَوْفَى إِرْبِلَ ، وَهُوَ
[من الطويل] :

عَلَى رَأْسِ عَبْدِ تَاجٍ عَزِيَّ زَيْنُهُ وَفِي رِجْلِ حَرٍّ قِيدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ
حَكَى غَرَسَ الدِّينِ الْأَرْبِلَى ، أَنَّ الصَّاحِبَ الْمَذْكُورَ لَمَّا أَنْشَدَ لِفَتْرِهِ هَذَا
الْبَيْتَ ، قَالَ هُوَ بَدِيهَا [من الطويل] :

تَسْرُلُنَا مَكْرَمَاتُ تَزِينُهُ وَتَبْكِي كَرِيمًا حَدَثَاتُ تَهْنِيهِ
وَمِنْ مُقَابَلَةِ خَمْسَةِ بِخَمْسَةِ قَوْلِ الْقَائِلِ فِي ذِي ابْنَةِ [من الكامل] :
يَأْتِي إِلَى الْأَحْرَارِ يَجْلِسُ فَوْقَهُمْ وَيَنَامُ مِنْ تَحْتِ الْعَبِيدِ وَيُوتِي
وَمِنْ مُقَابَلَةِ خَمْسَةِ بِخَمْسَةِ قَوْلِ النَّمِيرِيِّ الْفَرْنَاطِيِّ [من الكامل] :

هِنَّ الْبَدُورُ تَغْيَرَتْ لَمَّا رَأَتْ شَعْرَاتِ رَأْسِي آذَنْتُ بِنَغْيَرِ
رَأَحَتْ نَحْبُ دُجَى شَبَابٍ مَظْلَمٍ وَغَدَتْ تَعَاثُفُ ضَعْفَى مَشِيبِ نَغْيَرِ

وأبو دلامة^(١) اسمه زناد بن الجون ، وأكثر الناس يصحف اسمه ، ويقول : ترجمة أبي دلامة زيد بآباء التحتية ، وهو خطأ ، وإنما هو بالنون ، وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، وكان أبو دلامة عبداً لرجلٍ منهم ، يقال له : قضاقض^(٢) ، فأعتقه وأدرك آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له فيها نباله ، ونبت في أيام بني العباس ، فاقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبن مجالسته ونوادره ، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة . وكان أبو دلامة فاسد الدين رذىء المذهب ، مرتكباً للمحارم مجاهرأً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله . وكان أول ما حفظ من شعره وأُسْنِيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور ، وذكر قتله أبا مسلم ، وفيها يقول [من الطويل] :

أبا مسلم خوّفتني القتلَ فانتَحَى عليك بما خوّفتني الأسدُ الورْدُ

أبا مسلم ما غير اللهُ نعمةً على عبده حتى يغيرها العبدُ

وأنشدها المنصور في محفل من الناس ، فقال له : احتكم ؟ فقال له : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو تمديتها لقتلتك . وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعّم بعيدان من داخلها ، وأن يلقوا السيوف في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم (فسبكفنيكم الله وهو السميع العليم) فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شرٌّ حال ، وجبى في وسطى ، وسبى في اسقى ، وقد صبغت بالسواد ثيابي ، ونبتت كتاب الله وراء ظهري ، فضحك منه وأعفاه ، وحضره من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع منك هذا أحد ، وفي ذلك يقول أبو دلامة

(١) نجد ترجمة أبي دلامة في الأغاني (٩ - ١٢٠)

(٢) في الأغاني « فضاقض » بفاءين

[من الطويل]:

وكنا نرجى منحةً من إمامنا فجاءت بطول زاده في القلانس
 تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جملت بالبرانس
 وحدث الجاحظ ، قال : كان أبو دلامة واقفاً بين يدي المنصور — أو
 السفاح — فقال له : سئني حاجتك . قال أبو دلامة : كلب صيد . قال : أعطوه
 إياه . قال : ودابة أتصيد عليها . قال : أعطوه . قال : وغلام يقود الكلب .
 قال : أعطوه غلاماً . قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتضعنا منه . قال : أعطوه
 جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد من دار يسكنونها . قال :
 أعطوه داراً تجمعهم . قال : وإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال :
 قد أقطعتك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال :
 مالا نبات فيه من الأرض . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف
 جريب غامرة من فيا في بني أسد ، فضحك وقال : اجعلوا المسائتين كلها عامرة .
 قال : فأذن لي أن أقبل يدك . قال : أما هذه فدعها فاني لا أفعل . قال : والله
 مامنت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها ١ .

قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالسألة ولطفه فيها ، حيث ابتدأ بكلمة
 سهّل القضية ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب فكاهة ، حتى نال ما لو سأله
 بديهة لما وصل إليه .

وحدث الهيثم بن عدي قال : دخل أبو دلامة على المنصور ، فأنشده قصيدته
 التي أولها [من البسيط]

إن الخليط أجد الدين فانتجعوا وزودوك خيالاً ، بئس ماضعوا (١)

(١) في الأصل «بأن الخليط أجد الدين» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

إلى أن قال فيها بهجوز وجهه :

لَا وَالَّذِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَىٰ لَكَ الْخِلَافَةَ فِي أَسْبَابِهَا الرُّعُ
 مَازَلْتُ أَخْلَصُهَا كَسْبِي فَتَأْكُلُهُ دُونِي وَدُونِ عِيَالِي ثُمَّ تَضْطَجِعُ
 شَوْهَاهُ مَشْنَبَةً فِي بَطْنِهَا بِحُجْرٍ وَفِي الْمَفَاصِلِ مِنْ أَوْصَالِهَا فَدَعُ (١)
 ذَكَرْتَهَا بِكِتَابِ اللَّهِ حَرَمْتَهَا وَلَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَرْتَدُّعُ (٢)
 فَخَرَنْطَلْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ مَغْضَبَةٌ أَنْتَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ يَا لِكَيْفِ (٣)
 أَخْرَجَ لِتَبِغٍ لَنَا مَالًا وَمِزْرَعَةً كَمَا لَجِيرَانَا مَالٌ وَمِزْرَعُ
 وَاخْدَعُ خَلِيفَتُنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ إِنْ الْخَلِيفَةُ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ
 فَضَحَكِ الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ : أَرْضَوْهَا عَنِّي ، وَإِذَا كَتَبُوا لَهَا سِتْمَاةً جَرِيبَ عَامِرَةَ
 وَغَامِرَةَ ، فَقَالَ : أَنَا أَقْطَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ جَرِيبَ غَامِرَةَ فِيمَا بَيْنَ
 الْحَبِيرَةِ وَالنَّجَفِ ؛ وَإِنْ شِئْتَ زِدْتُكَ ، فَضَحَكَ وَقَالَ : اجْعَلُوهَا كُلَّهَا عَامِرَةَ .
 وَشَهِدَ أَبُو دِلَامَةَ لَجَارَةِ لَهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى الْقَاضِي ، عَلَى أَنَّهَا نَازَعَهَا فِيهِ
 رَجُلٌ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الشَّهَادَةِ قَالَ لِابْنِ أَبِي لَيْلَى : اسْمَعْ مَا قُلْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيكَ ،
 ثُمَّ اقْضِ بِمَا شِئْتُ قَالَ هَاتِ : فَأَنشَدَهُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :
 إِنْ النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ يَحْثُرُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ
 وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِي حَفَرْتُ بِئْرَهُمْ لِيَعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تِلْكَ النَّبَاتُ (٤)

(١) في مطبوعة بولاق « في بطنها بحل » وفي الأغاني « في بطنها بحل »
 وكلاهما تحريف ما أثبتناه ، والبحر - بفتحيتين - أن يعظم البطن ، وتخرج
 السرة ويغلف أصلها .

(٢) في الأغاني * ولم تكن بكتاب الله تنفع *

ولكل منهما معنى صحيح

(٣) آخر نطمت : غضبت

(٤) النباتات : جمع نبتة ، وهي تراب البئر أو النهر أو ما حول أحدهما
 من التراب .

فأقبل القاضي على المرأة ، وقال : أتبيعيني الآن ؟ قالت : نعم ، قال : بكم ؟
 قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوها إليهما ، ففعلوا ، وأقبل على الرجل فقال : قد
 وهبتها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابنت
 ممن شهدت له وهبت ملكي لمن رأيت ، أرضيت ؟ قال : نعم ، وانصرف .
 ودخل أبو عطاء السندی يوما إلى أبي دلامة ، فاحتبسه ، ودعا بطعام
 وشراب فأكلا وشربا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبية له ، فحملها على كتفه ،
 فبالت عليه ، فنبذها عن كتفه ، ثم قال [من الوافر] :

بَلَّتْ عَلَى لَأُحْيِيَّتِ نَوْبِي فَبَالَ عَلَيْكَ شَيْطَانُ رَجِيمٍ^(١)
 فَمَا وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ أُمُّ عِيسَى وَلَا رَبَّكَ لَتَمَانُ الْحَكِيمُ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجز يا أبا عطاء ، فقال [من الوافر] :

صَدَقْتَ أَبَادُلَامَةَ لَمْ تَلْهَا مُطَهَّرَةٌ وَلَا فَحْلٌ كَرِيمُ
 وَلَكِنْ قَدْ حَوَّهَا أُمُّ سَوْهٍ إِلَى لَبَاتِهَا ، وَأَبُ لَتِيمُ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنة الله ! ما حلك على أن بلغت بي هذا كله ؟ والله
 لا أنازعك بيت شعر أبدا ، فقال له أبو عطاء : يكون الذي من جهتك أحب إليّ
 ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته ، وأنشده الأبيات ، ثم اندفع
 فأنشده بمعناه [من البسيط] :

لَوْ كَانَ يَمُدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ أَتَيْلَ اقْعُدُوا يَا آلَ عَبَّاسٍ
 ثُمَّ ارْتَقُوا فِي شَمْعِ الشَّمْسِ كُلُّكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَانْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ^(٢)
 وَقَدِّمُوا الْقَائِمَ الْمَنْصُورَ رَأْسَكُمْ فَالْبَيْنُ وَالْأَنْفُ وَالْأَذْنَانِ وَالْإِزَاسُ

فاستحسنها ، وقال : بأى شيء تحب أن أعينك على قبيح ابنتك هذه ؟

(١) في مطبوعة بولاق * بللت على نوبى لاحتيت *

(٢) في الأغاني « فأنتم أطهر الناس »

فأخرج خريطة قد خاطها من الليل ، وقال : تملأ لي هذه دراهم ، فوسعت أربعة آلاف درهم

ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلالة على المنصور والناس يُعزُّونه فأنشأ أبو دلالة يقول :

أُمِيتَ بِالْأَنْبَارِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا تَحْوِيلًا^(١)
وَيْلَى عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كُلِّهِمْ وَيلاً وَعَوَلاً فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِعَبْرَةٍ وَلْتَبْكِينَ لَكَ الرُّجَالُ عَوِيلًا^(٢)
مَاتَ النَّدَى إِذْ مَتَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ فَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التُّرَابِ عَدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مَنْ سَأَلْتُ بُخِيلًا
أَلْشَقَوْنِي أَخْرْتُ بَعْدَكَ لَتِي تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرُّجَالِ ذَلِيلًا
فَلَا حُلْفَنَ يَمِينَ حَقِّي بَرَةً بِاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سَوِيلًا

فأبكى الناس قوله ، وغضب المنصور غضباً شديداً وقال : لئن سمعتك تنشده هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال أبو دلالة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس كان لي مكرماً ، وهو الذي جاءني من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه ، فقل أنت كما قال يوسف (لا تريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) فسرّني عن المنصور ، وقال : قد أفلناك يا أبا دلالة فسل حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين نوباً

(١) في مطبوعة بولاق

* لم تستطع عن غيرها تحويلاً *

وليس بشيء ، وأثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأغاني * فلتبكين لك النساء بهيرة *

وهو أتم لمقابلته بالرجال في عجز البيت

وهو مريض ولم أقبضها ، فقال المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا : صدق يا أمير المؤمنين فنحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيب : [يا سليمان ^(١)] ادفع إليه وسيرته إلى هذا الطاغية ^(٢) يعني عمه الله بن علي ، وكان قد خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلالة فقال : يا أمير المؤمنين ، أعينك بالله أن أخرج معهم فإني والله لشؤم ، فقال له المنصور : امض فإن يميني يغلب شؤمك فاخرج ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحبُّ لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر فإني لأدري أيهما يغلب يمينك أو شؤمي إلا أنني بنفسى أدري وأوثق وأعرف وأطول تجربة ، فقال : دعني من هذا فإلك من الخروج به ، قال : فإني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكرا أكلها هزمت وكنت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل ، فاستفرغ ^(٣) المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة

وحدث أبو دلالة قال : أتى بي إلى المنصور أو إلى المهدي وأما سكران ، فحلف ليخرجني في بئس حرب ، فأخرجني مع روح بن عدى بن حاتم ^(٤) المهلبى لقتال الشراء ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتي فرسك وبعي سلاحك لأمرت في عدوك اليوم أترأ ترثضيه مني ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى ودعا له بغيرهما فاستبدل به ، فلما حصل ذلك في يدي و زالت عني حلاوة الطمع ^(٥)

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في مطبوعة بولاق « هذه الطاغية » وأثبتنا ما في الأغاني

(٣) في الأغاني « فاستغرب »

(٤) في الأغاني « روح بن حاتم المهلبى » بإسقاط عدى

(٥) في مطبوعة بولاق « وزالت عنه حلاوة الطمع » محرفا ، وما أثبتناه

موافق لما في الأغاني

قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمهما ، فقال :
هات ، فأنشدته [من الكامل] :

إِنِّي اسْتَجَرْتُكَ أَنْ أَقْدَمَ فِي الْوَعَى لِنَطَاعِنٍ وَتَنَازُلٍ وَخِرَابٍ
فَقَبِ السُّيُوفَ رَأَيْتُهَا مَشْمُورَةً فَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فِي الْهَرَابِ
مَاذَا تَقُولُ لِمَا يَجِبِي وَلَا يُرَى مِنْ وَارِدَاتِ الْمَوْتِ فِي النَّشَابِ^(١)

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، فبرز رجل من الخوارج يطلب المبارزة ،
فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي ، فقال :
والله لنخرجن ، قلت : أيها الأمير إنه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا
وأنا والله جائع ماتنبعث مني جارحة من الجوع فرلى بشيء آكله ثم أخرج ، فأمرلى
برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت من الصف ، فلما رأى الشاري أقبل
فحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فافعل وعيناه تقدآن ،
فأسرع إلى ، فقلت : على رسلك يا هذا كما أنت ، فوقف ، فقلت : أقتل من
لا يقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أفتستحل أن تقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ،
قلت : أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من يقاتلك إلى دينك ؟ قال : لا فاذهب
عنى إلى لعنة الله ، فقلت : لأفعل أو تسمع منى ، قال : قل ، قلت : هل كان
بيننا عداوة قط أوترة أو تعلم بين أهلى وأهلك وترا ؟ قال : لا والله ، قلت :
ولا أنا والله لك إلا على جميل ، وإنى لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين بدينك

(١) روى هذا البيت فى الأغانى

ماذا تقول لما يجيى وما يرى من واردات الموت فى النشاب
ووقع فى مطبوعة بولاق

ماذا تقول لمن يجيى ولا يرى لما درأت الموت فى النشاب
وأثبتناه كما ترى

وأريد الشر لمن أرادك ، قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف ، قلت : إن
معي زاداً وأريد أن آكله وأريد مواكلك لتتنا كد المودة بيننا ونُرى أهل
السكرين هوائهم علينا ، قال : فافعل ، فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق
دوابنا وجعنا أرجلنا على مآرفها وجعلنا نأكل ، والناس قد غلبوا ضحكاً ، فلما
استوفينا ودّعني ، ثم قلت له : إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة تدبني
لك فتتعب وتتعبني ، فان رأيت أن لا تبرز اليوم فافعل ، قال : تدملت ، ثم انصرف
وانصرف ، فقلت لروح : أما أنا فقد كفتك قرني فقل انصبري يكفك قرنه ،
قال : ثم خرج آخر يريد البراز ، فقال : اخرج إليه ، فقلت [من البسيط] :
إني أعوذ بروح أن يُقدمني إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى القرآن أعلمه مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أوزنكم وماوردت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها لكيتها خلقت فرداً فلم أجسد
فضحك وأعفاني

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلالة : احجج معي ولك عشرة
آلاف درهم ، قال : هاتها ، فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد فجعل
ينفقه هناك ويشرب الخمر ، وطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشى فوات الحج ،
فخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلالة^(١) خارجاً من قرية إلى قرية أخرى
وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في الحمل بين يديه ، ففعل به ذلك ،
فلما سار غير بعيد أقبل أبودلالة على موسى وناداه بقوله [من البسيط] :

(١) في مطبوعة بولاق « فاذا هو بأبي دلالة » وحذفنا انشاءً وفاقالما
في الأغاني .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا أَتَجْمَعِينَ مَعَا
 كَانَ دِيَابِجِي خَذِيهِ مَنْ ذَهَبَ
 إِنِّي أَعُودُ بِدَاوُدَ وَأَعْظُمُهُ
 أَنْتِثُ أَنْ طَرِيقَ الْحِجِّ مَعْطِشَةٌ
 مِنَ الشَّرَابِ وَمَا شَرِبِي بِتَصْرِيدٍ^(١)
 وَاللَّهِ مَا فِي مَنْ أَجِرٍ فَتَطْلُبُهُ
 وَلَا النَّسَاءَ عَلَى دِينِي بِمَحْمُودٍ
 فَقَالَ مُوسَى : أَلْقُوهُ لَعْنَهُ اللَّهُ عَنِ الْحِمْلِ وَدَعُوهُ^(٢) ، فَأَلْقَى وَعَادَ إِلَى
 قَصْفِهِ بِالسَّوَادِ حَتَّى نَفَدَتِ الْعَشْرَةُ آلَافٍ^(٣) .

ودخل أبو دلالة يوما على المنصور فأثنى عليه [من الوافر] :
 رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
 وَكَانَ بِنَفْسِي خِلَازٌ فِيهَا وَسَاجٌ نَاعِمٌ فَأَتَمُّ زِينِي
 فَصَدَّقُ يَا فَدَّتَكَ النَّفْسُ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
 فَأَمْرٌ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَا عُدْتُ تَحْلُمُ عَلَى ثَانِيَةٍ فَأَجْعَلْ حَلْمَكَ أَضْعَافًا وَلَا أَحْقَقْهُ
 ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَمَضَى فَنَشَرَبَ فِي بَعْضِ الْحَانَاتِ فَسَكَرَ وَانصَرَفَ وَهُوَ عَمَلُ فُلَاقِيهِ
 الْعَسَسُ فَأَخَذَ قَبِيلَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ فَقَالَ [من الرجز] :
 دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي الْعَبَّاسِ مَاخِمْ الطَّيْنُ عَلَى الْقَرْطَاسِ^(٤)
 إِذَا اصْطَبَحْتَ أَرْبَعًا بِالْكَاسِ فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي
 قَهْلُ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ ؟

- (١) في مطبوعة بولاق «عن أن أسكف» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
 (٢) في الأغاني «خبرت أن طريق الحج»
 (٣) في مطبوعة بولاق «ودعوه فينصرف» وحذفنا التاء وفاقا لما في الأغاني
 (٤) الصواب عربية أن يقول «عشرة الآلاف» والكوفيون يحذفون
 «العشرة الآلاف» فأما ما في الأصل فخطأ
 (٥) في مطبوعة بولاق «فاختم الطين» محرفا ، وما أثبتناه موافق لما
 في الأغاني ، وأراد بقوله «ماختم الطين - الخ» معنى الدوام

فأخذوه ومضوا به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه المس، فحبسه مع الدجاج في بيت، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة فلا يجيبه أحد، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاة الديكة، فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك! من أنت؟ وأين أنا؟ قال بنى الحبس، وأنا فلان السجان، قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرقَ طيلسائي؟ قال: الحرس، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس، ففعل، فكتب إلى المنصور [من الوافر]:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدَتَكَ نَفْسِي تَحْلِمَ حَبْسَتِي وَخَرَقْتَ سَاجِي
أَمِنْ صَهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمَزَاجِ كَأَنَّ شُمَاعَهَا لَهْبُ الْمُرَاجِ
وَقَدْ طَبَخْتُ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى لَقْد صَارَتْ مِنَ النُّطْفِ النَّضَاجِ
تَبَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَبِيهَا إِذَا بَرَزَتْ تَرَفَّرُ فِي الزَّجَاجِ
أَقَادَ إِلَى السَّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ كَأَنِّي بَعْضُ عَمَالِ الْخُرَاجِ
وَلَوْ مَعَهُمْ حُبْسْتُ لَكَانَ سَهْلًا وَلَكِنِّي حُبْسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تَخْبِرُنِي ذُنُوبِي بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ تَاجِدِ
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَأَقِيتُ شَرًّا لَخَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فصاح به، وقال له: أين حبست يا أبا دلامة؟ فقال: مع الدجاج، قال: فما كنت تصنع؟ قال: أفوق، معهم حتى أصبحت، فضحك وخلي سبيله، وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: * وقد طبخت بنار الله * يعني الشمس، فأمر برده. ثم قال له: يا خبيث، شربت الخمر؟ قال: لا. قال: أفلم تقل: * طبخت بنار الله * تعنى الشمس. قال: لا، والله ما عنيت إلا نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع، فضحك وقال: خذها يا ربيع، ولا تعاود التعرض له.

ولما قدم المهدي من الرّي، دخل عليه أبو دلامة، فأنشأ يقول [من الكامل] :

إني نذرتُ لئن لقيتُكَ سالماً يقرّى العِراقُ وأنتَ ذو وفرة
لتصابتَ على النسيِّ مجدٍ ولتلاؤنَ دُرّاً هاءَ حجري

فقال : صلى الله على النبي محمد وسلم ، وأما الدرّاهم فلا ، فقال له : أنت أكرم من أن تفرق بينها ، ثم تختار أسهلها ، فضحك ، وأمر بأن يملأ حجره دراهم .

ودخل أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته ، فزأها به وبكى ، فبكت معه ، فقالت أم سلمة : لم أجد أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال : ولا سواء (١) يرحمك الله ! لك منه ولد ، وما ولدت أنامته قط ، فضحكت ، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت ، وقالت له : لو حدثتُ الشيطان لأضحكته .

ودخل يوما على المهدي ، وهو يبكي ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ، وأنشد لنفسه فيها [من الطويل] :

وكنا كزوج من قطعاً في مفارقةٍ لدى خفّض عيشٍ موتي نافرٍ رغدٍ
فأفردتني ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئاً قطُّ أوحش من فردٍ

فأمر له بطيب وثياب ودنانير ، وخرج ، فنخلت أم دلامة على الخيزران وأعلمتها أن أبا دلامة قديمات ، فأعطتها مثل ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما ، فجهلا يضحكان لذلك ويمجبان منه .

(١) في مطبوعة بولاق «ولاسواي يرحمك الله» مجرّفاً وما أثبتناه موافقاً لمسأفي الأغاني

وحدث المزيقي قال : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم
فقال المهدي له : أنت غرض الله تعالى عهداً ، لأن لم تهج واحداً ممن في البيت
لأضرار عنقك ، فنظر إليه القوم ، وغمزوه بأن عليهم رضاه . قال أبو دلامة :
[ضمت (١)] أتى وقت ، وأنها عزمة من عزماته ، ولا بد منها ، فلم أر أحداً
أحق بالهجرة مني ، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي ، فقلت :
[من أوافر] :

إلا أبلغ لذيكَ أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة قلت قرداً وخنزيراً إذا وضع العمامة (٢)
جمعت دمامة وجمعت لؤماً كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامة
فضحك القوم ، ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

وخرج المهدي وعلى بن سليمان إلى الصيد . فسبح لهما قطع من ظباء ،
فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سهماً فصرع ظبياً ، ورمى
على بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال في ذلك أبو دلامة [من مجزوه الرمل] :

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فواده
وعلى بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلامة
وأمر له بمجازة . ولقب على بن سليمان بصائد الكلب ، فعلق به .

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في الأغاني « كان قرداً وخنزيراً إذا »

وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها . فلما وقف على
حضرتها قال لأبي دلالة : ما أعددت لهذه الحفرة ؟ قال : بنت عمك يا أباها المؤمنين
حمادة بنت عيسى ، يُجاء بها الساعة فتدفن فيها ، فضحك المنصور حتى غلب
وستر وجهه .

وحدث الهيثم بن عدي قال : حجت الخليزان ، فلما خرجت صاح أبو دلالة :
جعلني الله فداك ! الله الله في أمري ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قالوا : أبو دلالة ، قالت :
اسألوه ما أمره . قال : أدنوني من محلها ، فأدنى ، فقال : أيتها السيدة ، إني شيخ
كبير وأجرك في عظيم . قالت : فه ؟ قال : تهين لي جارية من حواريك تونسي
وترفق بي وتريحني من عجز عندي قد أكلت رفدي ، وأطالت كدي ، فقد
عاف جلدي جلدها ، وتميت بُدْها ، وتشوقت فَقْدَها . فضحكت ، وقالت :
سوف آمر لك بما سألت ، فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد
وأقام حتى سَم ، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رقعة قد
كتبها إلى الخليزان فيها [من مجزوء الرمل] .

أبلى سديتي بالله يا أم عبيدة
أنها أرشدتها الله وإن كانت رشيده
وعدتني قبل أن نخ رج للحج وليده
فتأتيت وأرسلت بعشرين قصيدة
كلما أخلقن أخلفت لها أخرى جديده
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجز ساقها مثل القديده
وجها أقيح من حوت طري في عصيده
ما حيائي مع أثني مثل عريسي بسعيده

فما قرئت عليها الأبيات ضحكت ، واستمدت قوله : • وجهي تقيح من حوت إلى آخره • وجعت تضحك ، ودعت بجارية من جواربها فائقة . فقلت لها : خذي كل مالك في قصري ، ففعلت ، ثم دعت بخادم وقالت له : سلها إلى أبي دلالة . فانطلق الخادم بها فله يصبه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجع فادفئها إليه وقولي له : تقول لك السيدة أحسن صعبة هذه الجارية فقد آثرتك بها . فقلت له : نعم . فلما خرج دخل إليها ابنه دلالة فوجد أمه تبكى ، فسالها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن أردت أن تبرئ يوما من الدهر فاليوم ، قال قولي : ماشئت فافعلي ، قالت : تدخل عليها فتملعها أنك مالكها فتطوؤها وتحرمها عليه ، وإلا ذهبت بقله وجفائي وجفائك ، ففعل ودخل على الجارية فوطئها وواضعا ذك منه وخرج ثم دخل أبو دلالة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقلت : في ذلك البيت فدخل إليها شيخ محلم ذاهب فده يده إليها وذهب ليقبها ، فقلت له : مالك ويك تنح عني وإلا لطمتك لطمه دقت بها أنفك . فقال : أي هذا أوصتك السيدة ؟ فقلت : إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت ، وقد كن عندي آنفا ونال مني حاجته ، فلم أنه قد دهي من أم دلالة وابنها ، فخرج إلى دلالة فلطمه وتلبب به وحلف أنه لا يفارقه إلى المهدي ، ففرض به متلببا حتى وقف على باب المهدي . فرف خبره وأنه قد جاء إبنة على تلك الحالة ، فأمر بإدخاله فلما دخل قال له : مالك ويك ؟ قال : عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه ولا يرصني إلا أن قتله . فقال : مالك ! فما فعل بك ؟ فأخبره الخبر . فضحك حتى استلقى على قفاه ثم جلس . فقال له أبو دلالة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ فقال على بالسيف والنطم . فقال له دلالة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي ، قال : هات . قال : هذا الشيخ أصفى الناس وجهاً ، وهو ينك أي منذ أربعين ما غضبت نكت أما جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى ، فضحك المهدي أشد من ضحكه الأول . ثم قال : دعها له وأنا أعطيك خيرا منها . قال : على أن

تخبأها إلى بين السماء والأرض وإلا ناكها وأفقه كالك هنة، فتهد المهدى إلى أبي دلالة أن لا يماود دلالة مثل فعله، وحلف أنه إن غود قتله، وأمر له بجزية أخرى كما وعده.

ودخل أبو دلالة على المهدى وسلمة الوصيف واقف، فقال: إني قد أهديت لك يا أمير المؤمنين ميرا ليس لأحد مثله، فإن رأيت أن تشرقي بقبوله، فأمر بإدخاله إليه، فخرج أبو دلالة وأدخل فرسه القى كلن تحته، فإنا هو برفون؟ محط أعجف هرم، فقال له المهدى: أى شيء ويك هنا، ألم تزعم أنه مهر فقال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً، تسميه الوصيف، وله ثمانون سنة، وهو بعد عندك وصيفاً، فإن كلن سلمة وصيفاً فهذا مهر، فجعل سلمة يشتمه والمهدى يضحك. ثم قال لسلمة: ويحك! إن لمنه منه أخوات، وإن أتى بمثلهما في محفل يفضحك، فقال أبو دلالة: إني وأفقه يا أمير المؤمنين لأفضحنه فليس في مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره، فأني ما شربت له الماء قط، قال: قد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك، قال: قد فعلت على أن لا يماود، قال: أفعل، ولولا أتى ما أخنت منه شيئاً قط ما استعملت معه مثل هذا، ففضى سلمة فحملها إليه وسلمه إياها.

وجاء دلالة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة، فقال لهم: إن شيخى كاترون قد كبر سنه، ودق عظمه، وبنا إلى حياته حلجة شديدة، ولا أزال أشير عليه بالشئ يسلك رفق ويبقى قوته فيخالفتي، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حلجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسمفوني بمأثته ممي، فقالوا: فضل وحبا وكرامة، ثم أقبلوا على أبي دلالة بالسنتهم، فتناولوه بالثلب حتى رضى ابنه وهو ساكت، فقال: قولوا لهذا الخبيث فليلق ما يريد، فستهلموا: أنه لم يأت إلا بيلية، فقالوا: قل، قال: إن أبي ما يقتله إلا ككرة الجلع،

فتملأوني^(١) علي حتى أخصيه فلن قطعه عن ذلك غير الخصاص فيكون أصبح جسمه وأطول لعمره، فصبوا مما أتى به، وعلموا أنه أراد أن يبعث بآبيه ويخلصه حتى يشيع ذلك عنه ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبي دلالة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعت أنتم وعرفت أنه لم يأت بخير، قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جلست أمه حكما بيني وبينه. قوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقض أبو دلالة القصة عليها وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني هذا أبقاء الله فد نصح أباه وبره ولم يأل جهدا وما أنا إلى بقاء آبيه بأحوج مني إلى بقاءه، وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخلصها، فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أنزأ محمودا استعمله أيضا أبوه، فجعل أبوه يضحك منه، وخجل ابنه دلالة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبتهم جميعا وانفاهم في ذلك المذهب.

وكان عند المهدي رجل من بني مروان قد جاءه مسلما، فأتى المهدي بملج، فأمر المرواني أن يضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضر به فبأ عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا، فسمعها المهدي فغاضه حتى تغير وجهه وبأن فيه، فقام يقطع السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب الملج فرمى برأسه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف سيوف الطاعة ولا تعمل إلا في أيدي الأولياء، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية، ثم قام أبو دلالة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرتي بيتان أقول؟ قال: قل، فأنشده [من الخفيف]:

أَبْهَذَا الْإِمَامُ سَيْفُكَ مَاضٍ وَبِكَ الْوَلِيُّ غَيْرُ كَهَامٍ
فَإِذَا مَا نَبَأَ بِكَ عَلَيْنَا أَنَّهُ كَفَّ مُبْنِضٌ لِلْإِمَامِ
فَقَامَ الْمَهْدِيُّ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَسُرِيَ عَنْهُ، وَأَمَرَ حُجَّابَهُ بِقَتْلِ الْمُرَوَّانِيِّ، فَقَتَلَ
وَقَالَ ابْنُ النَّطْلَاحِ: دَخَلَ أَبُو دِلَالَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً فِي بَقْلَتِهِ

(١) هكذا بخلف نور الرفع من غير تقدم ناصب أو جازم

المشهوره يهجوها ويدكر ما فيها، فلما أنشده قوله [من الوافر] :

أَتَانِي خَائِبٌ يَسْتَأْمُنُنِي عَرِيقًا فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
قَالَ تَبِعْمَا قُلْتُ ارْتَبَطْهَا بِحُكِّكَ إِنْ يَبْنِي غَيْرُ غَالِي
فَأَقْبَلَ صَاحِكًا نَحْوَى سُرُورًا وَقَالَ أَرَاكَ سَهْلًا ذَا جَلَالِ
هَلُمَّ إِلَيَّ يَخْلُوبِي خِدَاعًا وَمَا يَذْهَبُ الشَّقَى لِمَنْ يَخَالِي
قُلْتُ بَارِزِينَ قَالَ أَحْسِنْ إِلَى مَنْ مِثْلَكَ دُوسَجَالِ
فَأَتْرُكُ حَسَةً مِنْهَا لِعَلِي رِمَا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ الْخَبَالِ

فقال له المهدي : لقد أفلت من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين
لقد مكنت شهرًا أتوقع صاحبها أن يرد علي ، قال : ثم أنشده [من الوافر] :

فَأُبَدِّلُنِي بِهَا يَارَبُّ طَرَفًا يَكُونُ جَلَالُ مَرْكَبِي جَلَالِي

فقال المهدي لصاحب دوابه : خيره بين مركبين من الاصطبل ، قال :
يا أمير المؤمنين ، إن كلن الاختيار إلى وقت في شرمن البغلة ، ولكن مره أن
يختار لي ، قال : اختر له

وأخبار أبي دلالة كثيرة ، وقد أثبتنا منها طرفًا صالحًا .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى !

عامد مراد
التظير

١١٧ — كَالْقَيْسِ الْمُطَفَّاتِ بَلَى الْأَسْهُمُ مَبْرِيَّةٌ بَلَى الْأَوْتَارِ
البيت للبحرئى ، من قصيدة من الخفيف ^(١) يمدح بها أبا جعفر بن حميد
ويستوهمه غلاما ، ومنها قوله :

أُبْكَاةٌ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسُلُوءًا يَرْزَيْبِرَ عَنْ قَوَارِ

لَاهَنَّاكَ الشَّغْلُ الْجَدِيدُ بِحُزْنٍ
 مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُنْحَى
 إِلَى أَنْ قَالَ مِنْهَا فِي وَصْفِ النُّوقِ :
 يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خَضْنَ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
 وبعده البيت ، والقصيدة طويلة ، يقول منها في تشكيه من الغلام الأجير
 ويسأل مخدومه في هبته غلاما ويصفه :

قَدْ مَلَّكَ يَا غَلَامُ فَعَادِ
 سَرَاقَاتِ مَنْى خُصُوصًا ، فَهَلَا
 أَنَا مِنْ يَاسِرٍ وَسَعِيدٍ وَفَتَحَ
 لَا أَحِبُّ النَّظِيرَ يُخْرِجُهُ الشَّمُّ إِلَى الْاِحْتِجَاجِ وَالْاِفْتِنَارِ
 فَاذَا رُعْتَهُ بِنَاحِيَةِ السَّوْطِ ط عَلَى الذَّنْبِ رَاغِي بِالْفِرَارِ
 مَا بَارِضَ الْعِرَاقِ بِاقْوَمٍ حُرٍّ يَشْتَرِينِي مِنْ خِدْمَةِ الْأَحْرَارِ (٢)
 هَلْ جَوَادُ بَاضٍ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ مَحْضُ الْجُدُودِ مَحْضُ النَّجَارِ
 لَمْ يَرُمْ قَوْمَهُ السَّرَايَا وَلَمْ يَغْزُهُمْ غَيْرُ جَحْفَلٍ جَرَّارِ (٣)
 فَحَوْتَهُ الرَّمَايحَ أَعْيَدَ مَجْدُو لَا قَصِيرَ الزُّنَارِ وَافِي الْأَزَارِ (٤)
 فَوَقَّ ضَعْفَ الصَّغَارِ إِنْ وَكَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَدُونَ كِبَرِ الْكِبَارِ (٥)

(١) فِي الْأَصْلِ « فَيْكَ تَحْيَى » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدِّيَوَانِ
 (٢) فِي الْأَصْلِ « سَرَوَانَى عَنَى » وَلَمْ تَجْهَ لَهَا عِنْدَنَا ضَبِطٌ ، وَمَا أُثْبِتْنَاهُ
 مُوَافِقٌ لِمَا فِي الدِّيَوَانِ

(٣) فِي الدِّيَوَانِ « يَفْتَدِينِي » فِي مَكَانٍ يَشْتَرِينِي
 (٤) فِي الدِّيَوَانِ « لَمْ يَرِعْ قَوْمَهُ السَّرَايَا » وَلِمَا هُنَا وَجْهٌ
 (٥) فِي الْأَصْلِ « تَوَجَّهَتِ الرِّيَّاحُ » مُحَرَّفًا عَمَّا أُثْبِتْنَاهُ مُوَافِقًا لِمَا فِي الدِّيَوَانِ
 (٦) فِي الدِّيَوَانِ « وَدُونَ كَيْدِ الْكِبَارِ » وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا هُنَا

لك من نَفَرِهِ وَخَدَّيْهِ مَا شَتَّ مِنَ الْأَفْحَوَانِ وَالْجَلَنَارِ
وَكَأَنَّ الذَّكَاءَ يَبْعَثُ مِنْهُ فِي سَوَادِ الْأُمُورِ شَمْلَةً نَارَ
يَأْتِيَا جَعْفَرًا وَمَا أَنْتَ بِالْمَدَى عَوْ إِلَّا لِكُلِّ أَمْرِ كِبَارِ
وَلَعَمْرِي لِلْجُودِ بِالنَّاسِ لَنَا رِسْ سِوَاهُ بِالنُّوْبِ وَالْدِّيْنَارِ
وَقَلِيلٌ إِلَّا لَدَيْكَ بِهَذَا الْفَجْجِ أَخَذُ الْعُلَمَانِ بِالشُّعَارِ (١)

ومعنى البيت أنه يصف إبلا أكلها السرى بحيث صارت من الهزال كالقسي أيات في وصف
البل بالانحول بل السهام بل الأوتار

وقد تداول الشعراء هذا المعنى ، ومجازبوا أطرافه ، فمن ذلك قول الشريف
الموسوي [من الكامل] :

هُنَّ الْقَسِيُّ مِنَ النُّحُولِ فَانْصَبَا خَطْبُ فِهْنٍ مِنَ النَّجَاءِ الْأَسْهُمِ
وقد أخذه ابن قلاؤس فقال أيضاً [من الكامل] :
خَوْصٌ كَأَمْثَالِ الْقَسِيِّ نَوَاحِلًا وَإِذَا صَمَا خَطْبُ فِهْنٍ سِهَامُ
وقال أيضاً [من الوافر] :

طَرَحْنَا الْعَجْزَ عَنْ أَعْجَازِ عَيْسٍ نُوشِحُهَا عَلَى الْحَزَمِ الْحَزَامَا
وَنَدْفَعُ بِالشَّرَى مِنْهَا قِسِيًا فَتَقْدِفُ بِالنَّوَى مِنْهَا سِهَامَا
وقال ابن خفاجة أيضاً [من الطويل] :

وَقَدْ مَا بَرَّتْ مِنْهَا قِسِيَا يَدُ الشَّرَى وَفَوْقَ مِنْهَا فَوْقَهَا الْمَجْدُ أَسْهُمَا
وقال ابن النبية [من الخفيف] :

إِنَّ خَوْصَ الظَّلَاءِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ مَطَايَا أَمْسَتْ تَشْكِي كَلَالَةَ
فَهِيَ مِثْلُ الْقَسِيِّ شَكْلًا وَلَكِنْ هِيَ فِي السَّبْقِ أَسْهُمٌ لَا تَحَالَةَ

والشاهد في البيت : مراعاة النظر، ويسمى : التناسب ، والتوافق ،
والاستلاف ، والمؤاخاة ، وهو : جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة
فهو هنا قصد النسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القس ، وهذه النسبة
هنا مضموية لا لفظية كما في قول ميار [من الخفيف] :

ومُدِيرِ سِيَانٍ عَيْنَاهُ وَالْأَبْرِيقُ فَتَكَأَ وَلِحْظُهُ وَالْمُدَامُ

والأبريق هنا السيف سمى بذلك لبريقه ، وكلن يصح أن يقال سيان عينه
والصملم أو الهندى ، فاختار الأبريق لمناسبة لفظاً للدم ، إذ الأبريق يطلق
على إله الخمر ، وليس هنا من المعنى في شيء ، وإنما هو مراعاة مجرد اللفظ
ومن أحسن ماورد في مراعاة النظر قول ابن خفاجة يصف فرساً وهو

آيات في
مراعاة النظر

[من السريع] :

وَأَشَقَّرَ تَضَرَّمُ مِنْهُ الْوَعَى بِشُعْلَةٍ مِنْ شُعْلِ الْبَاسِ

مَنْ جَلَنَارٍ نَاضِرٍ خَدُّهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ

تَطْلُعُ لِقَرَّةٍ فِي وَجْهِهِ حَبَابَةٌ تَضْحَكُ فِي الْكَلَسِ

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة .

وقول ابن الساعاتى من آيات في وصف الثلج [من الكامل] :

الشَّعْبُ رَابِتٌ وَلَمْعٌ بَرُّوقُهَا بِيضُ الظُّلِيِّ وَالْأَرْضُ طَرَفُ أَشْهَبِ

وَالْتَدُّ قَطْلُهُ وَزَهْرُ شُمُوعِنَا صُمُّ الْقَنَا وَالْفَعْمُ نَبَلٌ مُذْهَبٌ

وما أبدع قول بعضهم في آل النبي صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

أَنْتُمْ بَنُو طِهَ وَنَ وَالضُّحَى وَبَنُو تَبَارَكَ وَالكِتَابِ الْمُحَكَّمِ

وبنو الأباطح والمُشَاعِرِ وَالصَّفَا وَالرُّكْنِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَزَمَرَمِ

فانه أحسن في المناسبة في البيت الأول بين أسماء السور ، وفي الثاني بين

الجهات المجازية ، وما أعجب قول السلاوى [من الكامل] :

أَوْ مَا تَرَى طَرَزَ الْبَرَقِ تَوَسَّطَتْ أَهْأَ كَانَ الْمُرْنُ فِيهِ شَوْفُ
وَالْيَوْمُ مِنْ خَجَلِ الشَّقِيقِ مُفَرَّجٌ خَجَلٌ وَمِنْ مَرَضِ النَّسِيمِ ضَعِيفُ
وَالْأَرْضُ طَرَسَ وَالرِّيَاضُ سَطُورُهُ وَالزَّهْرُ شَكَلَ بَيْدَهَا وَحُرُوفُ

وقوله في وصف النارنج والسماريات في نهر طلعت عليه الشمس [من الوافر]
تَنْسَطُ لِلصَّبُوحِ أَبَا عَلَى عَلَى حُكْمِ الْمُنَى وَرَضَا الصَّدِيقِ
يَنْهَرُ لِلرِّيَّاحِ عَلَيْهِ دِرْعُ يُذْهَبُ بِالْفُرُوبِ وَبِالشَّرُوقِ
إِذَا اصْفَرَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ صَبَتْ عَلَى أَمْوَاجِ مَاءِ الْخَلُوقِ
وَقَفَّتْ بِهِ فِكْمُ خَدِّ رَقِيقِ يُفَارِزُنِي عَلَى قَدَرِ رَشِيقِ
وَجَرَّ شَبَّ فِي الْأَغْصَانِ حَقِ أَضَاعَ الْمَاءُ فِي وَهْجِ الْحَرِيقِ
وَهُمْ الْخَبِيلُ فِي مِيدَانِ تَبْرِ يُصَاغُ لَهَا كُرَاتٌ مِنْ حَقِيقِ
وقوله أيضاً في وصف الحب [من البسيط]:

الْحُبُّ كَالذَّهْرِ يُطِينُنَا وَيَرْتَجِعُ لَا الْيَأْسُ يُصْرِفُنَا عَنْهُ وَلَا الْعَمَلُ
صَحْبَتُهُ وَالصَّبَا تُفَرِّقُ الصَّبَابَةَ بَيْنِي وَالْوَصْلُ طِفْلٌ غَرِيرٌ وَالْهُوَى يَقَعُ
أَيَّامٌ لَا النَّوْمُ فِي أَحْقَانِنَا خَلَسَ وَلَا الزِّيَارَةُ مِنْ أَحْبَابِنَا لَمَعُ
إِذِ الشَّيْبَةِ سَنِيٌّ وَالْهُوَى فَرَسِي وَرَأَيْتِي الْآهَ وَاللَّذَاتُ لِي رَشِيعُ
وما أحسن قول السري الرفاء [من الوافر]:

وغير مُرْهَفَاتِ الْبَرَقِ فِيهِ عَوَارٍ وَالرِّيَاضُ بِهَا كَوَامِسِي
وَقَدْ سَلَّتْ جُرُوشُ الْفِطْرِ فِيهِ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ سَيُوفُ بَارِسِ
وَلَا حِلَّ لَنَا الْهَلَالُ كَشَطَرِ طَوْقِي عَلَى لَبَاتِ زَرْقَاءِ الْبَابِسِ

وبدع قول أبي طالب البغدادي النحوي من أبيات [من البسيط]:
وَمَهْمُ سِرْتُ فِيهِ وَالْبَسَاطُ دَمٌ وَالْجَوْ نَفْعٌ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ رُبَا

وقول أبي حنيفة الاسترايحى غيبة هاء وهو [من السريع] :

هَلْ عَرَّتْ أَقْلَامُ حَطَّ الْمَنَارُ فِي مَشْنَمٍ فَتَقَالُ نَضْحُ الْبَيْتَارُ
أَوْ اسْتَدَارَ انْطَضَاتُ غَلَّتْ لُحْضَتُهُ مَرَكِزَ ذَلِكَ الْمَدَارُ
وَرَعَهُ الْحَمَرُ فَهَلْ قَرَّهْ دُرٌّ حَبِيرٍ لَقَضْتَهُ الْقَارُ

وقوله وهو يدعى [من البسيط] :

أَنَا الرِّمَى بِسَهْمٍ الْقَطْعُ إِذْ رَشَقْنَا قَطْرَ تَدْرَعٍ مِنْ أَصْدَاغِهِ الْحَقَا

وقول أبي علي الحسن البائخرى والد صاحب دمية القصر [من الطويل] :

وَذَى زَجَلٍ وَالِي سِهْلٍ رَهَامِهِ وَوَلَّى قَالَى قَوْسُهُ فِي انْتِهَامِهِ
أَلَمْ تَرَ خَدَّ الْوَرْدِ مَذْمُومِي لَوْحِهَا وَأَفْصَلُهَا مَخْضُومِي فِي كَامِهِ

وما أحسن قول الحسين بن علي التميمي من قصيدة [من الكامل] :

رَوْضٌ إِذَا جَرَّتِ الرِّيحُ مُرِيضَةً فِي زَهْرِهِ اسْتَنْفَتَ بِهِ مَرْضَاهَا
وَإِذَا تَهَابَتِ التَّدَامِي وَسَطُهُ سَكْرُ الصَّحَاةِ كَمَا صَحَا سَكْرَاهَا

وما أزهق قول بعضهم يرى قتيها حنفياً [من الخفيف] :

رَوْضَةُ الْعِلْمِ قَطْعِي بِمَدْيَشِرٍ وَالْبَيْسَى مِنْ يَنْفَسِجِ جِلْبَابَا

وَهَبِي التَّلَحُّلَ مَشْتَوْدَعِي فَشَقِيقِ التَّمَلُّكِ بَكَانٍ وَغَابَا

ولأبي المصعب الملحي [من مجزوء الرمل] :

ذَرَفَتْ عَيْنُ الْعَمَامِ فَاسْتَهَلَتْ بِسَجَامِ

وَبِكِي الْأَبْرِيقِ فِي الْكَأَمِ مِنْ يَدَمَعٍ مِنْ مُدَامِ

فَاسْتَقَى دَمْعاً بِدَمْعٍ مِنْ مَدَامٍ وَغَامِ

وَاعْصَى مِنْ لَامِكٍ فِيهِ لَيْسَ ذَا وَقْتِ الْمَلَامِ

ولأبي العلاء الممرى [من البسيط] :

دَعِ الرِّعَاءَ قَوْمَ مَخْرُومٍ بَهَا وبالطَّوَالِ الْأَذْيَانِ مَخْتَرِ
فَهِنْ أَفْلَامُكَ الْكَلَامُ إِذَا كُتِبَتْ جِدَا أَتَتْ بِمَدٍّ مِنْ دَمٍ هَدَرِ
وما أحسن قول الأَوَّاهِ المُنْتَقِ [من الطويل] :

سَقَا لَيْسَمٌ عَسَا قَوْسُ الْقَتْلَمِ يَرِ وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ وَالْبَهَقُ خَلَامُ
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَاهِمٍ وَالْبَهْرُوقُ لَهُ رَشَقُ الْكَلْبِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ يَرَامُ
وما أبدع قول السَّلامِ [من الطويل] :

وَقَدْ خَلَطَ الْغَنِيمُ الْقَتْلَامُ كَمَا لَتَقَى عَلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَرَدُ وَنُومِ
وَعَهْدِي بِهَا وَالْبَيْلُ سَقَرٌ وَوَصَلَا عَذَابُ قَوْمِهَا الْكَأْسُ نُومُ كَأَسَا لَقْدُ
ولبعض شعراء الذخيرة [من الطويل] :

بَدَارٍ سَهْنًا دِيمَةً إِثَرُ دِيمَةٍ فَالْتَبَاهَا الْجِدَارَانِ شَطْرًا عَلَى شَطْرِ
فَنْ عِلَاضٍ يَسْقَى وَمِنْ سَقْفِ مَجْلِسٍ يَنْقُ وَمِنْ هَيْتٍ يَمِيلُ مِنَ الْكُفْرِ
ومِنَ التَّالِيَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْبَدِيعِ الْمُنَانِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ يُصِفُ فِيهَا
طُولَ السَّرَى [من الطويل] :

لَيْسَ اللَّهُ مِنْ عَزَمِ أَجُوبٍ جِيوبُهُ كَأَنِّي فِي أَجْفَانٍ عَيْنِ الرَّدَى كُلُّ
كَأَنَّ السَّرَى سَلَقَ كَأَنَّ الْكُرَى مَلَأَ كَأَنَّمَا شَرِبَ كَأَنَّ الْمَنَى قَتَلَ
كَأَنَّا جِيَاعٌ وَالْمَطَى لَنَا فَمُ كَأَنَّ الْفَلَاحَ رَأَى كَأَنَّ السَّرَى أَكَلَ
كَأَنَّ يَنْابِيعَ الْتَرَى تَدَى مَرَضِعِ وَفِي حَبْرٍ هَامٍ وَمِنْ نَهْجٍ مَطْلُ
كَأَنَّمَا عَلَى أَرْجوحةٍ فِي مَسِيرِنَا لِيُورَ بِنَا تَهْوَى وَنَجْدٍ بِنَا قَلْبُ
ومنها في المديح ولم يخرج عن حسن التَّلَاسِيَةِ [من الطويل] :

كَأَنَّ فِي قَوْسٍ لِسَانِي لَهُ يَدٌ مَدِيحِي لَهُ نَزَجٌ بِرَأْسِ نَيْلِ
كَأَنَّ دَوَالِي مَطْفِرٍ حَبِيشَةٌ بِنَالِي لَهَا بَيْلٌ وَتَقْنِي لَهَا نَيْلُ

كَأَن يَدِي فِي الطَّرْسِ غَوَّاصٌ لَجَّةٍ بِهَا كُلِّي دُرُّهُ قِيمَتِي تَفْلُوْ
وَلَهُ أَيْضًا فِي قَرِيبٍ مِنْهُ يَمْدَحُ الْمَدْحُوحَ فِي الْقَصِيْدَةِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ الْمَلِكُ خَلْفَ
ابْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ سَجِسْتَانَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَلَيْلٍ كَذْكَرَاهُ كَعَمَاهُ كَأَسْمُو كَدِينِ ابْنِ عِبَادٍ كَادِبَارٍ فَاقُوْ
شَقَقْنَا بِأَيْدِي الْعَيْسِ بُرْدَ ظَلَامِهِ وَبَتْنَا عَلَى وَعْدِهِ مِنَ السَّيْرِ صَادِقُ
تَرْجُ بِنَا الْأَسْفَارُ فِي كُلِّ شَاهِقٍ وَتَرْمِي بِنَا الْأَمَالَ فِي كُلِّ حَالِقٍ
كَأَنَّ مَطَالِبَنَا شَفَارَ كَأَنَّمَا تَمْدُّ إِلَيْنَا الْفَلَاحَ كَفَّ سَارِقُ
كَأَنَّ نَجْمِ اللَّيْلِ نَقَّارَةٌ لَنَا تَعَجَّبُ مِنْ آمَالِنَا وَالْوَأَائِقُ
كَأَنَّ نَسِيمَ الصَّبْحِ فُرْصَةُ آيَسٍ كَأَنَّ سَرَابَ الْقَيْظِ خَجَلَةٌ وَامِقُ
وَمِنَ الْغَرِيبِ هَذَا قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ يَصِفُ أَيْنَقًا [مِنَ الْبَسِيطِ] :

تَطْوِي الْفَلَاحَ وَكَأَنَّ الْأَلَّ أَرْدِيَّةٌ وَنَارَةٌ وَكَأَنَّ اللَّيْلَ سَيْجَانُ
كَأَنَّهَا فِي ضَحَا ضَحِيحِ الضَّحَى سَفْنٌ وَفِي الْغَمَارِ مِنَ الظُّلُمَاءِ حَيْثَانُ
وَمَا أَرَشَقُ قَوْلُ ابْنِ رَشِيقٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا مَعْمَنَاهُ فِي النَّدَى مِنْ الْخَبِيرِ الْمَأْتُورِ مِنْذُ قَدِيمٍ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السَّيُولُ عَنْ الْحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمْرِ تَعِيمُ
وَمِنَ الْمُسْتَحْسَنِ فِي هَذَا النُّوعِ قَوْلُ ابْنِ زَيْلَاقٍ فِي غِلَامٍ مَعَهُ خَادِمٌ يَحْرُسُهُ

[مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرُسُوكَ بِخَادِمٍ وَخَدَامُ هَذَا الْحَسَنِ مِنْ ذَاكَ أَكْثَرُ
عِذَاكَ رِيحَانٌ وَتَفْرَكُ جَوْهَرُ وَخَدُّكَ يَأْقُوتُ وَخَالِكَ عُنْبَرُ

وَمَا أَبْدَعَ قَوْلُ ابْنِ مَطْرُوحٍ [مِنَ مَجْزُوءِ الْمُتَقَارِبِ] :

وَلَيْلَةٌ وَصَلَتْ خَلَّتْ فَيَا عَاذِلِي لَا تَسْلُ

لبسنا ثياب العناقِ مُزَرَّةً بالقبيلِ

ومثله قول العماد السامسي^(١) [من مجزؤه الكامل]:

ثَقَّتْ عَلَيْكَ يَدُ الْأَسَى نُوبَ الدُمُوعِ إِلَى الذُّيُولِ

وعجيب قول ابن الخشاب في المستضيء وأجاد [من الكامل]:

وَرَدَّ أَلُورِي سِلْسَالُ جُودِكَ فَارْتَوَا وَوَقَّتْ دُونَ الْوَرْدِ وَقْفَةُ حَائِمِ

ظَلَمَانَ أَطْلَبُ خَفَةَ مِنْ زَحْمَةٍ وَالْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَرَا حِمِ

وقول ابن شرف في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس، مخاطباً

لصاحبه يستهزئ به [من الكامل]:

لَاكَ مَجْلَسٌ كَمَلْتُ سِتَارَتَنَا بِهِ لَلهُو، لَكِنْ نَحْتُ ذَاكَ حَدِيثُ

غُفَى الذَّبَابِ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبِرْعَاوُثُ

ومن النهايات هنا قول القاضي عبد الرحيم الفاضل [من الكامل]:

فِي خَدِّهِ فَجٌّ كَهَظْفَةِ صُدْغِهِ وَالْخِلَالُ حَبْنَةُ وَقَلْبِي الطَّائِرُ

وقول مجير الدين بن تميم [من الكامل]:

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ عَنْهُ بِمَعْزِلِ

لَتَرَى أَنَا يَبِيبَ الْفَنَاءِ عَلَى يَدِي نَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطِلِ

وقد أغرب الأديب بدر الدين حسن الزغاري بقوله [من الطويل]:

كَأَنَّ السَّحَابَ الْغَرَّ لَمْ تَجْمَعْ وَقَدْ فَرَّقَتْ عَنَا الْمُهُومُ بِجَمْعِهَا

نَبَاقُ وَوَجْهُ الْأَرْضِ قَبْ وَثَلَجَهَا حَلِيبُ وَكَفَّ الرِّيحُ حَالِبَ ضَرْعِهَا

والباب واسع، ولا بد من مراعاة الاختصار هنا.

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هاهنا النسخة هنا ما نصه

« قوله السامسي، كذا في نسخة وفي أخرى الساماني ».

رصاد
تسيم

١١٨ - إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

البيت لمعرو بن معدى كرب الزبيدى ، من قصيدة (١) من الوافر ،
وأولها :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ	يُؤَزِّقُنِي وَأَصْحَابُ هُجُوعِ
سَبَّأَهَا الصَّمَةُ الْجَشِي غَضَبًا	كَأَنَّ بَيَاضَ غَرَّتْهَا صَدِيعِ
وَحَالَتْ دُونَهَا فِرْسَانُ قَيْسِ	تَكْشِفُ عَنْ سَوَاعِدِهَا الدَّرُوعِ

وبعد البيت ، وبعده :

وصلهُ بِالزَّمانِ فَكُلُّ أَمْرٍ مِمَّا لَكَ أَوْ مَحْمُوتٌ لَهُ وَلَوْعُ

وهى طويلة .

قال المدائنى : حدثني رجل من قريش قال : كنا عند فلان القرشى ، فجاءه
رجلٌ تجارية ، فغنته [من السريع] :

بِاللهِ يَا ظِلِّي بَنَى الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْمَهْدِ كَالثَّامِتِ

وغنَّته أيضا بفناء ابن سريج [من المنسرح] :

(١) اقرأها فى الأصمعيات (٤٣ - ٤٥ أوردت) وليست الأبيات التى رواها المؤلف هنا متوالية فى رواية الأصمعيات ، وليس البيت الثانى فيها بهذه الألفاظ ، وقد روى ابن قتيبة فى الشعراء المطلق ، ثم روى أربعة أبيات فيها بيت الشاهد والذى بعده . وقد روى صاحب الأغانى (١٤ - ٣٣) أربعة أبيات من أول القصيدة بترتيب المؤلف ها هنا ، وآخرها بيت الشاهد ، ولكن الأغانى لا يروى الشعر على ترتيبه فى كلام قائله ، وإنما يرويه على ترتيب الغناء

يا طولَ ليلي وبتُ لم أنمِ وسادى الهمُّ مُبطنٌ سقي
فأعجبتُه ، واستامَ مولاهُ فاشتط عليه فآبى شراءها ، وأعجبت الجارية
بالفتى ، فلما امتنع مولاهُ من البيع إلا يشطط قال القرشى : فلا حاجة لنا فى
جارتِكَ ، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها ، تقول :
* إذا لم تستطع شيئا فدعه * البيت .

قال : فقال الفتى القرشى : أفا مالا أستطيع شراءك ؟ والله لأشترينك بما
بلت ، قالت الجارية : فذلك أردت . قال القرشى : إني لأخييك ، وابتاعها
من ساعته .

والشاهد فيه : الارصاد ، ويسميه بعضهم التسليم ، وهو : أن يجعل قبل
العجز من الفقرة أو البيت ، ما يدل على العجز إذا عرف الروى — وهو الحرف
الذى تبنى عليه أو آخر الأبيات أو الفقر — ويجب تكراره فى كل منها فإنه
قد يكون منها مالا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروى كقول البحرى
[من الطويل] :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم القضاء كلامى
فليس الذى قد حلت بمحلل وليس الذى قد حرمت بحرام
فانه لو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم ،
وقول جنوب أخت عمرو ذى الكلب [من المقارب] :
وخرق تجاوزت مجهوله بوجاء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه وكنت دحى الليل فيه الهلالا
والقول فيه كالذى قبله

(١) رول ابن حجة فى البحث التسميم من خزانة الأدب (١٥٧) كثيرا من
الشواهد التى ذكرها المؤلف هنا

وما اختير من شواهد هذا النوع قول الراعي [من الوافر] :
 وإن وُزِنَ الحصى فوزاً نُتِ قومي وجئتُ حصى ضربيتهم وزينا
 وقد حكى أن عمر بن أبي ربيعة الحزومي جلس إلى ابن عباس رضي الله
 عنهما فابتداً ينشده :

* تشطُّ غداً دارُ جيراننا *

فقال ابن عباس رضي الله عنه :

* وللدارُ بعدَ غدٍ أبعدُ *

وكان كذلك ولم يسمع غير الشطر الأول .
 وكذلك يحكى عن عدى بن الرقاع أنه أنشدني صفة الطيبة وولدها [من
 الكامل] :

* تزجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوْقِهِ *

وغفل الممدوح عنه فسكت ، وكان جرير حاضراً ف قيل له : ما تراه يقول ؟
 فقال جرير :

* قلم أصابَ من الدواة مدادها *

وأقبل عليه الممدوح فقال كما قال جرير لم يغادر حرفاً
 ومنه قول الخنساء [من المتقارب] :

بييض الصفاق وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً
 وقول دعبل [من الرمل] :

وإذا عاندنا ذو قنوق غضب الروح عليه ففرج
 فعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

ومن جيده قول بعضهم [من الطويل] :
 ولو أننى أعطيتُ من دهرى المنى وما كل من يُعطى المنى بمسدّدٍ

قُلْتُ لِأَيَّامٍ مُضَيَّنَ أَلَا أَرْجِي وَقُلْتُ لِأَيَّامٍ أَتَيْنَ أَلَا أَيْدِي
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبَحْتَرِيِّ [مِنْ الْكَامِلِ] :

أَبْكَيْكَادِمًا وَلَوْ أَتَى عَلَى قَدَّرَ الْجَوَى أَبْكِي بِكَيْتِكَادِمًا
وَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْبَزْدِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَبَحْضَرْتُهُ
عَرِيبٌ فَقَالَتْ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْوَلَعِ : يَا سَلْمُوسُ ، وَكَانَتْ جَوَارِي الْمَأْمُونِ يَلْقُبْنِي
بِذَاكَ عَيْنًا ، فَقُلْتُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
وَقُلْ لِمَ عَرِيبٌ لَا تَكُونُ مُسْلِمًا وَكُونِي كَتَعْرِيفٍ وَكُونِي كَكُونِهِ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ :

فَإِنْ كَثُرَتْ مِنْكَ الْأَقَاوِيلُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ ، إِنْ ذَا مِنْكَ وَسُوسُهُ
فَقُلْتُ : كَذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أُرِدْتُ أَنْ أَقُولَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ ذَهْنِ
الْمَأْمُونِ وَطَبْعِهِ وَفُطْنَتِهِ
وَلِمُؤَلَّفِهِ مِنْ أَبْيَاتِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

لَيْسَ التَّقَدُّمُ بِالزَّمَانِ مُقَدِّمًا أَحَدًا وَلَا التَّأَخِيرُ فِيهِ يُؤَخِّرُ
فَلِكُلِّ عَصْرٍ مُسْتَجِدٌّ تَبَعٌ وَلِكُلِّ وَقْتٍ مُقْبِلٌ إِسْكَندَرُ
وَمَدَحُ أَبُو الرَّجَاءِ الْأَهْوَازِيِّ الصَّاحِبِ ابْنِ عَبَّادٍ لَمَّا وَرَدَ الْأَهْوَازَ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا
[مِنْ السَّرِيعِ] :

إِلَى ابْنِ عَبَّادٍ أَبِي الْقَاسِمِ صَاحِبِ إِسْمَاعِيلَ كَافِي الْكَفَاةِ
فَاسْتَحْسَنَ جَمْعَهُ بَيْنَ اسْمِهِ وَلَقَبِهِ وَكُنْيَتِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ
وَصُولَهُ إِلَى بَغْدَادٍ وَمُلْكِهِ إِذَاهَا قَالَ :

* وَيَشْرَبُ الْجَنْدُ هَنِيئًا بِهَا *

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّادٍ : أَمْسِكْ أَمْسِكْ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَقُولَ :

* مِنْ بَعْدِ مَاءِ الرِّى مَاءُ الْفَرَاةِ *

قال : هكنا والله أردت ، وضحك

وعمر^(١) بن معدى كرب هو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عاصم^(٢) بن عمرو بن زبيد ، ينتهي نسبه لقحطان ، ويكنى أبا مورو ، وأمه وأُم أخيه عبد الله امرأة من جرم^(٣) فبا ذكر ، وهي معدودة من المنجيات ، وعن أبي عبيدة قال : عمرو بن معدى كرب فارس المين ، وهو مقدم على زيد انجيل في الشدة والبأس

ترجمة
عمرو بن
معدى كرب
الزيدى

وعن زيد بن حفيظ الكلبي قال : سمعت أبا شيخان يزعمون أن عمرو بن معدى كرب كان يقال له مائق بنى زبيد ، فبلغهم أن خنعم تريد لهم ، فأنهبوا لهم وجمع معدى كرب بنى زبيد ، فدخل عمرو على أخته فقال لها : أشبعيني إني غدا آتي الكتبية ، فجاء معدى كرب فأخبرته ابنته فقال : هذا المائق يقول ذلك ؟ قالت : نعم ، قال : فسله ما يشبعه ، فسأله فقال : فرق من ذرة وعنتر رابعة ، قال : ولكن الفرق يومئذ ثلاثة أصع ، فصنع له ذلك وذبح العنز وهيا الطعام ، قال : فجلس عمرو عليه فسلته جميعا ، وأنتم خنعم الصباح ، فلقوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه ثم رفعه فاذا هو قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقه فتلقى أباه وقد انهزموا ، فقال له : انزل عنها ، فقال : إليك يا مائق ؟ فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد فان قتل كفيت مؤنته وإن ظهر فهو لك ، فالتقى إليه سلاحه ثم ركب فرمى خنعم بنفسه حتى خرج من

(١) نجد ترجمة عمرو بن معدى كرب الزيدى في الشعراء لابن قتيبة (٢١٩) وفي الأغاني (١٤ : ٢٥ - ٤١) وفي خزانة الأدب للبغدادى (١ - ٤٢٢ و ٣ - ٤٦٠)

(٢) في الأغاني : ابن عاصم ،

(٣) في الأغاني : من جرم ، وهو الصواب .

بين أظهرهم ، ثم كرع عليهم ، وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنوزيد ، فاستمرت
خشمهم وقهروا قليل له يومئذ : فارس بن زبيد

وكان من خبر إسلام عمرو بن معدى كرب الزبيدي ما حكوه المنائي عن بلاء عمرو بن
معدى كرب أبي البقطان عن جويرية بن أسماء ، قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من
غزاة تبوك يريد المدينة ، فأدرك عمرو بن معدى كرب الزبيدي في رجل من
بنى زبيد ، فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك عنه حتى
أودن به ، فلما تقدم ورسول الله يسير قال : حياك إلهك آيت الهن ، قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لعنة الله وملائكته والناس أجمعين على الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، فَمَنْ بالله يؤمنك الله يوم الفزع الأكبر » فقال عمرو
ابن معدى كرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه فزع
ليس كما تحسب وتظن ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حي إلا مات إلا مشاء
الله تعالى من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لا يبقى ميت إلا نشر ، ثم تلج تلك
الأرض بدوى تنهد منه الأرض وتخر منه الجبال وتنشق السماء انشقاق القبطية
الجديدة مشاء الله من ذلك ، ثم تبرز النار فينظر إليها حمراء مظلمة قد صار لها
لسان في السماء ترمي بمثل رؤوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا
انخلع قلبه وذكر ذنبه ، أين أنت يا عمرو ؟ قال : إني أسمع أمرا عظيما ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عمرو أسلم تسلم » فأسلم وبايع لقومه على الاسلام
وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ، وكانت في رجب
سنة تسع

وعن أبي عبيدة قال : لما ارتد عمرو بن معدى كرب مع من ارتد عن
الاسلام من منحج استجاش فروة^(١) النبي صلى الله عليه وسلم فوجه إليهم خلد

(١) فروة : هو فروة بن مسيك المرادي ، وكان قد قدم معه عمرو بن
معدى كرب على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبعث رسول الله صلى
(١٦ - مائة ٢)

ابن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما: إذا اجتمعتم فعلى بن أبي طالب أميركم وهو على الناس، ووجه عليا رضى الله عنه، فاجتمعوا بكسر من أرض اليمن، فاقتلوا وقتل بعضهم ونجا بعض، فلم تزل جعفر وزبيد وأد بنو (١) سعد العثيرة بعدها قليلة (٢) يروى أنه لما بلغ عمر و بن معدى كرب قرب مكائهم أقبل في جماعة من قومه، فلما دنا منهم قال: دعوني حتى آتى هؤلاء القوم فاني لم أسم إلا هاهنا، فلما دنا منهم نادى: أنا أبو نور، أنا عمرو بن معدى كرب فابتدعه على وخالد وكلاهما يقول لصاحبه: خلني وإياه، ويفديه بأبيه وأمه، فقال عمر وإذ سمع قولهما: العرب تغزع مني، وأراني هؤلاء جزراً، فانصرف عنهما ثم رجع إلى الإسلام، وفي هذا الوجه وقعت الصمصامة (٣) إلى آل سعيد، وكان سبب وقوعها إليهم أن ربحانة بنت معدى كرب، وهي المعنية أول القصيدة، سبيت يومئذ فأفداها (٤) خالد، وأتابه عمرو الصمصامة، فصار إلى أخيه سعيد فوجد سعيد جريحاً يوم قتل عثمان رضى الله عنه حين حصر (أى فى الدار) وقد ذهب السيف والغمدة، ثم وجد الغمد، فلما قام معاوية جاءه أعرابي بالسيف بغير غمد، وسعيد حاضر، فقال سعيد: هذا سيفي، فجدد الأعرابي مقاتله، فقال سعيد: الدليل على أنه سيفي أن تبعث إلى غمده فتغمده فيكون كفافه، فبعث معاوية إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فاذا هو عليه، فأقر الأعرابي أنه أصابه يوم الدار، فأخذه سعيد منه وأتابه، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدي من البصرة

== الله عليه وسلم فروة على صدقات من أسلم منهم، وأمره أن يدعو الناس ويتألفهم وأنه إذا وجد الفرصة ينتهزها ويغزو المشركين.

(١) فى مطبوعة بولاق «وأود بن سعد العثيرة» وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني

(٢) فى مطبوعة بولاق «قبيلة» وأثبتنا ما فى الأغاني

(٣) الصمصامة: سيف عمرو بن معدى كرب

(٤) فى الأغاني «فقداهما خالد»

[فلما كان بواسط ^(١)] فأرسل إلى آل سعيد فيه ، فقالوا : إنه السبيل ، قال :
 خسون سيفاً طاعماً أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم حسين ألف درهم وأخذه
 وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمر بن معدى كرب
 فى الفىء ألفين فقال له : يا أمير المؤمنين ألف ههنا ، وأوأمأ إلى شق بطنه
 الأيمن ، وألف ههنا ، وأوأمأ إلى شق بطنه الأيسر ، فإىكون ههنا ؟ وأوأمأ إلى
 وسط بطنه ، فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما ، وزاده
 خمسمائة .

وقال أبو اليقظان : قال عمرو بن معدى كرب : لو سمرت بظلمة وحدى على
 مياه مد كلها ما خفت أن أغلب عليها ما لم يلقى حراها وعبيداها ، فأما الحران
 فأمرو بن الطفيل وعنتبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عبس
 - يعنى عنقرة - والسليك بن السليكة ، وكلهم لقيت ، فأما عامر بن الطفيل
 فسرير الطعن على الصوت ، وأما عنتبة بن الحرث فأول الخليل إذا غارت وآخرها
 إذا آبت ، وأما عنقرة فقليل النبوة شديد الكلب ، وأما السليك فبيد القارة
 كالليث الضارى

وعن قيس أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص : إني قد
 أمددتك بألفى رجل عمرو بن معدى كرب وطلبيحة بن خويلد وهو طليحة
 الأسدى ، فشاورهما فى الحرب ولا تولهما شيئا

وعنه قال : شهدت القادسية ، وكان سعد على الناس ، فجاء رسم فجعل يمر
 بنا وعرى بن معدى كرب الزبيدى يمر على الصفوف ويحصى الناس ويقول :
 يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً ، أعنى عباساً ^(٢) ، فأما الفارسى تيس بعد أن

(١) زيادة عن الأغانى

(٢) فى الأغانى « سكونوا أسداً أعنى ثابتة »

يلقى ببرك^(١)، قال: وكان مع رسم أسوار لا تسقط له نشابة، فقتل له: يا أبا
ثور اتق ذلك، فانا لنقول له ذلك إذ رماه رمية فأصاب فرسه، وحل عليه عمرو
فاعتته، ثم ذبحه وسلبه سوارى ذهب كائنا عليه، وقباء ديباج، قال غير قيس:
ورجع بسلبه وهو يقول [من الرجز]:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون

* يال زبيد إنهم يموتون *

وفي رواية عن أبي زيد أن عمراً شهد القادسية، وهو ابن مائة وست سنين
وقيل: بل ابن مائة وعشر، ولما قتل العليج عبر نهر القادسية^(٢) هو وقيس
ابن مكشوح المرادي، ومالك بن الحارث الأشتر، وكان عمرو آخرهم، وكانت
فرسه ضعيفة، فطلب غيرها، فأتى بفرس فأخذ بعكوة^(٣) ذنبه وأخلده^(٤) إلى
الأرض، فأقمى الفرس، فرده وأتى بآخر، ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع، فقال
هذا على كل حال أقوى من ذلك، وقال لأصحابه: إني حاملٌ وعابرُ الجسر، فان
أسرعتم بمقدار جَزَرِ الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد
عقرني القوم وأنا قائم بينهم، وقد قتلت وجردت، وإن أبطأتم وجدتموني قتيلاً
بينهم وقد قتلت وجردت، ثم انغمس لحمل في القوم، فقال بعضهم: يا بني زبيد
على مَ تَدْعُونُ صاحبكم؟ والله ما نرى أن تدركه حياً، فحملوا، فأتوها إليه وقد
صرع عن فرسه، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها، وإن الفارس

(١) في مطبوعة بولاق «بعد أن يلقى نيزكه» و أثبتنا ما في الأغاني

(٢) في الأصل «عبر نهر القادسية» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) في الأصل «بعكدة ذنبه» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني،

والعكوة - بضم العين، وتفتح - أصل الذنب

(٤) في الأغاني «وأجلده به»

ليضرب الفرس فلا تقدر أن تتحرك من يده ؛ فلما غشينا رمى الأعرجى بنفسه
وخلى فرسه فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كدتم والله تقعدوني ؛ قالوا : أين
فرسك ؟ قال : رمى بنشابة فشب فصرعى وعار^(١)

وعن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معدى كرب يوم القادسية : أزموا
خراطيم الفيلة السيوف فانه ليس لها مقتل إلا خراطيمها ، ثم شد على رستم وهو
على الفيل فضرب فيه فجذم^(٢) عرقوبه فسقط وحمل رستم على فرس ، وسقط
من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار لحازه المسلمون ، وسقط رستم بعد ذلك عن
فرسه فقتله وانهزم المشركون . وقيل : إن الخرج سقط عليه فقتله

وعن الشعبي قال : جاءت زيادة من عند عمر يوم القادسية فقال عمرو بن
معدى كرب لطليحة : أما ترى أن هذه الزعانف^(٣) تزداد ولا تزداد ، انطلق بنا
إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، والله لا ألقاه في هذا أبداً ، فلقد
لقتني في بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقتلت عكاشة ؟ فتوعدني وعيداً
ظننت أنه قاتلي ، ولا آمنه ، قال عمرو : ولكنني ألقاه ، قال : أنت وذاك ، فخرج
إلى المدينة ، فقدم على عمر رضى الله عنه وهو يُمدى الناس ، وقد جئنا لعشرة

(١) في الأصل « وغار » بالعين معجمة - وهو تحريف ما أثبتناه ، ويقال
غار الفرس والكلب - بالعين مهملة - إذا ذهب وانقلبت

(٢) في الأصل « جزم » بالزاي محرفاً

(٣) في الأصل « أما ترى هذه الزعانف تزداد ولا تزداد » وفيه تحريف في
موضعين ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، والزعانف : جمع زعنفة - بكسر
الزاي والنون بينهما عين ساكنة - وأصلها القطعة من الثوب ، ثم تطلق على
الردل من الناس ، وأراد بهذه العبارة أن الخليفة قد منح أراذل للناس من
المقاتلة ولم يمنحهما .

عشرة ، فأقصده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقيم عمرو ، فأقصدهم تكة عشرة (١) حتى أكل مع ثلاثين ، ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كانت لي مائة كلى في الجاهلية منعتني من الإسلام ، وقد صررت في بطن صرتين وتركتهما هواء فسد ، فقال : عليك حجارة من حجارة أخرة فسد بها يا عمرو ، إنه بلغني أنك تقول : إن لي سيفاً يقال له : الصمصامة ، وعندى سيف اسمه المصمم (٢) وإني إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وحدث يونس وأبو الخطاب ، قال : لما كان يوم فتح القادسية ، أصاب المسلمون أسلحة ، وتيجاناً ، ومناطق ، ورقاباً ، فبلغت مالا عظيماً ، فزل سعد الحس ، ثم فض البقية . فأصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفان . وبقي مال دثر (٣) ، فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل ، فكتب إليه [أن رد على المسلمين الحس ، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، فقل ، فأجرام مجرى من شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه] (٤) أن فض ما بقي على حملة القرآن ، فأناه عمرو بن معد كرب ، فقال له سعد : ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو : إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن ، قال : مالك في هذا المال نصيب ، وأناه بشر بن ربيعة الخثعمي ، وصاحب جباية بشر (٥)

(١) في الأصل « ولم يقيم عمرو فأقعد مع عشرة » وهي معرفة عما أثبتناه موافقا لما في الأغاني

(٢) في الأغاني « أسميه المصمم »

(٣) دثر - بفتح الدال وسكون الثاء المثناة - كثير

(٤) هذه الزيادة ساقطة من الأصل ، وهي في الأغاني عن يونس وأبي

الخطاب اللذين أسند المؤلف الرواية إليهما

(٥) في الأصل « بشر بن ربيعة الخثعمي صاحب جباية بشر » محرفاً وساقطاً

الواو ، وأثبتنا ما في الأغاني

قال : ما ملك من كتب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ،
ولم يعض شيئاً ، قال عمرو في ذلك [من البيط] :

إِذَا قُتِلْنَا وَلَا يَكُنْ لَنَا أَحَدٌ قَالَتْ قَرَيْشٌ أَتَاكَ الْهَلْدِيرُ
نُعْطِي السُّوْيَةَ مِنْ طَنْ لَهُ نَقْدٌ وَلَا سُوْيَةَ إِذْ تَعْلَى الدَّنَانِيرُ
وقال بشر بن ربيعة [من الطويل] :

أَنْتَحْتُ بِيَابَ الْقَلَامِيَةِ لِقَاتِي وَسَعْدُ بْنُ وَقْلَسٍ عَلَى أَمِيرُ
وسعد أمير شره دون خيرٍ وخير أمير بالعراق جريرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلُ وعند المثنى فضةٌ وحريرُ
تذكر هناك الله وقصيفنا يلبس قديس والمكر عيرُ
عشية ود القوم لو أن بعضهم يسر جنحتي طائر فيطيرُ
إذا ما فرغنا من قراع كتيبةٍ دلفت لأخرى كل جليل تيرُ
ترى القوم فيها واجين كأنهم جملٌ بأجلٍ لمن زفيرُ
فكتب سعد إلى عمر رضي الله عنه بما قال لهما وما ردّاً عليه ،
وبالقصدين ، فكتب أن أعطهما على بلائهما ، فأعطى لكل واحد منهما
ألفي درهم .

وعن ابن قتيبة أن سعداً كتب إلى عمر رضي الله عنه يُثنى على عمرو
ابن معدى كرب ، فسأل عمر عمراً عن سعد ، قال : هو لنا كالأب ، أعرابي
في نمرة ، أسد في تأمورته ، يقسم بالسوية ، ويعمل في القضية ، وينفر^(١) في
السرية ، وينقل إلينا حقنا كما تنقل القدرة ، قال عمر رضي الله عنه : لشدة
ما تقارضا الشاء .

(١) في الأصل «وينفر» محرراً ، وما أثبتناه موافق لما في الشعراء لابن قتيبة
الذي نقل عنه المؤلف

وجاء رجل وعمر بن معدى كرب واقف بالكناسة على فرس له ، فقال :
لأنظر ما بقي من قوة أبي ثور ، فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ، ففطن
عمر ، فضمها عليه وحرك فرسه فجعل الرجل يعدو مع الفرس ، لا يقدر أن ينزع
يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخي ، مالك ؟ قال : يدي تحت ساقك ، فخل
عنه ، وقال : يا ابن أخي إن في علك لبقية بعد .

وكان عمرو - مع شجاعته ومواقفه - مشهوراً بالكذب ، فحدث المبرد قال :
كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظهرها يتناشدون الأشعار ، ويتحدثون ،
ويتذاكرون أيام الناس . فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصقعب التهمدي ،
فأقبل عليه يحدثه ، ويقول : أغرت على بني همد ، فخرجوا إلى مسترعفين
بخالد بن الصقعب يقدمهم فطعنته طعنة فوقع ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت
نفسه ، فقال له الرجل : يا أبا ثور إن مقتولك الذي تذكره هو الذي تحدثه ، فقال :
اللهم غفراً ! إنما أنت محدث فاستمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لتهرب
هذه المحدثية (١)

وقال محمد بن سلام : أبت العرب إلا أن عمرا كان يكذب ، قال : قلت
لخلف الأحمر ، وكان مولى للأشعرين ، وكان يتعصب للبيانية : أكان عمرو
يكذب ؟ قال : كان يكذب باللسان ويصدق بالفعل

وعن زياد مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول - وبلغه أن عمرو بن معدى كرب
وقع في الحز ، وأنه قد دله - : لقد كان له موطن صالح يوم القادسية عظيم (٢)
الفناء شديد التكاية للعدو ، فقبل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذل لنفسه
من قيس ، وإن قيساً لشجاع

(١) يريد بالمحدثية العدنانيين من العرب أبناء معد بن عدنان

(٢) في الأصل « عظيم العناء » بالعين مهملة ، وهو محرف عما أثبتنا

وعن أبي محمد المهرابي قال : كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعه يحدث قال : قدم عيينة بن حصن السكوفة ، فأقام بها أياما ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط ، يعنى بأبي ثور عمرو بن معدى كرب ، أسرج لى يا غلام ، فأسرج له فرساً أنثى من خيله ، فلما قربها إليه ليركبها ، قال له : ويحك ! أرايتنى ركبت أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الاسلام ، فأسرج لى حصاناً فأمرجه ، فركبه وأقبل إلى محلة بنى زبيد . فسأل عن محلة عمرو بن معدى كرب ، فأرشد إليها ، فوقف ببابه ، ونادى : أى أبا ثور أخرج إلينا ، فخرج إليه مؤتزراً كائماً كسر وجبر ، فقال : انعم صباحاً أبا مالك . قال : أو ليس قد أبدلنا الله بهذا السلام عليكم ! قال : دعنا مما لا نعرف ، انزل فان عندى كبشاً شناعاً^(١) فنزل فعمد إلى الكبش فذبجه ، ثم كشط جلده عنه ، وعُضاهُ^(٢) وألقاه فى قدر جماع وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجمعة عظيمة ففرد فيها وألقى القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أى الشراب أحب إليك : اللبن ، أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرمها الله عز وجل علينا فى الاسلام ؟ قال : أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : أفأنت أقدمُ إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فأتى قد قرأت ما بين دفتى المصحف ، فوالله ما وجدت لها تحريماً ، إلا أنه قال (فهل أنتم متبهون) فقلنا : لا ، فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سناً وأقدمُ إسلاماً ، فجاء بها ، فجلسا يتناذمان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة

(١) فى الأصل « كبشا ساعا » وفى الأغاني « كبشا سيحاحا » وأحسبهما جميعاً محرفين عما أثبتناه ، فانه يقال : بكر شناع - بزنة ثمان - إذا كان فتياً ، والشناع والشناحي والشناحية - بتخفيف الياء - الجسم الطويل من الابل .

(٢) عضاه - بتشديد الضاد - قطعه أجزاء

الانصراف قال عمرو بن معدى كرب : ولئن انصرف أبو مالك بغير حياء
إنها لوصة على ، فأمر بناقة له أرحبية كأنها جيرة لجين ، فارتحلها وحملها
عليها ، ثم قال : يا غلام ، هات المزود ، فجاء بمزود فيه أربعة آلاف درهم ،
فوضعها بين يديه ، فقال : أما المال فوالله لا قبلته ؛ قال : فوالله إنه لمن
جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم يقبله عينه ، وانصرف ، وهو يقول
[من الطويل] :

جُرِيتَ أبا ثورٍ جزاءَ كرامةٍ فنعمَ الفتي المزدانُ والمنصفُ
قريتَ فأكرمتَ القرى وأفدتنا خبيةً علمٍ لم تكن قط تُعرفُ (١)
وقلتَ حلالٌ أن نُديرَ مدامةً كلونٍ انثقاقِ البرق والليل مسدُفُ
وقدّمتَ فيها حجةً عربيةً ترد إلى الانصاف من ليس ينصفُ
وأنتَ لنا والله ذى العرشِ قدوةً إذا صدنا عن شربها المتكفُفُ
تقولُ أبو ثورٍ أحلَّ حرامها وقولُ أبي نور أسدٌ وأعرفُ (٢)
وغزا عمرو بن معدى كرب هو وأبى المرادى فأصابوا غنائم ، فادعى أبى
أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمرأ أنه يتوعدّه ، فقال
عمرو فى ذلك قصيدة أولها [من الوافر] :

أعاذل شكتى بدنى ورُحى وكل مقلّص سلس القيادِ (٣)
أعاذل إنما أفنى شبابى وأفرح عاتقى ثقل التجادِ (٤)

(١) فى الأغاني « تحية علم » وأراه محرفاً عما هنا

(٢) فى الأصل « تقول أبو ثوراً حل حرامها » وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني

(٣) فى الأصل « أعاذل سكنى » محرفاً وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني

(١٤ - ٣٣) والشعراء لابن قتيبة (٢٢٢)

(٤) روى ابن قتيبة عجز هذا البيت

* ركوبى فى الصريح إلى المنادى *

تَمَسَّانِي لِيَلْقَانِي أَبِي وَدَدْتُ وَأَيْنَا مَنِي وَدَادِي
 وَلَوْ لَا قِيتِي وَهَمِي سَلَا حِي تَكْشِفُ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
 أُرِيدُ حَيَاتِهِ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ (١)
 وَهَذَا الْبَيْتُ كَانَ يَتِمُّثَلُ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أَعْطَى النَّاسَ
 وَرَأَى ابْنَ مَلْجَمٍ قَاتِلَهُ اللَّهَ

وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِ عَمْرِو بْنِ مَعْدَى كَرَبٍ مَا حَكَاهُ ابْنُ قَتِيْبَةٍ وَغَيْرُهُ قَالُوا :
 كَانَتْ مَفَازِي الْعَرَبِ إِذْ ذَاكَ الرِّى وَدَمَسْتِي فَخَرَجَ عَمْرُو مَعَ شَبَابٍ مِنْ مَنَحْجٍ حَتَّى
 زَلَّ الْخُلُفَ الَّذِي دُونَ رَوْذَةٍ ، فَتَعَذَّى الْقَوْمُ ثُمَّ نَاقُوا وَتَاقَمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لِقَضَاءِ
 حَاجَتِهِ ، وَكَانَ عَمْرُو إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَجْتَرِءْ أَحَدٌ أَنْ يَدْعُوهُ وَإِنْ أَبْطَأَ ، فَعَامَ
 النَّاسَ لِلرَّحِيلِ وَتَرَحَّلُوا إِلَّا مَنْ كَانَ فِي الْخُلُفِ الَّذِي فِيهِ عَمْرُو ، فَلَمَّا أَبْطَأَ صَحْنَاهُ :
 يَا أَبَا ثَوْرٍ ، فَلَمْ يَجِئْنَا ، وَصَحْنَاهُ شَدِيدًا (٢) وَمَرَّاسًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي دَخَلَهُ ، فَقَصَدْنَاهُ
 وَإِذَا بِهِ بِحِمْرَةٍ عَيْنَاهُ مَائِلًا شَدَقَهُ مَقْلُوجًا فَحَمَلْنَاهُ عَلَى فَرَسٍ ، وَأَمَرْنَا غُلَامًا شَدِيدَ
 الذَّرَاعِ فَارْتَدَفَهُ لِيَعْدِلَ مِيلَهُ ، فَمَاتَ بِرَوْذَةٍ ، وَدُفِنَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَتْ
 أَمْرَأَتُهُ الْجَعْفِيَّةُ تَرْثِيهِ [مِنْ الطَّوِيلِ]

لَقَدْ غَادَرَ الرِّكْبُ الَّذِينَ نَحَلُّوا بِرَوْذَةٍ شَخْصًا لَا ضَعِيفًا وَلَا غَمْرًا
 فَقُلْ لَزِيْدٍ بَلٍ لِمَنْحَجٍ كُلِّهَا فَقَدْ نَزَّ أَبَا ثَوْرٍ سَنَانِكُمْ عَمْرًا
 فَإِنْ تَجَزَّعُوا لَا يُنْفِ ذَٰلِكَ عَنْكُمْ وَلَكِنْ سَلُوا الرَّحْمَنَ يُقَبِّحْكُمْ صَبْرًا

(١) فِي الْأَغَانِي « أُرِيدُ حَيَاتِهِ » وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي رَوَايَةِ هَذَا الْبَيْتِ
 (٢) الْعَازِ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ جَمِيعًا - قَلَقٌ وَخَفَةٌ وَهَلَعٌ الْمَرِيضِ وَالْأَسِيرِ
 وَالْمُحْرَصِ وَالْمُحْتَظَرِّ وَفَعْلُهُ مِنْ بَابِ فَرَحٍ ، وَهُوَ عَازٍ كَفَرَحَ أَيْ قَلَقَ ، وَالْمَرَّاسُ
 - بِكَسْرِ الْمِيمِ - الشَّدَّةُ وَمُعَالَجَةُ الْأَمْرِ

شاهد للمشكلة ١١٩ - قالوا اقترح شيئاً نُجِدَ لك طَبِخُهُ قلت اطيخوا لي جُبَّةً وقيصاً

البيت من الكامل ، وقائله أبو الرعمق ، يروى أنه قال : كان لي إخوان أربعة ، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدي ، فجاءني رسولهم في يوم بارد ، وليست لي كسوة تحصني من البرد ، فقال : إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشتت علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكسبت إليهم [من الكامل] :

إخواننا قصدوا الصبح بسحرة فآتي رسولهم إلى خصوصاً

قالوا اقترح شيئاً نُجِدَ لك طَبِخُهُ قلت اطيخوا لي جبة وقيصاً

قال : فذهب الرسول بالرقعة ، فاشمرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنائير ، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم

والشاهد فيه : المشكلة ، وهي : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً ، وهي هنا قوله اطيخوا فانه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام

ومثل البيت قول ابن جابر الأندلسي [من الكامل] :

قالوا اتخذ دهنًا لقلبك يشفه قلت ادهنوه بخدها المتورد

وذكرت باشتهاء أبي الرعمق قول بعضهم [من الخفيف] :

قال لي عودى غداة أتوني ما الذي تشتهي واجتهدوا بي

قلت مُملًى فيه لسان وشاة قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضيفت إليه كبدة حسود فقيمت فوقها عيون الرقيب

وقول الآخر [من الكامل] :

عندى لكم يوم التواصل فرحة يا معشر الجلساء والندماء

من أمثلة
المشاكلة

أشوى قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرُقباء
ومن أمثلة المشاكلة قول عمرو بن كلثوم في معلقته [من الوافر] :
ألا لا يبجلن أحدٌ علينا فنجل فوقَ جَهل الجاهليين
أرادَ : فنجازيه على جهله ؛ فنجل لفظة « فنجل » موضع « فنجازيه »
لأجل المشاكلة .

ومثل الأول ما حكى عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، أنه كان يشرب
في منزله ، وعنده مائى الموسوس ، فقال عبيد الله [من الوافر] :
أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ وأحسب أن ستأتينا بهطل
فخزمُ الرأى أن تأتى برطل فتشربه وتأتينى برطل
فقال : ما هكذا قال الشاعر ، وإنما هو :

أرى غيماً تؤلفه جنوبٌ أراه على مساءتنا حريصاً
فخزمُ الرأى أن تأتى برطل فتشربه وتكسونى قيصاً

وأبو الرقعمق ^(١) هو أحمد بن محمد الأنطاكي الشاعر المشهور ، ذكره
الغالبى فى اليتيمة فقال : هو نادرة الزمان ، وجملة الاحسان ، ممن تصرف بالشعر
[الجزل ^(٢)] فى أنواع الجذ والهزل ، وأحرز قصبات الفضل ؛ وهو أحد المداح
المجيدى ، والشعراء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج ^(٣) بالعراق . ومدح ملوك
مصر ووزراءها : فمن غرر شعره قوله بمدح الوزير يعقوب بن كلس ؛
[من الخفيف] :

(١) نجد ترجمة أبى الرقعمق فى يتيمة الدهر (١ - ٢٦٩ مصر)

(٢) زيادة عن اليتيمة

(٣) فى الاصل « كابن الحجاج » وقد أثبتنا ما ورد فى اليتيمة

قد سمعنا قـالـه واعتذاره وأقلناه ذنبه وعشاره
والمعاني لمن غنيت ولكن بك عرّضت فاسمعي بإجاره

منها :

سحرتني الحاظه وكذا كل ملّيح عيونهُ سحاره
ما على مؤثر التباعد والاعراض لو أبتز الرضا والزياره
وهي طويله، وأكثر شعره جيد على هذا الأسلوب. مثل صريح الدلاء والقصار.
ومن شعره على طريق ابن حجاج قوله [من مجزوء الكامل] :

كتب الحصيد إلى السرير أن الفصيل ابن البعير
فلا تمنن جاراتي سنتين من أكل الشعير
لاهم إلا أن تطيع رمن الهزال مع الطيور
ولا خبر نك قصتي فلقد سقطت على الخبير^(١)
إنت الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
أسفوا على لأنهم حضروا ولم أك في الحضور
لو كنت لم تقبل هل من آخذ بيد الضير
ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
مثمراً متبخيراً للصفع بالدلو الكبير
فأردت حين تبادروا دلو فكان على المدير^(٢)
يا للرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور

(١) في اليتيمة « فلقد وقعت على الخبير » وما هنا أقرب إلى قولهم في المثل
« على الخبير بها سقطت »
(٢) في الأصل « فأردت حين تبادروا » وما أثبتناه موافق لما في اليتيمة
ويقضيه عجز البيت

هو في المجالس كالبحر ر وكالفلائد في النحر^(١)
 وله قصيدة طويلة مشهورة أولها [من مجزوء الرجز] :
 وقوقى وقوقى هدية في طبق^(٢)
 أما ترون بينكم تيساً طويل العنق
 وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلثمائة

* * *

شاهد المزاجية

١٢٠ — إذا ما نهى النهى فلجج في الهوى
 أصاحت إلى الواشى فلجج بها الهجر
 البيت للبحرئى ، من قصيدة^(٣) من الطويل في الفتح بن خافان ، أولها
 متى لاح برق أو بدا طلل قفر جري مُسْتَهْلٌ لا بطيء ولا تَزُرُ
 وما الشوق إلا لوعة بعد لوعة وغُرُ من الآماق تبعها غرُ
 فلا تذكر عهد التصابي فانه تقضى ولم يشعر به ذلك العصر^(٤)
 إلى أن يقول فيها :
 هل العيش إلا أن تساعفنا النوى بوصل سعاد أو يساعدنا الدهر
 إلى أن يقول فيها :

(١) في اليتيمة روى هذا البيت :

هو في المجالس كالبحر ر فلا تعلموا من بخورى

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله وقوقى إلخ ، هو كالذى قبله من قبيل المجون الذى قد يؤتى فيه بألفاظ خالية من المعانى » اهـ

(٣) اقرأها في الديوان (١ - ٢١٧)

(٤) في الديوان * تقضى ولم يشعر به ذلك العصر * وهو أرق

على أنها ما عندها لمؤاصيل وإِصالٌ ولا عنها لمصطبرٍ صبرٌ
وبعد البيت ، وهي طويلة يقول منها في المحلص :
لمعرك ما الدنيا بناقصة الجُدا إذا بقى الفتحُ بن خاقان والقطرُ (١)
ومعنى أصاغت استمعت ، والواشى : التمام الذى يشئ حديثه ويزينه
والشاهد فيه : المزاوجة ، وهى : أن يزأوج المتكلم بين معنيين فى الشرط
والجزاء ، فهنا زأوج بين نهى الناهى وإصاغت إلى الواشى الواقعين فى الشرط
والجزاء فى أن يترتب عليهما لجأج شئ .
ومثله قوله أيضا [من الطويل] :
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها (٢)
فزأوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين فى الشرط والجزاء فى ترتب
فيضان شئ عليهما .

من أمثلة
للزأوجة

ومن المزاوجة قول أبى تمام [من المتقارب] :
وكنا جميعاً شريكى عنانٍ رضىعى لبانٍ خليلي صفاء
وفى معنى صدر البيت قول أبى نواس [من البسيط] :
دَعْ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاهُ ودَاوِيْ بِالَّتِي كَانَتْ هِى الدَّاهِ
وقول ابن زريق البغدادي [من البسيط] :
لَا تَمْدِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلِمُهُ قد قلتِ حقاً ولكن ليس يسمعه
وقول ابن شرف القيروانى [من الكامل] :
قلْ للعذول لواطلمت على الذى عاينتهُ لَمَنَّاكَ ما يعيننى (٣)

- (١) الجدار برنة الفتى - الخبر ، والقطر - بفتح فسكون - المطر
(٢) احتربت : أراد حاربت
(٣) فى الأصل « أعناك ما يعيننى » وعندنا أنه محرف عما أثبتناه

أَتَصَدَّقُ أُمَّ لِلْفَرَامِ تَرُدُّنِي وتولموني في الحبِّ أُمَّ تُغَرِّبُنِي
 دَعْنِي فَلَسْتُ مُعَاقِبًا بِجَنَابِي إِذْ لَيْسَ دِينُكَ لِي وَلَا لَكَ دِينِي
 وَقَوْلُ الصَّابِي [مِنْ الْخَفِيفِ] :
 أَيُّهَا اللَّائِمُ الْمُضِيقُ صَدْرِي لَا تَلْمِني فَكَثْرَةُ اللُّومِ تُغَرِّبُنِي
 قَدْ أَقَامَ الْقَوَامُ حُجَّةَ عَشْقِي وَأَيَّانَ الْعَذَارُ فِي الْحَبِّ عَذْرِي

* * *

١٢١ — قِفْ بِالْديَارِ الَّتِي لَمْ يَعْثُرْهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ شَاهِدُ الرَّجُوعِ

أُلبيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهير^(١) بن أبي سلمي، يمدح بها
 هرم بن سنان، وبعده :

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدُ الْأُنَيْسُ وَلَا بِالْدارِ لَوْ كَلَّمَتْ ذَا حَاجَةٍ صَمُ
 دَارٌ لِأَسْمَاءَ بِالْفَعْرِينِ مَائِلَةٌ كَالْوَحْيِ لَيْسَ لَهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرَمُ^(٢)
 يقول منها في مدحه :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَسَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمُ

(١) اقرأها في الديوان (ص ١٤٥ طبع دار الكتب)

(٢) الغمر - بفتح فسكون - اسم موضع، وقد ثناء باعتبار ناحيته أو
 أنه ضم إليه مكانا يجاوره فغلب اسم هذا على ذلك، وكثيرا ما يفعل الشعراء
 ذلك لأحد هذين الوجهين. والمائل هنا: الذهاب الذي لا يرى له شخص، وليس
 بها أرم: أي ليس بها أحد، وتقول: ليس بهذه الدار أحد، ولا أرم، ولا
 غريب، ولا ديبسج - بزنة سكين - ولا كتيع، ولا ديار، ولا نافع
 ضرمه، وابن درستويه يقول: ليس بها أرم، من الأرم - بزنة سبب -
 وهو العلم، والمراد ليس بها ناصب علم.

هو الجوادُ القى يمطيكَ نائلُهُ غفراً وَيُظَلِّمُ أَحِبَّائاً فَيُظْلِمُ
فَإِنْ أَتَاهُ خَيْلٌ يَوْمَ مَالِهِ يَقُولُ لَا غُتْبَ مَالِي وَلَا حَرَمُ
وهي طويلة.

والأرواح : جمع ريح ، ويجمع على أرياح ، ورياح ، وريح - بكسر
الراء وفتح الياء - والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .

والشاهد في البيت : الرجوع ، وهو العود إلى الكلام السابق ، بالنقض
والإبطال لنكتة ، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزماني وتقدم العهد لم
يعف الفيل ، ثم عاد إليه ونقضه في عجز البيت بأنه قد غيرتها الريح والأمطار (١)
لنكتة ، وهي هنا : إظهار الكآبة والحزن والحيرة والذهش ، كأنه أخبر أولاً
بما لم يتحقق ، ثم رجع إليه عقله وألقى بعض الافة فنقض كلامه السابق .

ومثله قول الشاعر (٢) [من الطويل] :

هَ قَاتٍ لَهَذَا الدَّهْرُ لَا بِلْ لَأَهْلِهِ ۝

وقول ابن الطثرية [من الطويل] :

أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرُهُ إِنْ نَظَرْتَهَا إِلَيْكَ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

وقول أبي البداء [من الطويل] :

(١) هذا قول ذهب إليه أبو عبيدة ، وتبعه عليه جمهرة العلماء ، وكان أبو
زيد يقول : معنى البيت أن بعض الديار قد عفا ولم يعف بعض آخر
(٢) مثل هذا من قول للشعراء قول الطهوي :
فلا تبعدن يا خير همرو بن جنذب بلى إن من زار القبور ليعبدا
وقول سلامة بن جندل السعدي :

لمن طلل مثل الكتاب المنق عفا عهده بين الصليب فطرق
أكب عليه كاتب بدواته وحادثه لعمين جدة مهرق

من أمتة
الرجوع

ومالى أتصاّر إن غداً المهرُ جازراً
على ، بلى إن كان من عتلك التصرُّ
وقول المتنبي [من الطويل] :

لِحَبِيبَةٍ أُمُّ غَدَقٍ رَفَعَ السَّجْفُ
لَوْحِشَةٍ ، لَأَمَّا لَوْحِشَةٍ شَفْهُ
وما أحسن قول أبي بكر الخوارزمي في شمس المالى قابوس بن وشكير^(١) ،
صاحب خُرْجَن [من البسيط] :

لَمِيقَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَهْلَبُ لَهُ
فَلَمْ أَهْلَبْ أَنْكَرَ الْجَفْنِ فِي السَّعْمِ
أَسْتَفِرُّ اللَّهَ مِنْ قَوْلِي ، غَلَطْتُ ، بَلَى
أَهْلَبُ شَمْسُ الْمَعَالَى أُمَّةَ الْأَمْرِ
وله فيه أيضاً [من المتقارب] :

إِذَا مَا ظَمُنْتُ إِلَى رِقْعٍ
جَلْتُ الْمَمَامَةَ مِنْهُ بِدِيلٍ
وَأَيْنَ الْمَمَامَةُ مِنْ رِقْعٍ
وَلَكِنْ أَعْلَى قَلْبًا عَلِيلاً

وبديع قول السراوندي [من الكامل] :

كَالْبَدْرِ بِلْ كَالشَّمْسِ بِلْ كَكَلِيهَما
كَكَلِيثِ بِلْ كَالنِّيثِ هَطْلِي الْعَيْمِ
وما ألطف قول ابن سناء الملك [من الكامل] :

وَمَلِيقٍ بِالْحَسَنِ يَخْرُ وَجْهَها
بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رِقْعَها بِالْقَرْقَفِ^(٢)
لَا أَرْضَى بِالشَّمْسِ تَشْبِيها لَها
وَالْبَدْرِ بِلْ لَا أَكْفَى بِالْمَكْنَى
وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وَاللَّهِ لَا كَلِمَتَها لَوْ أَنَّها
كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَلَلِ الْكَتْفِ

(١) في المطبوعتين « بن وشكير » محرراً

(٢) القرقف - بفتح القافين وسكون الراء بينهما - الحفر

شامد
الاستخدام

١٢٢ — إذا نزل السماء بأرض قومٍ رَعيناهُ وإن كانوا غَضابًا

نسب غالب شارحى التلخيص هذا البيت لجرير، وهو من قصيدة (١) من الوافر، أولها:

أقلَى اللّوَمَ عاذِلَ والعنابًا وقولِي إن أصبْتُ لَقَدْ أَصَابًا
أَجْدُكَ ما تَذَكَّرَ عهدٍ نَجِدِ وحَيًّا طالما انتظروا الايابًا
بلى فَاَرْفُضْ دُمُوكُ غَيْرَ نَزِرٍ كما عَيَّنْتُ بالسَّرْبِ الطَّابَا (٢)
وهاجَ البرقَ ليلَةً أَذْرَعَتِ هوى ما تَسْتَطِيعُ لَهُ طَلابَا

وهي طويلة، والهجا: الغيث.

ونسبه الفضل في اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معمود الحكاء (٣) وساقه في قصيدة طويلة أولها:

أَجَدَ القلبُ من سَلَى اجْتِنابًا وأَقْصَرَ بعد ما شَابَتْ وشابًا

(١) اقرأ هذه القصيدة في ديوان جرير (٦٤) والبيت الرابع ورد أيضا مطلع قصيدة له أخرى (ص ٢٢) وروى المعنى أبياتاً من هذه الكلمة من أولها وليس فيها البيت الرابع، وانظره بهاءى الخزاعة (١ - ٩٢)
(٢) في الأصل « كما يُمَيَّت بالشرب الطنابا » وأثبتنا ما في الديوان والمعنى « عينت » أصله أنهم كانوا يصنعون أوغية الماء من الجلد، فكانوا حين يمتون صنبها أو حين يشترون أحدها يضعون فيه الماء ينظرون هل ينصب منه الماء فهذا هو التعمين، ويقول أحدهم لصاحبه: عين إناءك. والسرب: السيلان، والطباب جمع طبابة - بكسر الطاء فيهما - قال الأصمعي: هي الجلدة التي يغطي بها الخرز، وهي ممتدة على موضع الخرز كالاصبع
(٣) في الأصل « معوذ » بالذال معجمة وهو مخريف وإيماء سمي معاوية معمود الحكاء لقوله في هذه القصيدة:

أعود مثلها الحكاء، بعدى إذا ما الحق في الأشيع نابا

وشابَ لِدَاتِهِ وَعَدَلْنَ عَنْهُ كَمَا أَنْصَبْتُ مِنْ لُبْسِي ثِيَابًا
فَإِنْ يَكُ نَبِلَهَا طَاشَتْ وَنَبِلَى قَدْ نَزِمَى بِهَا حَقْبًا صَيَابًا^(١)
فَنَصْطَادُ الرِّجَالِ إِذَا رَمَتْهُمْ وَأَصْطَادُ الْحَيَاةِ الْكُفَّاءِ

منها :

وَكُنْتُ إِذَا الْعَظِيمَةُ أَفْرَعَتْهُمْ نَهَضْتُ وَلَا أَدْبُ لَهَا دَبَابًا^(٢)
بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ عَطَاءُ قَوْمٍ يَفْكُونُ الْفَنَائِمَ وَالرَّقَابَا
إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٣)
بِكُلِّ مُقْلَصٍ عَيْلٍ شَوَاهُ إِذَا وَضَعْتُ أَعْنَتَهُنَّ ثَابًا^(٤)

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جريو
على اختلاف رواة ديوانه

والشاهد فيه : الاستخدام ، وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد
بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما ، ثم يراد بالآخر الآخر ،
فالأول كما في البيت هنا ، فإنه أراد بالسما الفيث ، وبالضمير الراجع إليه من
« رعيناه » الثبت .

(١) طاشت : عالت وعدلت عن الهدف فلم تصبه . والحقب : جمع حقة
وهي البرهة من الدهر ، وصيابا : جمع صائب ، وهو الذي يصيب الهدف ، وموقع
« صيابا » حال من الضمير المجرور في « بها » أي نزمي بنبالنا حال كونها
صائبة أزمنة متطاولة من الدهر

(٢) في المفضليات « إذا العظيمة أفزعتهم »

(٣) في المفضليات « إذا نزل السحاب »

(٤) في الأصل « إذا وضعت أعنتهن سابا » وما أثبتناه موافق لما في
المفضليات . وثاب : رجع إلى جري جديد لعتقه وفضله

وجري^(١) هو ابن: عطية بن أنطافى، وهو لقبه، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة^(٢) بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة، ينتهى نسبه لتزار، ويكنى أبا حَزْرَةَ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى وفتح الراء وبمدها هاء ساكنة، وهى المرة الواحدة من الحزر وهو والفزرق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدرِكُوا الجاهلية جميعاً، ومختلفٌ فى أيهم المقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جريراً بالأعشى، والفزرق بزهير، والأخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبى حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل]:
ذهب الفَرْزَقُ بالفَخارِ، وإِنما حُلُوُ الكلامِ ومِرُهُ لجرير
ولقد هجافاً ضُحاً أخطَلُ تغلبِ وحَوَى اللهُ بِمدحِهِ المشهورِ^(٣)
كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بِمدحِهِ وهجاؤُهُ قد سارَ كلُّ مَسِيرِ
فهو كما تراه حكم للفزرق بالفخار، وللأخطل بالمدح والهجاء، وبجميع فنون الشعر لجرير.

وقال أبو العلاء بن جرير النعبرى، وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يحمى الأخطل سابقاً فهو سَكَيْتٌ، والفزرق لا يحمى سابقاً ولا سَكَيْتاً، وجرير يحمى سابقاً ومصلحياً وسَكَيْتاً
وحدث مولى لبني هاشم قال: امترى أهل المجلس فى جرير والفزرق أيهما

(١) نجد ترجمة جرير فى الأغاني (٧: ٣٨ - ٧٧) وفى الشعراء لابن قتيبة

(٢٨٣)

(٢) فى الأصل «بن سلم» وأثبتنا ما فى الأغاني

(٣) الهيمى: العطايا.

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فاسألني عن شيء حتى نادى : يا نَوَّار ، أدركت برنينيك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أو كادت ، قال : فابغى بدرهم فاشترى لحاء ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برنينك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعر ابن الخطفي تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال : قاتله الله فما أحسن ناحيته ^(١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكي المعجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرؤوه فوجدوه عند الهراش نابجا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبت عليك بنو تميم لقيت القوم كلهم غضابا ^(٢)
وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فغشده ناله ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام أبفا ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، فأقبل جرير علينا ، وقال : من الرجل ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخليل بن الظيب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرأت
فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع السكر ، أفقر ذلك بعينك ؟ قال :
وكان الأحوص يرمى بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكة

(١) في الأغاني « فما أخشن ناحيته » ولعله محرف عما هنا ، وناحيته :

مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن

(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

وكان راعى الإبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعى الإبل قد ضخم أمره ، وكان من أشعر الناس ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هل تعجبون لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق على وهو بهجو قومه وأنا أمدحهم ؟ قال جرير : فضربت رأى فيه ، ثم خرج جرير ذات يوم يمشى ولم يركب دابة وقال : والله ما يسرنى أن يعلم أحد ، وكان لراعى الإبل والفرزدق وجلساتهما حلقة بالمربد بالبصرة يجلسون فيها ، قال : فخرجت أتعرض إليه لعل ألقاه على حياله حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أخوى مخدوف الذنب ، وإنسان يمشى معه يسأله عن بعض النسيب فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على معرفة بغلته ، ثم قلت له : يا أبا جندل ، إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو بهجوم ، وهو ابن عمى دونك ، ويكفيك عن ذلك إذ ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لأئمة ، قال : بيدنا أنا معه وهو كذلك واقفاً على وما ردّ على بذلك شيئاً حتى لحق ابنه جندل ورفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من كلليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ، وضرب البغلة ضربة فرحتنى رحمة وقعت منها قلنسوتى ، فوالله ما عرج على الراعى فيقول سفيه غوى^(١) ، يعنى جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج على ، فأخذت قلنسوتى فمسحتها ثم أعدتها على رأسى ثم قلت [من الوافر] :

أجندلُ ما تقولُ بنو نميرِ إذا ما لا يُرُ في استِ أبيكِ غاباً

(١) فى الأغانى « فوالله لو يعرج على الراعى لقلت سفيه غوى ، يعنى جندلا ابنه ،

فسمعت الراعى قال لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة ، قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره لى ، لو كان عاج على ، فأنصرف جرير غضبان ، حتى إذا صلى العشاء ومنزله فى عليه له قال : ارفعوا لى باطية من نبيذ وأسرجوا لى ، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ ، قال : فجعل يهينهم ، فسمعت صوته عجوز فى الدار ، فاطلمت فى الدرجة فنظرت إليه فاذا هو يحبو على الفراش عريانا لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : ضيفكم بجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقلوا لها : اذهبي لطيتك فنحن أعلم به وبما يمارس ، فما زال كذلك حتى كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها ثمانين بيتا يهجو بنى نمير ، فلما ختمها بقوله :

ففض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كبير ، ثم قال : أخزيتي ورب الكعبة ، ثم أصبح حتى علم أن الناس قد أخذوا مجالسهم بالمريد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدهن فادهن وكف رأسه ، وكان حسن الشعر ، ثم قال : يا غلام أسرج لى ، فأسرج له حصانا ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم ، قل لعبيد^(١) بمذكتك نسوتك تكسبهن المال بالعراق ؟ أما والذي نفسى بيده لترجعن إليهن بعمرة تسوئن ولا تسرهن ، ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الأبل ، وأزم القوم ، حتى إذا فرغ منها وسار وئب راعى الأبل ساعتئذ فركب بغلته بشروعر ، وخلا المجلس ، حتى أوفى إلى المنزل الذى ينزله ثم قال لأصحابه : ركابكم ركابكم فليس ، لكم هنا مقام ، فضحك والله جرير ، فقال له بعض القوم : ذاك شؤمك وشؤم ابنك ، قال : فما كان إلا ترحلهم فساروا إلى أهلهم سيرا ما ساره أحد ، وهم بالشريف - وهو أعلى دار بنى نمير - فيحلف بالله راعى الأبل إنا وجدنا فى أهلنا :

(١) عبيد : هو الراعى ، اسمه عبيد بن حصين النخعي

* ففض الطرف إنك من مُبِير *

وأقسم بالله ما بلغه إنسى قط ، وإن لجرير لأشيعا من الجن ، فتشامت
به بنو مبير وسبوه وابنه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن
وحدث أبو عبيدة قال : التقي جرير والفرزدق بمنى وهما حاجبان فقال
الفرزدق لجرير [من الطويل] :

فإنك لآتي بالنازل من منى فَخَارًا خَبَرَنِي بِمَنْ أَنْتَ فَاخْرُ
فقال له جرير : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكان أصحابنا يستحسنون
هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه

وعن العتيبي ، قال : قال جرير : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيبا
فسمعه المعجوز فيبكي على ما فاتها من شبابها ، وإنى لأروى من الرجز أمثال آثار
الخليل الثرى ، ولولا أنى أخاف أن يستفرغنى لأكثرته منه
وعن أبي عبيدة قال : رأت أم جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من
شعر أسود ، فلما خرج منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيقتله وفي عنق هذا
فيخنقه ، حتى فعل ذلك برجال كثيرين ، فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا فقيل لها:
تلدن غلاما أسود شاعرا ذا شدة وشر وشكيمة وبلاء على الناس ، فلما ولدت سمته
جريرا باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها ، قال : والجرير الحبل

وحدث بلال بن جرير أن رجلا قال لجرير : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : قم
حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له
فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دهم
رث الهيئة وقد سال ابن العنز على لحيته ، فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم ، قال :
أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ، أفندري لم كان يشرب لبن العنز ؟ قلت :
لا ، قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن ، ثم قال : أشعر الناس

من فآخر يمثل هذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً
 وحدث المدائني قال : كان جرير من أعق الناس بأبيه ، وكان ابنه بلال
 أعق الناس به ، فراجع جرير بلالاً الكلام ، فقال له بلال : الكاذب مني
 ومنك ناك أمه ؟ فأقبلت أمه عليه فقالت له : يا عدو الله ، أتقول هذا لأبيك ؟
 فقال جرير : دعيه فوالله لكأني أسمعها وأنا أقولها لأبي
 ونظير ذلك ما حكى عن يونس بن عبد الله الخياط أنه مر به رجل وهو
 يعصر حلق أبيه ، وكان عاقاً به ، فقال له : ويحك ! أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلصه
 من يده ، ثم أقبل على الأب يعزيه ويسكنه ، فقال له الأب : أخى لا تله ،
 وأعلم أنه ابني حقاً ، والله لقد خنقت أبى في هذا الموضع الذى خنقتى فيه ،
 فانصرف الرجل وهو يضحك ولأبيه يقول [من الرجز] :

ما زال بي ما زال بي طَمَنُ أبى في النسبِ
 حتى تربيتُ وحتى ساء ظنى بأبى
 ونشأ ليونس ولد يقال له دحيم فكان أعق الناس به ، فقال يونس
 فيه [من المنسرح] :

جلادُ حيمٍ عناية الريبِ والشكِّ منى والظنُّ في نسبِ
 ما زال بي الظنُّ والتشكُّ حتى عتقتى مثل ما عقتت أبى
 وقال يونس بن عبد الله الخياط : جئت يوماً إلى أبى وهو جالس وعنده
 أصحاب له ، فوفقت عليهم لأغيظه وقلت : ألا أنشدكم شعراً قلته بالأمس ؟
 قالوا : بلى ، فأنشدتهم [من البسيط] :

يا سائلِ مَنْ أنا أو مَنْ يناسبُنِي أنا الذى لا له أصلٌ ولا نسبُ
 الكلب يخال فخرًا حين يُبصرنى والكلب أكرم منى حين ينتسب
 لو قالى الناس طرّاً أنت الأمانة ما وهم الناس فى ذاك ولا كذبوا

قال : فوثب إلى أبي ليضر بنى ، وعدّوت من بين يديه ، فجعل يشتمى
وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره يجرين
البصرة : اثنياني بلباس أبيك في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الدبليج وانظر
وقعد في قبة ، وشاور جرير دُهَاقَ بنى يربوع ، فقالوا له : ما لاسر آبائنا إلا الحديد
فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لمبا بن الحصين يقال له
المنحاز ، وأقبل في أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ،
فقال جرير [من الطويل] :

ليست سلاحي والفرزدق لمبة عليه وشاحا كُرُجٍ وجلاجله (١)

أعدُّ مع الحلى المَلَّابَ فأنمأ جرير لكم بل وأنتم حلائله (٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير في مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق في المربد
وأنهى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده ، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدَّعه ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك ! أتتهجوا ميتا ؟ أما والله
لو دئبته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتسبها على
فاتها سوسة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين في ترجمة الفرزدق في شواهد
المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان
نجمنا واحدا ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا
تبعة صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

(١) كرج - بزة سكر - لعبة كهية المهر ، ووقع في الأصل « كرجى
وخلاله » وابتدأنا ما في النفاض واللسان (كرج)
(٢) في النفاض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزي : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته باليمامة ، وعمرُ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة في المعارف : إن أمه حلت به سبعة أشهر .



من شواهد
الاستخدام

١٢٣ — فَسَقَى الْفَضًّا وَالسَّكِينَةَ وَإِنْ مُمْ

شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

البيت للبحرئى ، وهكذا هو فى ديوانه — وإن كان فى كثير من نسخ التلخيص ، بل وفى كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحي وضلوعى » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالسكينة من اعتراض كئيب وقوام غصن فى الثياب رطيب
تأبى المنازل أن تجمب ومن جوى يوم الديار دعوت غير مجيب
وبعد البيت ، وهى طويلة

والفضا : شجر معروف ، واحده غصاة ، وأرض غصيانة : كثيرته والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً ، فانه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الفضا وهو المجرور فى الساكنية المسكان وهو أرض لبني كلاب وواد بنجد ، وبالأخر وهو المنسوب فى شبهه النار أى أوقدوا فى جوانحي نار الفضا ، يعنى نار الهوى التى تشبه نار الفضا ، وخص الفضا دون غيره لأن جره بعلى الانطفاء وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الفضا فقال ابن أبى حصينة [من الطويل] :

(١) وكذلك هو فى خزنة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) أقرأها فى ديوان البحرئى (١ - ٥٧) وبين البيتين اللذين أنشدما المؤلف من أولها فى الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت المقتضب • بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد فى الديوان • فسق الفضا والنازليه . . . •

أُمّة
من استخدام
الشراء
لفظ النفس

أما والذي حَجَّ الملبّونَ بَيْتَهُ فَمِنْ ساجِدٍ لله فيه وراكِعٍ
لقد جَرَعَتْنِي كَأْسَ يَمِينِ مَرْبِرَةٍ من البُعْدِ سَلَى بَيْنَ تِلْكَ الْأَجَارِعِ
وَحَلَّتْ بَأْسَنَافِ الْغَضَا فَكُنَّا حَشَتِ نَارُهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْأَضَالِعِ
وقال ابن جابر الأندلسي [من البسيط] :

إِنَّ الْغَضَا لَسَتْ أَنْسَى أَهْلَهُ فَمُمْ شَبْرُهُ بَيْنَ ضُلُوعِي يَوْمَ بَيْنَهُمْ
جَرَى الْعَقِيقُ بِقَلْبِي بَعْدَ مَا رَحَلُوا وَلَوْ جَرَى مِنْ دُمُوعِ الْعَيْنِ لَمْ أَلَمْ
وقال ابن قلاؤس الاسكندري [من الكامل] :

حَلَّتْ مَطَايِمُ بِلْمَنْفِ الْغَضَا فَكُنَّا شَبْرُهُ فِي التَّكْبَادِ

و بديع قول البدرين لؤلؤ الذهبي [من الكامل] :

أَجْمَاءَ الْوَادِي بِشَرَقِ الْغَضَا إِنْ كُنْتَ مُسَوِّدَةَ الْكُثِيبِ فَرَجَمِي
وَلَقَدْ تَقَاسَمْنَا الْغَضَا فَمُصُونُهُ فِي رَاحَتَيْكَ وَجَمْرُهُ فِي أَضْلَعِي

ولؤله من قصيدة [من الطويل] :

وَحَقِّكَ إِنِّي الرَّيَّاحُ لِحَاسِدٍ فِي كُلِّ حِينٍ بِالْأَحْيَةِ مُخْطَرُ
تَمَرُ الصَّبَا عَفْوَاعِي سَاكِي الْغَضَا وَفِي أَضْلَعِي نِيرَانُهُ تَنْسَكُرُ
فَتَذْكُرُنِي عَهْدَ الْعَقِيقِ وَأَدْمَعِي بَسَاطَتُهُ وَالشَّىءُ بِالشَّىءِ يَذْكُرُ
وَبُورْشِعِي السُّفْحِ حَتَّى تَرَى بِهِ مَعَالِمَ بِالْأَحْبَابِ تَزْهَوُ وَتَزْهَرُ

ومن الاستخدام البديع قول المعري يرثي قتيبا حنفيًا [من الخفيف]

وَقَتِيهُ أَلْفَاظُهُ شِدَنَ لِلنُّعْمَانِ مَا لَمْ يَشْدُهُ شَعْرُ زِيَادِ

وقوله أيضاً يصف درعا [من الخفيف] :

نُورَةٌ مِنْ ضَائِبِهَا لِلنَّسَا الْخَطِيءِ عِنْدَ الْقَاءِ نَثَرَ السُّكُوبِ
مِثْلُ وَشْيِ الْوَلِيدِ لَا تَنْتِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الصُّنْعِ مِثْلُ وَشْيِ حَبِيبِ

أُمّة
من بديع
الاستخدام

تلك ماذية وما لذباب السيف والصيف عندها من نصيب
فأستخدم لفظ « الذباب » في معنييه : الأول طرف السيف ، والثاني
الطائر المعروف .

ولابن جابر الأندلسي فيه [من البسيط] :
في القاب من جكمُ بَدْرُ أقام به فالطَرَفُ يزدادُ نوراً حينَ يُبهرُهُ
تَشابهُ العمدة حُسنًا فوقَ لَبتهِ والتغرُّ منه إذا ما لاحَ جُوهَرُهُ
ومن ظريف الاستخدام قول السراج الوراق [من السريع] :
دعِ الهوى نِيَّ واتنصبْ واكْتَسِبْ واكْبَحْ فَنَفْسُ المرءِ كَدَّاحَةٌ
وكن عن الراحةِ في مَزَلٍ فالصَّغْ موجود مع الراحةِ
أستخدم الراحة في معنيها : الأول من الاستراحة ، والثاني من اليد
وبديع قول الصفي الحلبي [من الطويل] :

أئن لم أبرقع بالحيا وجهه عفتي فلا أشبهنه راحتي في التكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن في الوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم
ومن الاستخدامات البديعة قول ابن نباتة المصري ^(١) بمدح النبي صلى الله
عليه وسلم [من الطويل] :

إذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت مَنَازله بالقربِ تبهى وتبهرُ
وإن لم توصل عادة السفح مقلتي فلا عاها عيشٌ بمنهأه أخضرُ
ومنها :
سقى الله أكنافَ الغضا سائلِ الحيا وإن كنتُ أسقى أدمعاً تَحَدَّرُ

(١) روى ثمانية الأبيات ابن حجة الحموي في خزنة الأدب (٦٨) .
وروى معها عشره أبيات أخرى

وعيشاً نَصَى عَنْهُ لُزْمانَ بِيضَهُ وَخَلَفَهُ فِي الرُّأْسِ بَرْهَرُ وَبِزْهَرُ
تَغْيِيرَ ذَلِكَ لِلْوَنُ مَعَ مِنْ أَجْبَهُ وَمِنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ^(١)
وَكُنَ الصَّبَّ لَيْلاً وَكُنْتُ كَعَالِمٍ فِي أَسْفَى وَالشَّيْبِ كَالصَّبْحِ يُسْفِرُ
يُعْلِنِي نَحْتَ الْعِمَامَةِ كُنْهَهُ فَيَعْتَدُ قَلْبِي جَسْرُهُ حِينَ أُخْبِرُ
وَتَتَكْرَنِي لَيْلِي وَمَا خِلْتُ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الْمَرْءُ الْعِمَامَةَ يَنْكُرُ^(٢)

ومن الاستخدام أيضاً قول العلامة عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من
محجزوه الوافر]:

وَرَبِّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ بِقَلْبِي وَهَوَّ مَرَعَاهَا
نَصَبْتُ لَهَا شَبَاكاً مِنْ لَبْنٍ نَمَّ صِدْنَاهَا
وَقَالَتْ لِي وَقَدْ صِرْنَا إِلَى عَيْنٍ قَصْدْنَاهَا
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَاعْكُلْهَا بِطَلْعَتِهَا وَجَزَاهَا

ومنه قول ابن مليك رحمه الله تعالى [من الطويل]:

فَكَمْ رَدَّ مِنْ عَيْنٍ وَجَادَ بِمِثْلِهَا وَلَوْلَاهُ مَاضَاةٌ وَلَمْ تَكْ تَعْدُبُ

(١) في الأصل « تغير ذلك اللون » ولا يستقيم به وزن البيت ، وما
أُثبتناه موافق لما في الديوان والغزاة ؛ وعجز هذا البيت من كلام كثير
عزة ، والبيت بتمامه في كلام كثير :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها وَمِنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَغَيَّرُ

(٢) يشير بهذا البيت إلى قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَظِلَّاعُ النَّيَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

وقد تمثل به الحاج في خطبته التي خطبها مقدمه الكوفة واليهاء عليها
من قبل عبد الملك بن مروان .

وقوله من قصيدة أخرى نبوية [من الكامل] :

كَمْ رَدًّا مِنْ عَيْنٍ وَجَادَ بِهَاوَكَمْ ضَاعَتْ بِهِ وَسْقِي بِهَا مِنْ صَادِي
ومنه قول الرشيد الفارقي [من مجزوء الرمل] :

إِنَّ فِي عَيْنَيْكَ مَعْنَى حَدَثِ التَّرْجِسِ عَنْهُ

لَيْتَ لِي مِنْ غُصْنٍ سَهَبًا فِي قَلْبِي مِنْهُ

وقد أخذته الشهاب محمود ولم يحسن الأخذ فقال [من الرمل] :

نَاذَعْتُ عَيْنَاهُ قَلْبِي حَبَّةً لَمْ تَكُنْ تَقْبِلُ قَبْلَ الْإِنْقِسَامِ^(١)

يَا قَوْمِي هَلْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا أَنَّ لِلْأَعْيُنِ فِي الْقُلُوبِ سَهَبًا

* * *

شاهد
المف والتمر

١٢٤ — كَيْفَ أَسْلُوْا وَأَنْتِ رَحْفٌ وَغُصْنٌ

وَعَزَالٌ خَلَطًا وَقَدًّا وَرَدًّا

البيت من الخفيف ، وهو منسوب^(٢) لابن حيوس ، وله أثره في ديوانه ،
ولعله ابن حيوس الأشبيلي .

والخفيف — بكسر الحاء — الرمل العظيم المستدير .

والشاهد فيه : الف والنشر ، وهو : ذكر متعدد على التفصيل أو الأجمال ،
ثم ذكر مال الكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين ، فقه بأن السامع يرد مال الكل
من آحاد المتعدد إلى ما هو له ، ثم الذي على سبيل التفصيل ضربان ، لأن النشر
إما على ترتيب الف ، وإما على غير ترتيبه كما في البيت هنا ، وهو ظاهر .
ومما جاء على الترتيب قول ابن الرومي [من الكامل] :

(١) في الأصل « لم تك تقبل قبل الانقسام » ولا يستقيم به الوزن ، وقد
قطع حمزة الوصل في « الانقسام » للضرورة

(٢) رواه ابن حجة في خزانة الأدب (٨٤) غير منسوب لأحد .

(١٨ — مائة ٢)

من أمثلة
لف والنثر

أَرَأَوْكُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسَيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نُجُومٍ
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحٌ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتُ رَجُومٌ
وقول بعضهم [من البسيط] :

أَلَسْتُ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدٍ نَعْمَتِهِ وَوَرْدٍ رَاحَتِهِ أَجْنَى وَأَعْرِفُ
وَمَا أُبَدِعُ قَوْلَ ابْنِ شَرْفٍ الْقَيَّرَوَانِي [من البسيط] :

جَاوِزٌ عَلَيَّ وَلَا تَحْتَلُ بِحَادِثَةٍ إِذَا اذْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ
سَلْ عَنْهُ وَأَنْطِقْ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدُ مِلَّ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمَقَلِّ
وقد أخذه ناج الدين الذهبي فقال [من الكامل] :

بَدْرٌ مِمَّا لِلْمُجْتَلَى ، ثَمَرٌ نَمَّا لِلْمُجْتَنَى ، بَحْرٌ طَمَا لِلْمُجْتَنَدِي
سَلْ عَنْهُ وَادْنُ إِلَيْهِ وَاسْتَمْسِكْ تَجِدُ مِلَّ الْمَسَامِعِ وَالنَّوَاطِرِ وَالْبِيدِ
وَمَا أَزْهَرُ قَوْلَ الْبِهَاءِ زَهِيرٌ [من الطويل] :

وَلِي فِيهِ قَلْبٌ بِالْغَرَامِ مَقِيدٌ لَهُ خَبَرٌ يَرُوبُهُ طَرْفٌ مَظْلَعًا
وَمَنْ فَرَطَ وَجَدِي فِي لَمَاءِ وَثْعَرِهِ أَعْلَلُ قَلْبِي بِالْعُدَيْبِ وَالنَّقَّاءِ
وَمَا أَحْلَى قَوْلَ ابْنِ نَبَاتَةِ الْمَصْرِيِّ مَعَ زِيَادَةِ التَّوْرِيَةِ [من الخفيف] :
لَا تَخَفْ عَيْلَةً وَلَا تَخْشَ فَقْرًا يَا كَثِيرَ الْحَاسَنِ الْخَنَالَةِ
لَكَ عَيْنٌ وَقَامَةٌ فِي الْهَرَايَا تِلْكَ غَزَالَةٌ وَذِي عَسَالَةٍ
وقوله أيضا [من السريع] :

سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمِهِ فَأَنْذَنِي يَعْجَبُ مِنْ إِسْرَافِ دَمْعِي السَّخِي
وَأَبْصَرَ الْمَسْكُ وَبَدَرَ الدُّجَى فَقَالَ ذَا خَالِي وَهَذَا أَخِي
وبدع قول ابن مكنسة [من الرجز] :

وَالسُّكْرُ فِي وَجْهِهِ وَطَرْفِهِ يَفْتَحُ وَرَدًّا وَيَفْضُ نَرْجَسًا

وقد جاء الف والنشر بين ثلاثة ، فأكثر ، فنه قول ابن حيوس
[من الكامل] :

ومقرطٍ يَفْنَى النديمُ بوجهٍ عن كأسه الملائى وعن إريقه
فصلُ المدامِ ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنتيه وريقه
وقول حمدة الأندلسية [من الطويل] :

ولما أبى الراشون إلا قرأقنا وما لهم عندي وعندك من نارِ
وشنوا على أسامعنا كل غارة وقَلَّ حَتَّى عند ذاك وأنصاري
غزوهم من مقلتيك وأدمعي ومن نَفَسَ بالسيف والسيل والنارِ
وقول ابن نباتة ، وأجاد إلى الغاية [من البسيط] :

عَرَجَ عَلَى حَرَمِ المَحبوبِ مُنتَصِباً لِقَبلةِ الحُسْنِ واعذرنى على السهرِ
وانظر إلى الخال فوق الثغر دُونَ لَمَى تجد بلا لَأَ يُرَاعَى الصَبَحُ في السحرِ
وبديع قول بعضهم [من المجث] :

وَرَدَّ وَمَسَكٌ وَدُرٌّ خَدٌّ وَخَالٌ وَثَغْرٌ
لَحْظٌ وَجَفْنٌ وَغَنَجٌ سَيْفٌ وَنِيلٌ وَسَحْرٌ
غَصْنٌ وَبَدْرٌ وَبَيْلٌ قَدْ وَوَجَهٌ وَشَعْرٌ

ومنه بين أربعة ، وأربعة قول الشاعر [من البسيط] :

ثَغْرٌ وَخَدٌّ وَنَهْدٌ وَاحْمَرَّ أُرْدِي كالطلع والورد والزمان والبلع^(١)

ومثله قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من الطويل] :

رَأَى جَسَدِي وَالِدَمْعِ وَالْقَلْبَ وَالْحَشَى فَاضَى وَأَفَى وَاسْتَالَ وَتَيَّأَ

(١) كتب مصحح نسخة خزنة الأدب (ص ٨٣) على هذا البيت ما نصه :

« قوله : والبلع ، في نسخ والوهج ، وحرر الروي » ، ٨١ .

ولأبي جعفر الأندلسي الغرناطي بين خمسة وخمسة [من الكامل] :
 ملكٌ يَجِيءُ بِخَمْسَةٍ مِنْ خَمْسَةٍ لَقِيَ الْحُسُودَ بِهَا فَسَاتَ لِمَا بِهِ
 مِنْ وَجْهِهِ وَوَقَارِهِ وَجَوَادِهِ وَحَسَامِهِ بِيَدِيهِ يَوْمَ ضَرَابِهِ
 قَرُّهُ عَلَى رِضْوَى تَسِيرُ بِهِ الصَّبَا وَالْبَرْقُ يَلْعُنُ مِنْ خِلَالِ سَحَابِهِ
 ولأبن جابر الأندلسي بين ستة وستة [من الكامل] :
 إِنْ شَتَّ طَبِيبًا أَوْ هَلَاكَ أَوْ دُجِيَ أَوْ زَهَرَ غَصْنٌ فِي السَّكْنِيبِ الْأَمَلِ
 فَلَا حَظَّهَا وَلَوْ جَهَّهَا وَلَشَعْرَهَا وَلَخَدَّهَا وَالْقَدْرُ وَالزَّدْفُ اقْصِدِ
 ولنجم الدين البارزي بين سبعة وسبعة [من الطويل] :
 يَقْطَعُ بِالسَّكِينِ بَطِيخَةً ضَحَى عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لِأَصَاحِبِهِ
 كَبِيرٍ بِيرِقٍ قَدْ شَمَسَتْ أَهْلُهُ لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ بَيْنَ كَوَاكِبِهِ (١)
 وسبقه إلى ذلك ابن قلاؤس ، قال [من المتقارب] :
 أَنَا أَنَا الْفَلَامُ بَطِيخَةٍ وَسَكِينَةٌ أَحْكُمُوهَا صَقَالًا
 فَكَسَمَ بِالْبَرْقِ شَمْسَ الضُّحَى وَأَعْطَى لِكُلِّ هَلَالٍ هَلَاكَ
 ومثله قول محاسن الشواء ، وأجاد [من الخفيف] :
 وَغَلَامٌ يَحْزُ بَطِيخَةً فِي اللَّوْنِ مِثْلِي وَفِي الْمَذَاقَةِ مِثْلُهُ
 لِأَنَاسٍ غُرَّتْ عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ مَشْرِقٍ يَشَابُهُ أَهْلُهُ
 قَدْ بَدَرْتُ شَمْسًا بِأَفْقٍ شَبَّهْتُ اللَّيْلَ فِي هَالَةٍ بِبِرْقِ أَهْلُهُ
 وقول الآخر [من الطويل] :

(١) في مطبوعة بولاق : « كَبِيرٍ بِيرِقٍ قَدْ شَقَّ شَمْسًا أَهْلُهُ »
 وظاهر أن أحد اللفظين « قد » و « شق » زائد ، وهذا على أن كلا منهما
 فعل من مضارع الثلاثي ، وسببه : أن في أحد أصولها قد ، وفي آخر شق ،
 فجمعوا بينهما خطأ ، فإن كان « قد » حرفاً فهو الزائد بعينه ، ووقع في خزنة
 الأدب (٨٣) كما أثبتناه .

ولما بدا ما بيننا منية النفس
توهمتُ بدرائهم قد أهلةً
وقول الآخر [من الكامل] :
خلفاء لما حَزَرَ البطيخُ في
أطباقه بصقيلة الصفحات^(١)
بدرًا يقدُّ من الشمس أهلةً
بالبرق بين الشُّبب في الحالاتِ
وقول البديع الدهشقي ، في غلام يقطع بطيخا بسكين ، نصابها أسود
[من الكامل] :

انظرُ بعينكَ جوهرًا متلألئًا
سحرًا لفرط بيبانه وجماله
قرُّ يقدُّ من الشمس أهلةً
بظلامِ عَجْرته وفجرِ وصاله
والسابق إلى فتح هذا الباب المسكوي حيث يقول [من الوافر] :
وجامعة لأصناف المعاني
صلحتْ لوقتِ إكثارِ وقلة
فن آدمٍ وريحانٍ وقنبلٍ
فلم يرَ مثلها سداً خللةً
فنها ما تشبههُ بدوراً
فإن قَطَعْتها رجعتْ أهلةً
ولابن مقاتل بين ثمانية وثمانية [من الطويل] :

خدودٌ وأصداعٌ وقد ومقلةٌ
ووفرٌ وأرياقٌ ولحنٌ ومعربٌ
ورودٌ وسوسانٌ وبانٌ ونرجسٌ
وكأسٌ وجريالٌ وجنكٌ ومطربٌ
والصفي الحلي [من الطويل] :
وظبي بقفري فوق طريفٍ مَفُوقٌ
بقوسٍ رمى في النقع وحشاً بأسهِمِ
كبدٍ بأقفر فوق برقي بكفه
هلالٌ رمى في الليل جنّاً بأنجمِ
ولبعضهم بين عشرة وعشرة [من البسيط] :

شعرٌ جبينٌ محيماً ممطفٌ كَقَلٍّ
صدغٌ فمٌ وجناتٌ ناظرٌ قَمَرٌ

(١) الصقيلة : المصقولة ، وأراد بصقيلة الصفحات السكين

لَيْلٌ صَبَاحٌ هَلَالٌ بَانَةٌ وَقَا آسٌ أَقْلَحٌ شَقِيقٌ نَرْجِسٌ دُرٌّ

ولابن جابر بين اثني عشر واثني عشر [من الطويل] :

فُرُوعٌ سَاءٌ قَدْ كَلَامٌ فَمٌ لَمَى حُلَى عُنُقٌ نَفَرٌ شَدَا مَقْلَةٌ خَدٌّ

دُجَى قَمَرٌ غَصْنٌ جَنَى خَاتَمٌ طَلَا نَجُومٌ رَشَادٌ صَبَا نَرْجِسٌ وَرْدٌ^(١)

وجُلُّ القصد هنا : أن يكون الالف والنشر في بيت واحد ، خاليا من الحشو

وعقادة التركيب ، جامعا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة .

وابن حيوس^(٢) بحاء مهمله وياه تحتية مشددة مضمومة وواو ساكنة بعدها

ترجمة
حيوس

سين مهمله — هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ، الملقب

بمصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين وفحولهم

المجيدين ، وله ديوان شعر كبير ، لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ

جوائزهم ، وكان منقطعا إلى بني مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد

الفائقة ، وقصته^(٣) مع الأمير جلال الدولة وصمصامها نصر بن محمود بن شبل

الدولة نصر بن صالح بن مرداس مشهورة ، فانه كان قد مدح أباه محمودا ، فأجازه

ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور

مقصيدة رائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه ، أولها [من الطويل] :

كَفَى الدِّينَ عِزًّا مَا قَضَاهُ لَكَ الدَّهْرُ . فَمَنْ كَانَ ذَا نَذْرٍ قَدْ وَجِبَ النَّذْرُ

(١) روى كثير من هذه الشواهد ابن حجة ، في خزائن الأدب .

(٨١ — ٨٤) .

(٢) لابن حيوس ترجمة في ابن خلكان (٢ — ٣٧٧) هي التي أخذها

المؤلف هنا .

(٣) في الأصول « وقضيته » وما أثبتناه موافق لما في ابن خلكان .

منها :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطأ على أنه لو لآك لم يكن الصبرُ
 غزأنا ببؤسى لا يماثلها الأسمى تقارنُ نعمى لا يقومُ بها الشكرُ^(١)
 تباعدتُ عنكم حرفةً لازهادةً وسرتُ إليكم حينَ مَسَى الضُرِّ
 فلا قيتُ ظلَّ الأمنِ ماعنه حاجزُ يصدُّ ، وبابُ العزِّ مادونه سترُ
 وطالَ مقامى فى إيسارِ جميلكم قدّامتْ معاليكم ودام لى الأسرُ
 وأنجز لى ربُّ السمواتِ وعدهُ الكريمِ بأنَّ العسرَ يتبعه اليسرُ
 فجدادُ أبو نصرٍ بألفٍ تصرّمتْ وإنى علمُ أن سيخلفها نصرُ
 لقد كنتُ مأمولاً ترجى لملها فكيف وطوعاً أمرك النهى والامرُ^(٢)
 ومابى إلى الإلحاح والحرصِ حاجةً وقد عرف المبتاعُ وأنفصل السعرُ
 وإنى بأمالى لديكم مخيمُ وكَم فى الورى ثاو وأماله سفرُ
 وعهدكُ ما أبغى بقولى تصنماً بأيسرِ ماتولىه يستعبدُ الحرُّ^(٣)

فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر : والله لو قال عوض قوله سيخلفها نصر سيضعفها لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار فى طبق فضة .

وكان اجتمع على باب الأمير نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه ، وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصرانى ، وكانت له عادة بفتيان منزله ، وعقد مجلس الأُنس عنده ، فأتت الشعراء الذين تأخرت

(١) فى الأصل : « تقارب نعمى » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى ابن خلكان .

(٢) فى الأصل : « لقد كنت مأموراً ترجى لملها » وأثبتنا ما فى ابن خلكان ، وهو الذى يقتضيه المعنى .

(٣) فى ابن خلكان « وعندك ما أبغى » ولما هنا وجه لأبأس به ، وهو أن تنزل الواو فى قوله « وعهدك » على أنها واو القمم .

جوازهم إلى باب بولص، وفيهم ابن الدويدة المعري الشاعر المعروف، فكتبوا
ثلاثة أبيات اتفقوا على نظمها — وقيل: بل نظمها ابن الدويدة المعري المذكور —
وصيروا الورقة إليه وفيها الأبيات، وهي [من الطويل]:

عَلَى بِابِكَ الْمَحْرُوسِ مِنَّا عِصَابَةٌ وَمَعَالِيسُ فَاظْطُرُّ فِي أُمُورِ الْمَقَالِيسِ
وَقَدْ قَنَعْتُ مِنْكَ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا بِعُشْرِ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ لِابْنِ حَيَّوسِ
وَمَا يُدِينُنَا هَذَا التَّفَاوُتُ كُلُّهُ وَلَكِنَّ سَعِيدٌ لَا يُقَاسُ بِمِنْحُوسِ

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار، وقال: والله لو قالوا «بمثل
الذي أعطيتهم لابن حيوس» لأعطيتهم مثله

وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء، تملك حلب بعد وفاة أبيه محمود سنة
سبع وستين وأربع مائة، ولم تطل مدته حتى نار عليه جماعة من جنده فقتلوه ثمان
شوال سنة ثمان وستين وأربع مائة

وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس
فبنى داراً بمدينة [حلب] وكتب على بابها من شعره [من السريع]:

دَارُ بَنِينَهَا وَعِشْنَاهَا فِي نِعْمَةٍ مِنْ آلِ مَرْدَاسِ
قَوْمٌ تَقَوُّوا بُؤْسِي وَلَمْ يَتْرَكُوا عَلَيَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ بَارِسِ
قُلُوبُنَا الدُّنْيَا لَا هَكَذَا فَلْيَفْعَلِ النَّاسُ مَعَ النَّاسِ^(١)

وقيل: إن الأبيات لابن أبي حصينة^(٢) الحلبي، وهو الصحيح
وحكى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: أنشدنا أبو القاسم علي بن

(١) في ابن خلكان: * فليصنع الناس مع الناس *

(٢) ابن أبي حصينة: هو الأمير الجليل أبو الفتح، الحسن بن عبد الله
ابن عبد الجبار الحلبي، قاله ابن خلكان.

إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسة ، قال : أخذ الأمير ^(١) أبو الفتيان ابن حيوس يدي وقال : اذرعني هذا البيت ، وهو في شرف الدولة مسلم ابن قريش [من الكامل] :

أَنْتَ الَّذِي نَفَقَ الثَّنَاءُ بِسُوقِهِ وَجَرَى النَّدَى بِمِرْوَقِهِ قَبْلَ الدَّمِ
وهذا البيت في غاية المدح
ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هُوَ ذَاكَ رُبْعُ الْعَامِرَةِ فَارُبْعٍ وَأَسْأَلُ مَصِيفًا عَافِيًا عَنْ مَرَبْعٍ ^(٢)
وَأَسْتَسْقِي لِلدَّمَنِ انْطَوَّأَ إِلَى الْيَحْيَى غُرُّ السَّحَابِ وَاعْتَدَرُ عَنْ أَدْمَى
فَلَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ دَانَ هَاجِرٍ فِي قُرْبِهِ وَوَرَاءَ نَارٍ مُزْمَعٍ ^(٣)
لَوْ تَخْبَرُ الرُّبَّكَانُ عَنِّي حَدَّثُوا عَنْ مُقَلَّةٍ عَبَّرَى وَقَلْبٍ مُوجِعٍ
رُدِّي لَنَا زَمَنَ الْكَتِيبِ فَإِنَّهُ زَمَنٌ مَنَى بِرُجْعٍ وَصَالِكٍ بِرُجْعٍ
لَوْ كُنْتُ عَالِمَةً بِأَذْنِي لَوَعْنِي لَرَدَدْتُ أَقْصَى نَيْلِكَ الْمُسْتَرْجِعِ
بَلْ لَوْ قَنَعْتُ مِنَ الْغَرَامِ بِمُظْهِرٍ عَنْ مُضْمَرٍ بَيْنَ الْحَشَى وَالْأَضْلَعِ
أَعْتَبْتُ إِتْرَ تَعْتَبٍ وَوَصَلْتُ غَيْبٌ تَجْنِبُ وَبَدَلْتُ بَعْدَ تَمْنَعِ
وَلَوْ أَنِّي أَنْصَفْتُ نَفْسِي صُنْهَافًا عَنْ أَنْ أَكُونَ كَطَالِبٍ لَمْ يَنْجِعِ
إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْغَرَامِ فَلَمْ يُجِبْ فَلَا تُشْكِرُنْ نَدَى أَجَابَ وَمَادَعَى ^(٤)

(١) كان ابن حيوس يدعى بالأمير ، لأن أباه كان من أمراء المغرب ، قاله ابن خلكان

(٢) في ابن خلكان « هو ذاك ربع المالكية » .

(٣) في ابن خلكان « فلقد فنين أمام دان هاجر » وضمير الاناث في قوله « فنين » على هذه الرواية يعود إلى المدامع .

(٤) في ابن خلكان « إني دعوت ندى الكرام » وهذا البيت ليس متصلًا بما قبله فيه .

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جُمَّةٌ شَكَرْتُ بَطْلِي عَنْ نَدَى مُتَمَرِّعٍ
وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ سَابِقَ بَنِ مُحَمَّدٍ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَزْدَادُ ابْنُ قَصْرٍ الْخَطُّ عَنْ عَرَضٍ طُولًا، وَيَمُضِي إِذَا حَبَّ الْحَسَامُ نَبَاً^(١)
حَلَّ السَّكَاةُ وَمَا حُلَّتْ تَمَاعُهُ عَنْ جِدْرِهِ وَحَبَا الْعَافِينَ مُنْذُ حَبَا
حَوَى مِنَ الْفَضْلِ مَوْلُودًا بِلَا تَلَبُّبٍ أَضَاعَفَ مَا عَجَزَ الطَّلَابُ مُكْتَسِبَا
طَلَّقَ الْحَيَا إِذَا مَازَرَتْ مَجْلِسُهُ حَزَّتِ الْغَنَى وَالْعُلَا، الْبَاسُ وَالْأَدْبَا
وَمَحَاسِنُهُ كَثِيرَةٌ

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخِطَّابُ الشَّاعِرُ قَدْ وَصَلَ إِلَى حَلَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ
وَأَرْبَعِينَ وَبِهَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ حَيُّوسَ الْمَذْكُورَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْخِطَّابِ يَقُولُ
[مِنْ الْكَامِلِ] :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يَبَاعُ بِدَرَاهِمَ وَكَفَاكَ مَنِّي مَنَظَرِي عَنْ تَجْبَرِي
إِلَّا بَقِيَّةُ مَاءٍ وَجِدِ حُسْنَهَا عَنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَبْنُ الْمُشْتَرِي
قَالَ : لَوْ قَالَ « وَنَعَمْ أَنْتَ الْمُشْتَرِي » لَكَانَ أَحْسَنَ

وَكَانَ مَوْلِدُ ابْنِ حَيُّوسَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَةً بِدِمَشْقَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِينَ

وَابْنُ حَبُوسَ^(٢) الْأَشْبِيلِيُّ ذَكَرَهُ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ فَقَالَ : لَا يَخْفُفُ لَهُ ضَرْعُ خَاطِرٍ

(١) الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ مَسَافَةٌ لَا يَصِلُهَا الرِّيحُ فَانَّهُ يَخْطُو
إِلَى الْعَدُوِّ لِيَطْعَنَهُ ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
* نَصَلَ السِّيُوفُ إِذَا قَصَرَ نَحْطُونَا *

(٢) قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي نَهَايَةِ تَرْجُمَتِهِ لِابْنِ حَيُّوسَ الدِّمَشْقِيِّ الْحَلَبِيِّ ،
السَّابِقَ ذَكَرَهُ مَافِيهِ : « وَفِي شُعْرَاءِ الْمَغَارِبَةِ ابْنُ حَبُوسَ مِثْلُ الْأَوَّلِ ، لَكِنِ
بِالْبَاءِ الْمَوْحُودَةِ الْخَفِيفَةِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ ، لِثَلَاثَةِ تَصَحُّفٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَابِ
حَبُوسَ ، وَرَأَيْتُ خَلْقًا كَثِيرًا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ الْمَغْرِبِيَّ يَقَالُ لَهُ ابْنُ حَبُوسَ أَيْضًا ؛
وَهُوَ غَلَطٌ ، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْتُهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ » اهـ .

ولا يجف له ذرة سحاب ماطر، لو مسّ بريحته الصلابة تنفجر، أو الجهام لا تنجر،
وحسبك من حرمى غرضه البعيد، مذكّره له ابن سعيد، وأورد له في المرقص
قوله في أشتر العين لا تفارقه الدعة [من الكامل] :

شِيتَ قُلْنَا زُورَقٌ فِي لُجَّةٍ مَالَتْ بِإِحْدَى دَفْتِيهِ الرِّيحُ
فَكَأَنَّمَا إِنْسَانُهَا مَلَأُهَا قَدْ خَافَ مِنْ غَرَقٍ فَظَلَّ يَمِيجُ

١٢٥- إِنْ الشُّبَابَ وَالْفَرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلزَّوْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ شَاهِدُ الْجَمْعِ

البيت لأبي العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الأمثال)
يقال : إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكِنَافَا مِنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمَى أَوْ فَنَدِرُ إِنْ كُنْتُ أَخْطَا فَاخْطَا الْقَدَرُ
لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمْ مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمِ
مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
إِنْ الْفَسَادُ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ الْمَزَاحُ
مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عِبْنًا هَلَكَا مُبْلَغُكَ الشَّرَّ كِبَاغِيهِ لَكَ

وبعد البيت ، وبعده :

يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَزِينُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
مَا عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ نَقَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
يَارُبَّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ

ما تطلعُ الشَّمْسُ ولا تغيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ وَجَوْهَرُ
 فِكُلِّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ
 مِنْ لِكَ بِالْحَضِي وَكُلُّ مُتَنَزِّجٍ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ يَهَا أَرْوَاجُ
 مَنْ لِكَ بِالْحَضِي وَلَيْسَ تَخْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَاعَدَا
 إِنَّكَ لَو تَسْتَنَشِقُ الشَّحِيحَا
 عَجِبْتُ حَتَّى ضَمَّنِي السُّكُوتُ
 كَذَاقِضِي اللَّهَ فَكَيْفَ أَصْنَعُ
 إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
 أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَخْتَلِجُ
 تَمْرُوجَةُ الصَّفَرِ بِأَنْوَاعِ الْقَدَى
 لَذَا نَتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 يَخْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَّانِ
 بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا
 وَجَدْتُهُ أَتَنَ شَيْءَ رِيحَا
 صِرْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ مَبْهُوتُ
 وَالصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وهي طويلة جدا ، وهذا الأتمودج كاف منها

والجدة : الاستغناء ، والمفسدة : الخلة الداعية إلى الفساد

والشاهد فيه : الجمع ، وهو الجمع بين متعدد في حكم ، وهو ظاهر في البيت ،

وما أحسن قول الصفي الخلي فيه [من البسيط] :

من أئمة الجمع

أَرَاؤُهُ وَعَطَايَاهُ وَنِعْمَتُهُ وَعَفْوُهُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ

ومنه قول ابن حجة مع تسمية النوع [من البسيط] :

آدَابُهُ وَعَطَايَاهُ وَرَأْفَتُهُ سَحِيَّةٌ ضَمَّنَ جَمْعُ فِيهِ مُلْتَمِمْ

وقول ابن جابر الأندلسي [من البسيط] :

قَدْ أَحْرَزَ السَّبْقَ وَالْإِحْسَانَ فِي نَسَقِ الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ قَبْلَ الدَّرْكِ لِلْحُلْمِ

وأبو العتاهية^(١) هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان،^(٢) مولى عترة^(٣) أبي العتاهية
وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة والمجون
فكنى لعتوه^(٤) بذلك ، وقيل : إن المهدي قال له يوما : أنت إنسان متعته
متحذلق ، فاستوت له من ذلك كنية ، ويقال للرجل المتحذلق عتاهية ، وفيه
يقول أبو قابوس النصرائي وقد بلغه أنه فضل عليه العتابي [من الكامل] :

قُلْ لِلْمُسْكَنِ نَفْسُهُ مُتَخِيرًا بِعِتَاهِيَةٍ
وَالْمُرْسَلِ الْكَلَمِ الْقَبِيحِ وَعَنْهُ أَذُنٌ وَأَعْيَةٍ
إِنْ كُنْتَ سِرًّا سَوْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ عَلَانِيَةٍ
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَالِ وَأُمُّ زَيْدٍ زَانِيَةٍ

وأم زيد هي أم أبي العتاهية^(٥) ومنشأه بالكوفة ، وكان في أول أمره يتخنث
ويحمل زاملة الخنثين ، ثم كان يبيع الفخار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه
وتقدم ، ويقال : أطبع الناس بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، وما قدر

(١) لأبي العتاهية ترجمة في الأغاني (٣ : ١٢٦ - ١٨٣) وهو لم يذكر
فيها أخباره مع عتبة — وهي من أعظم أخباره — لأنها كما قال طويhle وقد
طالت أخباره ، فأحب أن يفرد أخباره معها . وقد ذكر بعض أخباره في
(١٤ : ٥٦ - ٥٩) ولم يذكر أخباره مع عتبة بعد إخباره أنه أودعها ؛
ولأبي العتاهية ترجمة في ابن خلكان (١ : ١٢٥ - ١٣٠) .
(٢) عترة بن أسد بن ربيعة ، قاله ابن خلكان ؛ وضبط عترة بفتح العين
المهملة والنون وبعدها زاي .

(٣) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هذه العبارة ما نصه « لا يخفى أن
العتو غير العتة ، فليس ما قاله صحيحا » هـ .

(٤) أمه هي : أم زيد بنت زياد المحاربي ، مولى بني زهرة ، قاله
صاحب الأغاني .

أحد قصي جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرتهم ، وكان غزير البحر ، كثير المعنى لطيفها ، سهل اللفظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير السخط المرفول مع ذلك ، وأكثر شعره في الزهد والآمال ، وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمنهج الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث والنشور ، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون النشور والمعاد

وحدث الخليل بن أحمد التوشحي قال : أتانا أبو العنابية إلى منزلنا قال : زعم الناس أنني زنديق ، والله ما ديني إلا التوحيد ، قلنا له : قل شيئاً نتحدث به عنك ، قال [من المتقارب] :

أَلَا إِنَّا كُنَّا بِأَيْدٍ وَأَيْ بَنَى آدَمَ خَالِدٌ
وَبَنَوْهُمْ كُلٌّ مِنْ رَبِّهِمْ وَكُلٌّ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ
فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْعِدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ
وَكُنْ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ مَعَ يَسَارِهِ وَكَثْرَةِ مَا جُمِعَ مِنَ الْأَمْوَالِ

وحدث محمد بن عيسى الخرقى قال : وقف عليه ذات يوم سائل من الصيارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حواليه ، فسأله دونهم ، قال له : صنع الله لك ، فأعذ السؤل ، فرد عليه ، فأعذاك لته ، فضرب ، وقال له : أأست الذي يقول [من المديد] :

كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مَبِيتِهِ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفَنُ

قال : نعم ، قال : فبالله عليك أتريد أن تصد ممالك كله لمن كنتك ؟ قال : لا ، قال : فبالله كم قدرت لكفنتك ؟ قال : خمسة دنانير ، قال : فأعمل على أن ديناراً من الحقة وضيمته قيراطاً ودفع إلى قيراطاً واحداً ، وإلا فواحدة أخرى ، قال : وما هي ؟ قال : القمود بنجر بثلاث دراهم ، فأعطى درهماً وأقيم لك كفناً بأن أحفر لك به

قبرك متى مت وتريح درهمين لم يكونا في حسابك ، فان لم أخفر رددته على ورتك
أو رده كليل عليهم ، فنجعل أموالنا عليه وقال : اغرب لئلا الله وغضب عليه
وضحك جميع من حضر ، ومر السائل يضحك ، فالتفت إلينا أبو العتاهية وقد
اغتنظ فقال : من أجل هذا وأمثله حرمت الصدقة ، قلنا له : ومن حرما متى
حرمت ؟ فإرأيت أحدا ادعى أن الصدقة حرمت قبله ولا بعده

وقال : قلت لأبي العتاهية : أنزكي مالك ؟ قال : والله ما أنفق على عيالي
إلا من زكاة مالي ، قلت له : سبحان الله ! إنما ينبغي لك أن تخرج زكاة مالك
لتقراء والمساكين ، فقال لي : لو أنقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض
أقهر منهم

وحدث أيضاً قال : كنت جازراً لأبي العتاهية ، وكان له جارية يلتقط النوى
ضعيف سىء الحال متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرقي الثبار
فيقول أبو العتاهية : اللهم أعنه على ما هو بسبيله ، شيخ ضعيف سىء الحال عليه ثياب
متجمل ، اللهم اصنع له ، اللهم بارك فيه ، فبقي على هذا إلى أن ملت الشيخ نحواً
من عشرين سنة ، لا والله إن تصدق عليه بدرهمين ولادائق قط ، وما كان زاده
على الدعاء شيئاً ، قلت له : يا أبا إسحاق ، إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ
وتزعم أنه فقير معيل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ قال : أخشى أن يعتاد
الصدقة وهي آخر مكاسب العبد ، وإن في الدعاء خيراً كثيراً

وقال الجاحظ : حدثني نمامة بن أشرس قال : دخلت يوماً على أبي العتاهية
فاذا هو يأكل خبزاً بلا شيء ، قلت له كلنسكر : كأنت رأيتني يأكل خبزاً وحده ،
قال : لا ولكن رأيتني يتأدم بلا شيء ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت
قدامه خبزاً يابساً من دقاق فطير وقد حافيه حليب ، فكلن يأخذ القطعة من
الخبز فيمسه في اللبن ويخرجها فلم تنمق منه قليل ولا كثير ، قلت له : كأنت
اشتبهت أن تتأدم بلا شيء ، وما رأيت أحداً قبله تأدم بلا شيء .

وقال نميمة أنشدني أبو العنابية [من الطويل] :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْعَنِ مَنْ أَلَمَّ أَنْفُسَهُ تَمَلَّكَهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْفَعٌ وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ
إِذَا كُنْتُ ذَامَالٌ فَبَادِرْ بِهِ الَّذِي يَحِقُّ وَلَا اسْتَهْلِكْهُ مَهَالِكُهُ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قوله صلى الله عليه وسلم « إنما لك من مالك ما أكلت فأنفيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت »
فقلت : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تجلس عندك سبعا وعشرين بدرة في دارك لا تأكل منها ولا تشرب ، ولا تزكي ، ولا تقدمها ذخرًا لیسوم فقرك وفاقتك ؟ قال : يا أبا معن ، والله إن ما قلت لحق ، ولكي أخاف الفقر والحاجة إلى الناس . قلت : وما يزيد حال من افتقر على حاله وأنت دائم الحزن لا تأكل ولا تشرب منها دائم الجمع شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فقرك جواب كلامي كله ، ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يقبضه بخمسة دراهم ، فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، وأمسكت عنه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

وقيل له : مالك تبخل بما رزقك الله تعالى ؟ فقال : والله ما تبخل بما رزقني الله قط ، قبل له : فكيف ذاك وفي بيتك من المال مالا يحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لانتقته .

وحدث أبو العنابية قال : أخرجني المهدي معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كبير ، وتفرق أصحابه في طلبه ، وأخذ هو في طريق آخر غير طريقهم ، فلم يلتفتوا ، وعرض لنا وادجرًا عظيم ، وتقيمت السماء ، وبدأت بمطر ، فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادي ، وإذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأنا إليه وسألناه

عن الطريق ، فجعل يضمف رأينا ويمجزنا في بذل أفضنا في ذلك القيم والمطر
للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له ، وكاد المهدي يموت برداً ، فقال له :
أعطيك بيجتي هذه الصوف ؟ قال : نعم ، فغطاه بها ، فماسك قليلا ونام ، وافتحه
غلمان ، وتبعوا أثره حتى جاؤونا ، فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنه الخليفة فهرب
وتبادر الغلمان ، فَتَحَوْا الجبة عنه ، وألقوا عليه الخنز والوشى ، فلما اتقه قالنى :
ويحك ! ما فعل الملاح ؟ فوالله لقد وجب حقه علينا ، قتل : والله هرب خوفاً
مما خاطبنا به . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لقد أردت أن أغنيه ،
وبأى شيء خاطبنا ؟ نحن والله مستحقون لأضاعف ما خاطبنا به ، بيجاتى عليك
الإمام هجرتى ، قتل : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسى بأن أهجوك ؟ قال :
والله لتفعلن فأننى ضعيف الرأى مفرم بالصيد ، قتل [من السريع] :

يَا لَابِسَ الْوَشَى عَلَى ثَوْبِهِ مَا أَقْبَحَ الْأَشْيَبَ بِالرَّاحِ

فقال : زدنى بيجاتى عليك ، قتل :

لَوْ شِئْتَ أَيْضاً جُلْتُ فِي خَامَةٍ وَفِي وَشَاحِينِ وَأَوْصَاحِ

فقال : ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا أستاذل ، زدنى شيئاً

آخر ، قتل : أخاف أن تنفض ، قال : لا والله ، قتل :

كَمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ فِي نَفْسِهِ قَدْ نَامَ فِي جُبٍّ مَلَّاحِ

فقال : معنى سوء عليك لعنة الله ، وقتنا فركبنا وانصرفنا .

وعن الحسن بن عابد قال : كان أبو العنائه يمج في كل سنة ؛ فإذا قدم أهدي

للمأمون برداً قطرياً ونعلا سوداء ومساويك أراك ، فيبث إليه بشرين ألف

درهم ، فأهدي له مرة كما كان يهدي كل سنة إذا قدم ، فلم يبقه ولا بشت إليه

بالوظيفة ، فكتب إليه أبو العنائه يقول [من الرمل] :

خَبَرُونِي أَنْ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جَدّاً بَيْضاً وَصَفْراً حَسَنَ

(١٩ - معامد ٢)

أُحْدِثْتُ لِكُنْفَى لَمْ أَرَهَا مَثَلًا مَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ
 قَالَ: فَأَمَّا الَّذِينَ يَحْمِلُ الْعَشْرِينَ أَلْفًا إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَغْفَلْنَا حَتَّى أَذْكَرْنَا.
 وَحَدَّثَ أَبُو عَكْرَمَةَ قَالَ: كَانَ الرُّشَيْدُ إِذَا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ بَنَ زَائِدَةً،
 يَتِمَّلُ يَقُولُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ [مَنْ السَّرِيعُ]:

أُخْتُ بَنَى شَيْبَانَ مَرَّتَ بَنَى مَشْوُطَةٌ كُورًا عَلَى بَغْلٍ
 وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُو بِهَا عَبْدَ اللَّهِ الْمَذْكُورَ، وَبَعْدَهُ:
 تَكُنْفَى أَبَا الْفَضْلِ وَمَنْ ذَا رَأَى جَارِيَةً تَكُنْفَى أَبَا الْفَضْلِ
 قَدْ قَطَعَتْ فِي وَجْهِهَا نَقْطَةً مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
 إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالَ حُجَابُهَا نَحْنُ عَنْ الزُّوَارِ فِي شُغْلٍ
 مَوْلَانَا مَشْغُولَةٌ عِنْدَهَا بَغْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَغْلِ
 يَا بَنْتَ مَعْنٍ الْخَيْرِ لَا تَجْهَلِي وَأَيْنَ تَقْصِيرُ عَنْ الْجَهْلِ^(١)
 أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تُجْلِدُ فِي دُبُرِكَ وَالْقَبْلِ
 مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبَخْلِ
 يَنْزِلُ مَا يَنْتَعُ أَهْلُ النَّدَى هَذَا لِعَمْرِى مُنْتَهَى الْبَذْلِ
 مَا قُلْتُ هَذَا فِيكَ إِلَّا وَقَدْ حَقَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِي

قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ، فَأَتَى بِهِ، فَدَعَا بِبَغْلَانِ لَهُ ثُمَّ أَمْرَهُمْ أَنْ
 يَرْتَكِبُوا مِنْهُ الْفَاحِشَةَ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ، وَقَالَ لَهُ: قَدْ جَرَيْتُكَ عَلَى
 قَوْلِكَ، فَهَلْ لَكَ بَعْدَ هَذَا فِي الصَّلَاحِ وَسِعَهُ مَرْكَبٌ وَعَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٌ أَوْ تَقِيمُ
 عَلَى الْحَرْبِ وَمَا تَرَى؟ قَالَ: بَلِ الصَّلَاحُ، قَالَ: فَأَسْمَعْنِي مَا تَقُولُهُ فِي مَعْنَى الصَّلَاحِ
 فَقَالَ [مَنْ الرِّمْلُ]:

(١) فِي الْأَغَانِي «وَأَيْنَ إِقْصَارُ عَنِ الْجَهْلِ» وَهُوَ أَظْهَرُ

ما لمدلى وملى أمرؤني بالضلال
عذكوى في اغتفاري لا بن معن واجتالي
إن يكن ما كان منه فبجري وفصالي
أنا منه كنت أسوا عشرة في كل حال^(١)
قل لمن يعجب من حسن رجوعي ومقلي^(٢)
رب ود بعد صد وهوى بعد قال
قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرجال
إنما كانت يميني لطلعت منى شمالي

وكان أبو العتاهية في حديثه يروى امرأة من أهل الحيرة نائمة لها حسن ود مائة، [يقال لها سعدى]^(٣) وكان ممن يرواها أيضاً عبد الله بن معن، وكانت مولاهم، وكانت صاحبة حجاب، وكان أبو العتاهية مولماً بالنساء، فقال فيها [من الطويل]:

ألا ياذوات السحق في الغرب والشرق
أفقت أن الخبز بالأدم يشتهى
أرا كن ترقن الخروق بمنلها
وأي ليب يزق الخرق بالخرق
وهل يصلح المهراس إلا بعوده
إذا احتيج منه ذات يوم إلى الدق
وقال فيها أيضاً [من الخفيف]:
قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى
لهواؤه البعيدة الأسباب

- (١) في الأصل «كنت أسوا * عزة» وما أثبتناه موافق لما في الأغاني
(٢) في الأصل «ما لمن يعجب» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في الأغاني
(٣) وقعت هذه الجملة في الأصل بعد قوله «وكانت مولاهم»، وأثبتناها في مكانها عن الأغاني

أنتَ مثلُ الذي يَرُ من القطرِ حِذَارَ الندى إلى الميزابِ
فضضابِ ابنِ من لسمدى، فضربَ أبا التماهية مائةً، فقال فيه [من مجزؤه الخفيف]:

جلَدْتُني بكفها بنتُ من بنِ زائمه
جلَدْتُني بكفها بأبي تلكَ جالده^(١)
وتراها مع الخصى على البابِ قاعدهُ
تَكْفَى كفى الرجا ل لعمدٍ مُكايدهُ
جلَدْتُني وبالفنِّ مائةً غيرِ واحدِه
اجلِدْنِي اجلدى اجلدى إنما أنتِ والدهُ

وقال في ضربه إليه أيضا [من الخفيف]:

ضربتني بكفها بنتُ من أوجعت كفها وما أوجعتني
ولعمري لولا أنى كفها إذ ضربتني بالسوط ما تركتني
وحديث أحمد بن أبي قن قال: كنا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن
نوفل في عبد الملك بن عمير القاضى، وهو [من الطويل]:
إذا كلمته ذاتُ دَلٍّ لحاجةٍ فهمُ بأن يقضى تمنح أوسل^(٢)
وأن عبد الملك بن عمير قال: تركتني والله وإن السُّلَّةَ لتعرض لى فى الخلاء
فأذكر قوله [فأهاب أن أسمل] ^(٣) قال: قلت: هذا ابن من بن زائمه يقول له
أبو التماهية^(٤) [من المزعج]:

- (١) فى الأغاني «جلدتني فأوجعت» ولا يتناسب مع المعنى الذى يريد،
ولا مع البيتين الذين بعد هذه الأبيات
(٢) وقع فى الأصول (إذا كلمته ذات دار الحاجة) محرراً عما أتيته، وفى
الأغاني • إذا ذات دل كلمته حاجة •
(٣) زيادة يتم بها المعنى، وهى ثابتة فى الأغاني
(٤) البيتان من أبيات يقولها أبو التماهية فى عبد الله بن من بن زائمه،
وانظرها فى الأغاني (٤ - ٢٤ دار الكتب)

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ حَلْخَلًا
 فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَلًا
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَيْسَ السَّيْفُ قَطُّ فَلَاحِي إِذَا قُلْتَ إِذَا قُلْتَ بِحِفْظِ شَرِّ
 أَبِي النَّهْأَةِ فِي فَنَظَرٍ إِلَى بَسْبِهِ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : اعْبَحُوا لِهَذَا الْعَبْدِ يَهْجُو
 مَوْلَاهُ ، وَكَانَ أَبُو النَّهْأَةِ مِنْ مَوَالِي بَنِي شَيْبَانَ
 وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : اجْتَمَعَ أَبُو نَوَاسٍ وَأَبُو الشَّعْمَقِيِّ فِي بَيْتِ ابْنِ أُذَيْنَ ،
 وَجَاءَ أَبُو النَّهْأَةِ - وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الشَّعْمَقِيِّ شَرٌّ - فَجَاءَهُ مِنْ أَبِي النَّهْأَةِ فِي
 بَيْتٍ ، وَدَخَلَ أَبُو النَّهْأَةِ ، فَظَنَرَ إِلَى غُلَامٍ عِنْدَهُ فِيهِ تَأْنِيثٌ ، فَظَنَّهُ جَارِيَةً فَقَالَ
 لِابْنِ أُذَيْنَ : مَتَى اسْتَظَرَفْتَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ ؟ قَالَ : قَرِيبًا يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، قُلْ فِيهَا
 مَا حَضَرَ ، فَقَدْ أَبُو النَّهْأَةِ يَدُهُ إِلَيْهِ وَقَالَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

مَدَدْتُ كَفِّيْ نَحْوَكُمْ سَائِلًا مَاذَا تَرُدُّونَ عَلَى السَّائِلِ
 فَلَمْ يَلِيْثْ أَبُو الشَّعْمَقِيِّ حَتَّى نَادَاهُ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ بِهَذَا الْبَيْتِ
 تَرُدُّ فِي كَفِّكَ ذَا فَنَيْشَةٍ يَشْنَى جَوَى فِي اسْتِكَ مِنْ دَاخِلِ

قَالَ أَبُو النَّهْأَةِ : [أَبُو] الشَّعْمَقِيُّ وَآلُهُ ، وَقَامَ مَغْضَبًا

وَقَالَ أَبُو النَّهْأَةِ : حَبَسَنِي الرَّشِيدُ ^(١) لَمَّا تَرَكْتُ قَوْلَ الشَّرِّ ، فَأَدْخَلْتُ السَّجْنَ
 وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَيَّ ، فَدَهَشْتُ كَمَا يَدْهَشُ مِثْلِي لِقَائِكَ الْحَلَالَ ، فَذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ فِي
 جَانِبِ الْحَبْسِ مُقِيدٌ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ تَمَثَّلَ وَقَالَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 تَوَدَّدْتُ مَنْ الضَّرِّ حَتَّى أَلْقَيْتُهُ وَأَسْلَمْتُ حَسَنُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
 وَصَبْرِي يَأْسِي مِنَ النَّأْسِ رَاجِيًا لِحَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي ^(٢)
 قُلْتُ لَهُ : أَعَدَّكَ اللَّهُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ يَا أَبَا النَّهْأَةِ !
 مَا أَسْوَأَ أَذْبُكَ وَأَقْلَ عَقْلِكَ ! دَخَلْتُ عَلَى الْحَبْسِ فَأَسْلَمْتُ تَسْلِيمَ السَّلَامِ عَلَى السَّلَامِ ،

(١) فِي ابْنِ خُلِكَانَ « أَمْرُ الْمُهْدِيِّ بِجَبْسِي » وَفِي بَقِيَةِ الْقِصَّةِ ذِكْرُ الرَّشِيدِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « يَأْسِي مِنَ اللَّهِ » وَهُوَ فَاسِدٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْأَخَايِ

وَلَا سَأَلْتُ سَأَلَةَ الْحَرِّ ، وَلَا تَوَجَّعْتُ تَوَجُّعَ الْمَيْتِ لِلْمَيْتِ ، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ
يَتَيْنِ مِنَ الشَّرِّ الْهَيَّ لَا فَضْلَ فِيكَ غَيْرِهِ لَمْ تُصَبِّرْ عَنْ اسْتِعَانَتِهِمَا ، وَلَمْ تَقْدَمْ قَبْلَ
مَسْأَلَتِهِمَا عَنَّا لِنُفَكَّ فِي طَلِبِهِمَا ، قَالَتْ : يَا أَخِي ، إِنِّي دَهَشْتُ لِهَذَا الْحَالِ فَلَا
تَعَذَّلْنِي وَاعْتَرَفْنِي مُتَفَضِّلًا بِنَفْسِكَ ، قَالَتْ : وَاقِفْ أَأَنَا أَوَّلِي بِالْهَشِّ وَالْحِمَةِ مِنْكَ ،
لَأَمَّا كَيْسَتْ فِي أَنْ تَقُولَ الشَّرُّ الْهَيَّ بِهِ ارْتَفَعْتُ وَبَلَفْتُ مَا بَلَفْتُ ، فَذَا قُلْتُ
أَمْسَتْ ، وَأَنَا مَأْخُذٌ بِأَنْ أَهْلَ عَلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقْتَلَ أَوْ أَقْتَلَ
دُونَهُ ، وَوَاقِفٌ لَا أَهْلَ عَلَيْهِ أَبَدًا وَالسَّاعَةَ يَدْعِي بِي فَأَقْتُلْ ، فَأَيُّمَا أَحَقَّ بِالْهَشِّ ،
قَالَتْ : أَنْتَ وَاقِفٌ أَوَّلِي سُلُوكِ اللَّهِ وَكَفَاكَ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذِهِ حَالُكَ مَا سَأَلْتُكَ ،
قَالَتْ : لَا نَبْخُلُ عَلَيْكَ إِذَنْ ، ثُمَّ أَعَادَ الْبَيْتَيْنِ حَتَّى حَفِظْتَهُمَا ، فَسَأَلْتُهُ مِنْ هُوَ (١)
قَالَ : أَنَا حَضَرُ (٢) دَاعِيَةِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ ، وَلَمْ نَلْبِثْ أَنْ سَمِعْتُ صَوْتَ
الْأَهْلِ . فَهَامَ فَسَكَبَ عَلَيْهِ مَاءٌ كَانَتْ عِنْدَهُ فِي جِرَّةٍ وَلَيْسَ ثَوْبًا نَظِيمًا وَدَخَلَ
الْحُرْسَ وَالْجُنْدَ مَعَهُمُ الشَّمْعَ . فَأَخْرَجْنَا جَمِيعًا ، وَقَدِمَ قَبْلِي إِلَى الرَّشِيدِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ
أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى ، قَالَتْ : لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ وَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَلَوْ أَنَّهُ تَحْتَ ثَوْبِي
هَذَا مَا كَشَفْتُ عَنْهُ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَضَرَبَتْ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَظُنُّكَ ارْتَفَعْتَ
يَا إِسْمَاعِيلُ ؟ قَالَتْ : دُونَ مَا رَأَيْتَهُ تَسِيلُ مِنْهُ النَّفُوسَ . قَالَتْ : رُدُّوهُ إِلَى عَجَبِهِ .
فَرُدِدْتُ . وَاتَّحَلَّتِ الْبَيْتَيْنِ وَزِدْتُ فِيهِمَا [مِنَ الطَّوِيلِ]

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّرَتْ مِنْهُ طَالَعَتْنِي عَلَى الدَّهْرِ
وَكُلُّنَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مُشْتَهَرًا بِحُبِّ عُنْتَبَةَ جَارِيَةِ الْمُهْدِيِّ ، وَأَكْثَرَ نَسِيهِ فِيهَا
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَكَتَبَ بِهِ إِلَى الْمُهْدِيِّ يَمُرُّ بِهَا [مِنَ الْبَسِيطِ] :

(١) فِي ابْنِ خُلِكَانَ « مِنْ أَنْتَ » وَفِي الْأَغَانِي مِثْلُ مَا هُنَا ، وَكَلَامًا صَحِيحًا
(٢) فِي الْأَغَانِي « أَنَا خَاصُ دَاعِيَةِ عِيسَى بْنِ زَيْدٍ وَابْنِهِ أَحْمَدَ » وَفِي
ابْنِ خُلِكَانَ مِثْلُ مَا هُنَا .

نفسى بشيء من الدنيا مُلَقَّةٌ والله والقائم المهدي يكفيها
إني لأؤيس منها ثم يُطمئني فيها احتقاركَ لِدنيا وما فيها

فهم المهدي بدفع عتبة إليه ، فخرجت وقالت : يا أمير المؤمنين مع حرمي
وخدمني أقدمني إلى قبيح المنظر بألف حِرَارٍ ومكتسب بالشق ؟ فأعفاها ،
وكان قد كتب البيتين على حواشي ثوب مطيب ووضعه في برنية ضخمة ، قال
المهدي : ملأوا به البرنية مالا . فقال الكتاب : أمرلى بدنانير ، قالوا : ماندمع
إليك ذلك ، ولكن إن شئت أعطيناك الدرهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف
في ذلك حولا ، قالت عتبة : لو كان عشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في
التمييز بين الدرهم والدنانير ، وقد أضرب عن ذكرى صفحا

وجلس أبو العتاهية يوما يغزل أبا نواس ويومه على استماع الفناء وبحالته
لاصحابه ، قال أبو نواس [من مجزوء الرمل]

أتراني يا عتاهي تازكا تلك الملاهي

أتراني مفسداً بالفُسْكَ عند القوم جاهي

فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك ! وجعل أبو نواس يضحك

وحدث مخارق قال : جاءني أبو العتاهية يوما فقال لي : قد عزمت على أن
أزود منك يوما تبه لي ، فتي تنشط لذلك ؟ قلت : متى شئت ، قال : إني أخاف
أن تقضع بي ، قلت : لا والله ولو طلبني الخليفة ، فقال : يكون ذلك في غد ،
قلت : فصل ، فما كان من الغد باكرني رسوله ، فحنته فدخلني بيتاه فظليفا فيه
فرش نظيف ، ثم دعا بمائة وعليها خبز سميد وخل وبقل وملح وجدي مشوى ،
قال : فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم دعا بسمك مشوى فأصبنا منه أيضا ، ثم
دعا بفراخ ودجاج وفرايح مشوية فأكلنا منها حتى اكتفينا ، ثم أتونا بمجلاه
فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، ثم جاءونا بفككة وزيجان وألوان من الأبنسة قال

لى : اختر ما يصلح لك ، فاخترت وشربت وصب قنحائم قال : غنّ لى قولى
[من الخفيف]

أحدُ قال لى ولم يدّر ما بى أحبُّ الفناء عُتْبَةً حَقًّا
فغنّيته ، فشرب أقداحًا ، وهو يبكى أحر بكاء ، ثم قال : غننى فى قولى
[من السريع] :

ليس لمن ليست له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ
فغنّيته ، وهو ينتحب ويبكى ، ثم قال : غننى ، فدينك فى قولى
[من الطويل] :

خلىّ مالى لا تزالُ مضربى تكونُ مع الأقدار حتمًا من الختمِ
فغنّيته إليه ، وما زال يقترح على كل صوت غنّى به فى شعره ، ويقول : غننى
به ، فأغنيه ويشرب ويبكى ، ثم صارت العتمة ، فقال لى : أحب أن تصبر
حتى ترى ما أضعه ، فجلست ، فأمر ابنه وغلامه ، فكسرا كل ما كان بين أيدينا
من النبيذ وآلات الملاهى ، ثم أمر باخراج كل ما كان فى بيته من النبيذ والآلات
فما زال يكسره ويصب النبيذ ، وهو يبكى ، حتى لم يبق من ذلك شيء ، ثم
نزع ثيابه واغتسل ولبس ثياب بياض من الصوف ، ثم عاتقنى وبكى ، وقال :
عليك السلام يا حبيبي وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق الذى لا لقاء بعده ،
وجعل يبكى ويقول : هذا آخر عهدك بى فى حال تماشر أهل الدنيا ، فظننت
أنها بعض حماقاته ، فانصرفت فما لقيته زمانًا ، ثم تشوقته ، فأتيتهُ فاستأذنت
عليه ، فأذن لى فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قوسرتين وثقب إحداها وأدخل
رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجله منها وأقامها
مقام السراويل ، فلما رأيتهُ نسيت ما كان عندى من الغم عليه والوحشة لعشرته
وضحكته والله ضحكًا ما ضحك مثله قط ، فقال لى : من أى شيء تضحك ؟

لا ضحكت ! قلت : أسخن الله عينيك ! أى شئ هو ؟ من بلغك عنه أنه
 فعل مثل هذا من الأنبياء ، أو الزهاد ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو المجانين ؟
 انزع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنه استحيامنى ، ثم بلغنى عنه أنه جلس
 حجلماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحالة ، فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى
 أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت جددت لى حزناً
 وناقت نفسى إلى مماعك وإلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر
 إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به .

وقيل لأبى المتاهية عند الموت : ما تشهى ؟ فقال : أشتهى أن يعجى
 مغارق فيضع فيه على أذنى ثم ينينى [من الطويل] :

ستعرض عن ودى وتنسى مودتى ويحدث بمدى للخليل خليل
 إذا ما اقتضت عنى من الدهم دتى فان غناء الباكيات قليل
 وحدثت حمد بن أبى المتاهية قال : آخر شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات
 فيه [من الوافر] :

إلى لا تمدبني فاني مقرر بالذى قد كان منى
 فالى حيلة إلا رجائي لعفوك إن عفوت وحسن ظنى
 وكم من زلة لي فى الخطايا وأنت على رفو فضل ومن
 إذا فكرت فى تدعى عليها عضضت أظفلى وقرعت سنى
 أجن بزهره الدنيا جنونا وأقطع طول عمرى بالتمنى
 ولو أنى صدقت الزهد عنها قلبت لأهلها ظهر المجن
 يظن الناس فى خيرآ وإنى لشر الناس إن لم تمف عنى
 ومحاسنه كثيرة .

وكان الأصمى يستحسن قوله [من مجزوء الرمل] :

أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ سَاعَةٌ بِحُكِّ فَوْهُ

وَحَدَّثَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أُرْسِلَتْ زُبَيْدَةُ أُمُ الْآمِينَ إِلَى أَبِي
الْمَتَاهِيَةِ أَنْ يَقُولَ عَلَى لِسَانِهَا آيَاتًا بَعْدَ قَتْلِ الْآمِينَ يَسْتَعْفِفُ بِهَا الْمَأْمُونُ ، فَأُرْسِلَ
إِلَيْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَلَا إِنْ صَرَفَ الدَّهْرُ يَدَيَّ وَيُنَوِّدُ وَيَمْنَعُ بِالْآلَاءِ ضُورًا وَيَفْقُدُ
أَصَابَتُ بَرِيْبِ الدَّهْرِ مِنْ يَدِي يَدِي فَلَسْتُ لِلْأَقْدَارِ وَاللَّهِ أَحَدُ
وَقُلْتُ لُرَبِّ الدَّهْرِ : إِنْ هَلَكْتُ يَدُ قَدْ بَقِيَْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدُ
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالْشَّيْءُ لِي وَلِي جَفَرٌ لَمْ يَفْتَقِدْ وَجَدُ
قَالَ : فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمَأْمُونُ اسْتَحْسَنَهَا وَسَأَلَ عَنْ قَائِلِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَبُو الْمَتَاهِيَةِ
فَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمَ ، وَعُطِفَ عَلَى زُبَيْدَةَ ، وَزَادَ فِي تَكْرِمَتِهَا ، وَقَضِيَ
حَوَائِجُهَا جَمِيعًا .

وَحَدَّثَ عُمَرُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : مرَّ عَابِدُ بُرَاهِبٍ فِي صُومَةٍ ، فَقَالَ لَهُ :
عِظْنِي ، قَالَ : أَعْظُكَ وَعَلَيْكُمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَنَبِيَّكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَرِيبَ الْمَهْدِ بِكُمْ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاتْلُظْ بَيْتَ مَنْ شَرَّ شَاعِرِكُمْ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ
حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَأَنْكَرَ إِنَّمَا وَقَفْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مَجْرَدُ
وَمَنْ شَرُّ أَبِي الْمَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

بَادِرْ إِلَى اللَّذَاتِ يَوْمًا أَمْكَنْتُ بِمَحْلُولِهَا بَوَادِرِ الْآفَاتِ (١)
كَمْ مِنْ مُؤَخَّرٍ لَذَّةٍ قَدْ أَمْكَنْتُ لَعْدٍ وَلَيْسَ غَدُهُ لُهُ يَمُوتَاتِ
حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَطَاتَ طَلَابِهَا ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتِ

(١) فِي الدِّيْوَانِ (٤٩) « بَادِرْ إِلَى الْغَايَاتِ يَوْمًا أَمْكَنْتُ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ

تَأْتِي الْمَكَارَهُ حِينَ تَأْتِي جَمَلَةٌ وَأَرَى الشُّرُورَ يَجِيءُ فِي الْفَلَتَاتِ

ومنه قول بعضهم [من الخفيف] :

أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَعْجَبَ أَمْرًا إِنْ تَسَكَّرْتَ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ

عَارِضَاتُ الشُّرُورِ تَوْزَنُ فِيهِ وَالْبَلَايَا تُكَالُ بِالْقَضَمَانِ

ومن شعره أيضا قوله [من الكامل] :

وَإِذَا انْقَضَى هَمٌّ أَمْرِي فَقَدْ انْقَضَى إِنْ الْمُسُومَ أَشَدُّهُنَ الْأَحْدَثُ

وَيَبُوءُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ أَيْضًا ، وَهُوَ عَجِيبٌ فِي مَعْنَاهُ [من الخفيف] :

إِنَّمَا أَنْتَ طَوْلَ عَمْرِكَ مَا عَمَرْتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

ومن هذا قول من قال [من الرمل] :

وَكَا تَبْلَى وَجُوهٌ فِي الثَّرَى فَكُنَّا يَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ

ومن شعره أيضا قوله [من البسيط] :

كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ مِنْكُمْ فَيَمْدَحُكُمْ عِنْدِي فَيُفْرِقُهُ

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حُبِّ يَقْرُبُنِي مِمَّا يِبَاعِدُنِي عَنْهُ وَيُقْصِدُنِي

ومثل الأول قول عروة بن أذينة [من السريع] :

كَأَنَّمَا عَائِبُهَا جَاهِدًا زَيْنَهَا عِنْدِي بِتَزِينِ

وكذا قول أبي نُوَاسٍ [من السريع] :

كَأَنَّهُمْ أَتْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

وقال أبو العنانية لابنته رقية في علته التي مات فيها : قومي يا بنية ، طارني

أباك وانديه بهذه الأبيات ، فقامت ، فندبته بقوله [من الكامل] :

لَعِبَ الْبَلَاءُ بِعَالِي وَرَسُومِي وَفُيِّرَتْ حَيَاتُنَا بِرَدَمِ هُمُومِي

لَزِمَ الْبَلَاءُ جَسْمِي فَأَوْهَى قَوِّي إِنْ الْبَلَاءَ لَمْوَكَّلٌ بِلِزُومِي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة ، ووفاته في يوم الاثنين ، لثمان من جادى
الأولى ، وقيل : ثلاث من جادى الآخرة ، سنة إحدى عشرة ومائتين ، وقيل :
سنة ثلاث عشرة ، ودفن حيل قنطرة الزياتين في الجانب الغربى ببغداد ، وأمر
أن يكتب على قبره [من الخفيف] :

إِنْ عِشًّا يَكُونُ آخِرُهُ الْمَوْتُ لَمَيْشُ مُجَلِّ التَّنْقِصِ
وقيل : أوصى أن يكتب عليه [من مجزوء الخفيف] :

أَذِنَ حَيَّ تَسْمِي وَاسْمِي نَمِ عَى وَرَعَى
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجِي فَاحْفَرُوا مِثْلَ مَضْغَى
عَشْتِ تَسْمِينِ حِجَّةُ اسْلَمْتَنِ لِمَضْجِي
كَمْ رَى الْحَى ثَابِتًا فِي دِيَارِ التَّرْغُوعِ
لَيْسَ زَادُ سَوَى التَّقَى فَخَفَى مِنْهُ أَوْ دَعَى

ولما مات رثله ابنه عبد صالح [من مجزوء الخفيف] :

يَا أَبَى ضَمَكِ التَّرَى وَطَوَى الْمَوْتَ أَتَجَمَعُ
لِيَقَى مَتًى يَوْمَ صَرِّ تَ إِلَى حَفرة مَعَكِ
رَحِمَ اللَّهُ مَصْرَعَكَ بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَكَ

ما نوالُ النِّعَمِ وَقَتَ رَبِّيعِ كُنُوالُ الْأُمُورِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنُوالُ الْأُمُورِ بِذَرَّةٍ عَيْنِ نُوالُ النِّعَمِ قَطْرَةٌ مَاءِ

التفريق

البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر، من الخفيف

والنوال : العطاء، والبصرة : كيس فيه ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم،

أو سبعة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار، والمعين هنا: المال

والشاهد فيهما : التفریق، وهو: إقناع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو في غيره، فن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

من أمثلة
التفريق

حسبتُ جمالهُ بدرًا منيرًا وأين البدر من ذاك الجلال
وقول الآخر [من مغلح البسيط] :

قاسوك بالنصن في التَّنْصِي قياسَ جهلٍ بلا انتصاف
هناك غصن الخلاف يُدْعَى وأنت غصن بلا خلاف
وما أحسن قول الموصلي مع تسمية النوع [من البسيط] :

قلوا هو البحر والتفريق بينهما إذ ذاك غمٌّ وهذا فارق الغُمرِ
وقد تلاعب الشعراء بمعنى البيتين المستشهد بهما ، فقلوا أواء المعضق
[من المنسرح] :

مَنْ قاسَ جَدَّوَاكَ بالغامِ فَا أنصف في الحكم بين شكلين
أنت إذا جُدَّتْ ضاحكٌ أبدًا وهو إذا جلد بأكى العين
ولبعضهم فيه أيضا وأجاد جدًّا [من المجث] :

من قاسَ جَدَّوَاكَ يومًا بالسُّحْبِ أخطأ مملوك
السُّحْبُ تمطى وتبسكى وأنت تمطى وتضحك

ولأبي الفتح البُنْسي وأجاد [من الكامل] :

يا سيد الأمراء يا مَنْ جُودُهُ أوْفَى على الفَيْثِ المَطِيرِ إذا هَمَى
الفَيْثُ يعطى بأكيا متجهِّمًا وتراك تمطى ناخرًا متبسمًا

ومثله لأبي منصور البوشنجي [من الوافر] :

وذلكَ ضاحكٌ أبدًا بجُودِ وجودك ليس بمطرٍ غيرَ بأكى

وقول الأديب يعقوب النيسابوري ، في الأمير أبي الفضل الميسكاني ،

[من الطويل] :

رَأَيْتُ عَبْدًا فَهُ يَضْحَكُ مُعْطِيًا وَيَبْكِي أَخُوهُ الْفَيْثُ عِنْدَ مَطَايِرِهِ
وَكَمْ بَيْنَ ضَحْكِهِ يَجُودُ بِمَالِهِ وَأَخْرَ بِكَاءِهِ يَجُودُ بِمَائِهِ

ولشرف الدين السنجارى فى معناه [من الكامل] :

مَا قَتُّوا بِالْفَيْثِ الْمَطَايَا مِنْكَ إِذْ يَبْكِي وَتَضْحَكُ أَنْتَ إِذْ تُتَوَلَّى التَّدَا
وَإِذَا أَفَاضَ عَلَى الْبَرِيَةِ جُودُهُ مَاءُ تَفِيضٍ لَنَا يَمِينِكَ عَسَجَمًا

وما أبسع قول البديع الهمداني ، مع زيادة المعنى ، والمبالغة فى الغلو

[من البسيط] :

يَكَادُ يُجْحِكُكَ صُوبُ الْفَيْثِ مِنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَّقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَّبَا

وقول ابن بابك يمدح نظام الملك [من الطويل] :

يَقُولُونَ إِنَّ الْمَزْنَ بِجَحْكَكَ صُوبُهُ بِجَاهِلَةٍ هَاقَدَ شَهْتٍ وَغَابَا
وَكَمْ عَزْمَةٍ عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِؤْسُهَا فَهَلْ نَابَ فِيهَا عَنْ نَدَاكَ مَتَابَا
هَمَّتْ ذَهَابَا فِيهَا يَدَاكَ عَلَيْهِمْ وَضَنْتَ يَدَاهُ أَنْ تَرَشَّ ذَهَابَا

وقول ابن اللبابة فى المتمد على الله بن عباد [من الطويل] :

سَأَلْتُ أَخَاهُ الْبَحْرَ عَنْهُ فَقَالَ لِي شَقِيقِي إِلَّا أَنَّهُ الْبَارِدُ الْعَنْبُ
لَنَا دَيْمَتَا مَاءُ وَمَالُ ، فَدَيْمَتِي تَمَاسُكَ أَحْيَانًا وَدَيْمَتُهُ سَكْبُ
إِذَا نَشَأَتْ بَرِّيَّةٌ فَلَهُ النَّدَى وَإِنْ نَشَأَتْ بِحْرِيَّةٌ فَلِى السَّحْبُ

وينظر إل معاني ما مر ولم يكن بعيدا منها قول بعضهم [من الخفيف] :

يَا عَيُونَ السَّمَاءِ دَمْعُكَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَمَا لِدَمْعِي فَنَاءُ
أَنَا أَبْكِي طَوْعًا وَتَبْكِينَ كَرْهًا وَدَمْعِي دِيمًا وَدَمْعُكَ مَاءُ

ولم أنف على ترجمة الوطواط ^(١) الشاعر ، لكن رأيت ابن فضل الله ذكره
في المسالك في معرض تراجم فائدت ما رأيت ، قال في ترجمة الشمس بن دانيال
إنه كان بينه وبين الوطواط ما يكون بين الأدباء ، ويدب بين الأجباء ، فعرضت
للوطواط رمة تكدر بها صفيحه ، وتسكني له فيها صريحه ، فقبل له : لو طلبت
ابن دانيال ، فقال : ذاك لا يسمح بذرة ، يعنى من كحله . فبلغ ابن دانيال فقال
في ذلك [من الطويل] :

ولم أقطع الوطواط بخلاً بكحله ولا أنا من يمييه يوماً تردد
ولكنه ينبو عن الشمس طرفه فكيف به لى قدرة وهو أرمد
وقال في ترجمة شافع بن علي بن عباس الكاتب ، ومن قوله في الوطواط الشاعر
[من الخفيف] :

كم على درم يلوح حراماً يالئيم الطباع سرّاً تواجلى
دائماً في الظلام تمشي مع الناس ، وهذى عوائد الوطواط
وقوله فيه [من السريع] :

قالوا نرى الوطواط في شدة من تعب الكد ومن ويل
فقلت هذا دأبه دائماً يسعى من الليل إلى الليل

ثم إنى رأيت المرحوم الجلال السيوطي ذكره في طبقات النحاة ، فقال :
محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاطب رضى الله عنه ،

(١) اقرأ خبراً عن الرشيد الوطواط في معجم الأدباء لياقوت (١ - ١٠٣)
مصر (وقرأه ترجمة أيضاً (١٩ : ٢٩ - ٣٦) وعنهما نقل السيوطي
ما ذكره المؤلف عنه فيما بعد

المعروف بالرشيد الوطواط^(١) قال ياقوت : كان من نوادر الزمان ومحانيبه ، وأفراد
البحر وغرائبه ، أفضل أهل زمانه في النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام
العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار في الآفاق صيته ، وسار في الإقاليم ذكره ،
وكان ينشئ في حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من آخر ،
وميلهما معا ، وله من التصانيف « حدائق السحر ، في دقائق الشعر » أسفاره رسالة
بالعربي ورسالة بالفارسي ، وغير ذلك ، مولده ببلخ ، ومات بخوارزم سنة ثلاث
وسبعين وخمسة

فبين بهذا أن الذي ذكرناه أولا ليس هو
ومن رسائله ما كتبه إلى العلامة جارا الله الزمخشري ، ليستأذنه في حضور
مجلسه والاستفادات من سؤالاته [من الطويل] :

لقد حاز جارا الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره
تجدد رسم الفضل بعد اندراسه بأيام جارا الله فآله جاره^(٢)
أنا منذ لفظتني الأقدار من أوطائي ، ومعاهد أهل وجيرائي ، إلى هنه
الخطة التي هي اليوم بمكان جارا الله ، أدام الله جماله جنة للكرام ، وجنة من
نكبات الأيام ، كانت قصوى منيقي ، وقصارى بفيقي ، أن أكون أحد
الملازمين لسدته الشريفة التي هي بحجم السيادة^(٣) ومقبّل أفواه السادة ، فمن
ألقى بها عصاه ، حاز في الدارين مناه ، ونال في المحلين مبتغاه ، ولكن سوء
التقصير ، أو موانع التقدير ، حرمني^(٤) مدة تلك الخدمة ، وحرم تلك النعمة ،
والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئه أن أقل جدّي هم بالاشراق ، وذابل إيراق

(١) في معجم الأدباء « رشيد الدين المعروف بالوطواط »

(٢) في المعجم « بآثار جارا الله »

(٣) في المعجم « بحجم السيادة » وكلاهما صحيح له وجه .

(٤) هذه الكلمة لا توجد في المعجم .

تمرك للإبراق^(١) ، فقد أجد في نفس نوراً مجدداً يهديني إلى جنته ، ومن شوقٍ داعياً موقفاً يدعوني إلى عتبته ، ويقرع سمعى كل ساعة لسان الدولة^(٢) أن اخلع نملك ، وأطرح بالواد المقدس رحلك ، ولا تحفل بقصد قاصد^(٣) ، وحسد حاسد ، فان حضرة جبار الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده ، وأكرم من أن تستقل^(٤) وطأة طالب لموائده ، ومع هذا أرجو إشارة تصدر عن مجلسه المحروس ، إما بنحواه الشريف ، فان في ذلك شرفاً لى يدوم مدى الدهر والأيام ، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام ، وإما على لسان من يؤثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين في سلك خدمته ، والراغبين في رياض نعمته ، ورأيه في ذلك أعلى وأصوب .

وكتب إليه يهنئه بالعيد : الأعياد - عرف الله سيدنا جبار الله بركة قدومه وورودها ، وجل له الحظ الأكل والقسط الأجزل من ميامنها وسعودها - فرائد فلائد الأيام ، وغرر جبهات الأعوام ، لكنها راحلة لا تقوم ، وزائلة لا تدوم ، ولقاء جبار الله - أدام الله مجده لنا معشر خداه ، والمرضى بين دَرّ فضله وكرمه - عيد لا زال العيد له كتصحيفه^(٥) باقية محاسنه ، دائمة ميامنه ، يهدي كل ساعة إلى أبصارنا نوراً ، وإلى أرواحنا راحة وسرواً ، فكيف نهيه عيداً هذه حاله ، بعيد لا يؤمن زواله [من الطويل] :

(١) الذى فى المعجم « وذابل إقبال أقبل على الإبراق »

(٢) فى المعجم « لسان الهيبة »

(٣) فى المعجم « ولا تحفل بمحمد حافد »

(٤) فى الأصول « وأكرم من أن تستقل من وطأة » وما أثبتناه

موافق لما فى معجم ياقوت

(٥) يريد لازال العيد له عبداً .

أَتَى الْعَبْدُ جَارَ اللَّهِ وَهُوَ مُجَدِّدٌ بِخِدْمَتِهِ عَهْدَ الْمُهَيَّمِ تَجْدِيدًا
فَلَسْتُ بِعَبْدٍ لَا يَدُومُ مَهْنَشًا لَصَدْرِ مَحْيَاهُ يَدُومُ لَنَا عِيدًا

أهد التنصيص

١٢٧ - وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يَرَادُ بِهِ

إِلَّا الْأَذْلَافَ عَيْرُ الْحَى وَالْوَرْدُ
هَذَا عَلَى الْخُصْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشْجُّ فَلَا يَرْتَفِعُ لَهُ أَحَدُ
الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَقَاتِلُهُمَا الْمَتَلَسُّ مِنْ أَيْبَاتِ (١) ، وَهِيَ :
إِنَّ الْمَوَانَ حَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ وَالْحَرِيْنُكَرُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ (٢)
كُونُوا كَسَامَةً إِذْ ضَنْكَ مَنَازِلُهُ إِذْ قِيلَ جَيْشٌ وَجَيْشٌ حَافِظٌ عِنْدُ (٣)
شَدَّ الْمَطِيَّةِ بِالْأَنْسَاعِ فَأَنْحَرَفَتْ عَرْضُ التَّنُوفَةِ حَتَّى نَفَسَهَا النَّجْدُ (٤)
كُونُوا كَبْكِرَ كَمَا قَدْ كَانَ أَوْلَكُمْ وَلَا تَكُونُوا كَهْمِدِ الْقَيْسِ إِذْ قَعَدُوا
يُعْطُونَ مَا سَأَلُوا وَالْبَحْرُ مُحْتَدُّهُمْ كَمَا أَكْبَّ عَلَى ذِي بَطْنِهِ الْفَهْدُ (٥)

- (١) اقرأ هذه الآيات مع آيات أخرى في شعراء النصرانية (٣٤٣) .
(٢) في شعراء النصرانية « حمار القوم يعرفه » ومعنى يعرفه : يصبر له
ويقبله . والرسله : النافقة السهلة السير ، والأجد : الموثقة الخلق من التوق .
(٣) في المرجع المذكور « إِذْ ضَمَفَ مَنَازِلَهُ » وفيه « وَجَيْشٌ
حَافِظٌ رَصْدٌ » .

- (٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو ما يشد به رحل البعير ، وانحرفت :
أمرعت في سيرها . والتنوفة : الغلاة ، والنجد : المرق والكرب .
(٥) في المرجع المذكور « وَالْخَطُ مَنْزِلُهُمْ » مكان « وَالْبَحْرُ مُحْتَدُّهُمْ »
وَالْخَطُ : مرقاً تنسب إليه الرماح فيقال لها : الخطية ، وهو من منازل
عبد القيس .

وبدء البيتان ، وبعدهما قوله :

وفي البلاد إذا ما خِثْثَ غائرة مشهورة عن ولادة السوء تنقذ^(١)

والضيم : الظلم ، والمير ، بفتح المهملة : الحمار ، وغلب على الوحش ،
والمناسب هنا : الأهل ، والخِثْثُ : النقيصة ، والاذلال : تحميل الانسان
ما يكره ، وحبس الدابة بلا علف ، والزمة — بضم الراء ، وتكسر — قطعة
من جبل ، والشج : الكسر والدق ، والاستثناء في « إلا الاذلان » استثناء مفرغ
وقد أسند إليه فعل الاقامة في الظاهر ، وإن كان مسندا في الحقيقة إلى
العام المحذوف .

والشاهد فيهما : التقسيم ، وهو : ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكلٍ إليه على
التعيين ، فانه ذكر المير والوتد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف ،
وإلى الثاني الشج ، على التعيين

وعما ورد في التقسيم قول زهير بن أبي سلمى السابق في شواهد الایجاز
والاطناب [من الطويل] :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله^١ ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِي
وقد نقل أبو نؤاس هذا التقسيم من الجدل إلى المزحل فقال [من المنسرح] :
أمرُ غدٍ أنتَ منه في لبسٍ وأمس قد فلتَ قاله عن أمسٍ
وإنما الشأنُ شأنُ يومك ذَا فباكرِ الشمسِ بابتةِ الشمسِ
وقد نقله بمضهم أيضا ، فقال [من الطويل] :

تمتع من الدنيا بساعتك التي ظفرت بها مالم تمقك الموائق^٢

(١) في المرجع المذكور :

وفي البلاد إذا ما خفت نائرة مشهورة عن ولادة السوء مبتعد

فلا يومك الماضى عليك بعاثٍ ولا يومك الآتى به أنت واثقٌ

ومن التقسيم قول بشار بن برد [من الطويل] :

وراحوا فریق فی الأسار، ومثله قَتِيلٌ، ومثلٌ لأذ بالبحر هارِبُهُ

ومثله قول الصفي الحلبي [من البسيط] :

أفنى جيوش المداغز وأفلست ترى سوى قتيلٍ ومأسورٍ ومنهزمٍ

وهو مأخوذ من قول عمر بن الأيهم [من الخفيف] :

اشربيا ما شربنا فهدَّيلٌ من قتيلٍ أو هاربٍ أو أسيرٍ

ومنه ، وزعم قومٌ أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم ، قول نصيب

[من الطويل] :

قال فریقُ القوم : لا ، وفریقهم نعم ، وفریقُ أئمنُ الله ما ندرى

وزعم أبو العيناء أن خير تقسيم قول عمر بن أبي ربيعة [من الطويل] :

نسيمٌ إلى نعم فلا الشملُ جامعٌ ولا الجبلُ موصولٌ ، ولا القلبُ مقصِرٌ

ولا قربٌ نعم إن دنت لك نافعٌ ولا نأبها يُسلمي ولا أنت تصبرٌ

واختار آخرون قول الحاركي ، وقالوا : إنه أفضل [من الطويل] :

فلا كدى يفتى ولا لك رقةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمعٌ

و بديع قول الأمير السيلاني [من الطويل] :

وصلتَ فلما أن ملكْتَ حشاشتي هجرت فجد وأرحم فقد مسنى الضرُّ

فليت الذى قد كان لي منك لم يكن ولبتك لا وصلٌ لديك ولا هجرٌ

فلا عبرتي ترقوا ولا فيك رقةٌ ولا منك إلسام ولا عنك لي صبرٌ

وقد ألم بنحو هذا التقسيم الشهابُ محمود حيث قال [من المقارب] :

وإني لفي نظرى نحوها وقد ودَّ عنتي قبيلَ الفراقِ

ولا صبرَ لي فأطبقَ الهوى ولا طمعَ إن نأت في اللحاقِ

ولا أملُ يرتجى في الرجوع ولا حكم في ردّ تلك النياقِ

كُصْنِي يودّعُ رُوحًا غدت يراها على رُغمه في السّياقِ

ومن مליح التفسير قول داود بن مسلم [من السريع] :

في باعه طولٌ ، وفي وجهه نورٌ ، وفي العِرْنَيْنِ منه شمْ

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجبا بقول العباس

ابن الأحنف [من الطويل] :

وصالكم صرْمٌ ، وحكم قِلاءٌ وعطفكم صدٌّ ، وسلمكم حربٌ

ويقول : أحسن والله فيما قسم حيث جعل حيال كل شيء ضده ، والله إن

هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس .

ومن جيد التقسيم قول أبي تمام [من الطويل] :

فما هو إلّا الوحى أوحى أوحده مرهف تملّ ظبّاهُ الحدّ عن كل مائل

فمذا دواه الداء من كل عالم وهذا دواه الداء من كل جاهل

وذكر الجاحظ أن قتيبة بن مسلم لما قدم خراسان خطب الناس ، فقال :

من كان في يده من مال عبد الله بن حازم شيء فلينبذه ، وإن كان في فمه فليلفظه ،

وإن كان في صدره فلينفثه ، قال : فعجب الناس من حسن ما فصلّ وقسم .

ووقف أعرابي على حلقة الحسن ، فقال : رحم الله من تصدق من سعة ، أو

واسى من كفاف ، أو أثمر من قوت .

ولقد أجاد ابن حيّوس في التقسيم بقوله [من الطويل] :

ثمانية لم تفرّق منذ جمعها فلا افتقرت ماذب عن ناظرٍ شفر

ضميرك والتقوى ، وكفك والندى ، وإنظك والمعنى ، وسينك والنصر

وما أحسن قول أبي ربيعة المخزومي ^(١) [من الطويل] :

وهبها كشيء لم يكن أو كنزاح عني الدار أو من غيّبته المقابر

وعجيبٌ هنا قول أبي تمام في مجوسٍ أحرق في النار [من الكامل] :

صَلَّى لَهَا حَيًّا ، وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا ، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفَجَارِ

وما أعذب قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل] :

يَقُولُونَ لِي صَغْبًا فَأَنْتَ بَوْصَهَا خَيْرٌ ، أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ

صَفَاهُ وَلَا مَاهُ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَى وَنُورٌ وَلَا نَارُ ، وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

وقول محمد بن دراج القسطلي وأجاد [من الطويل] :

عَطَاةٌ بِلَا مَنَ ، وَحُكْمٌ بِلَا هَوَى وَمَلِكٌ بِلَا كِبَرٍ ، وَعِزٌّ بِلَا عَجَبٍ

وقول الآخر أيضًا [من الطويل] :

بَنَى جَفَرٌ أَنْتُمْ سَمَا ، رِيَاسَةً ' مَنَاقِبِكُمْ فِي أَثْقَاهَا أَنْجَمٌ زَهَرٌ

طَرِيقَتَكُمْ مِثْلِي ، وَهَدْيَكُمْ رَضَى وَمَذْهَبَكُمْ قَصْدٌ ، وَنَائِلَكُمْ غَرٌ

عَطَاةٌ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى ، وَحِلْمٌ وَلَا عِجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرٌ

وبديعٌ قول بعضهم أيضًا [من البسيط] :

قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ ، سَهْمٌ وَلَا قَوْدٌ عَيْنٌ وَلَا نَظَرٌ ، نَحْلٌ وَلَا عَسَلٌ

وقول بعضهم أيضًا [من الطويل] :

تَسْرِبُ ' وَشِيَا مَن خَزُونُورٌ تَطَارَزَتْ ' مَطَارِفَهَا طَرَزًا مَنِ الْبَرْقِ كَالْبَرْقِ

فَوْشَى ' بِلَا رَقْمٍ ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ ، وَدَمْعٌ بِلَا عَيْنٍ ، وَضَحْكٌ بِلَا ثَغْرِ

وقول الرسنى [من الطويل] :

فَتَى حَازَرَقَ ' الْمَجْدِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَيْهِ وَخَلَّى كَاهِلَ الشُّكْرِ ذَا ثَقَلِي

يَعْنُو ' بِلَا كَدٍّ ، وَصَفْوٌ بِلَا قَدْتِي وَقَدَرٌ بِلَا وَعْدٍ ، وَوَعْدٌ بِلَا مَقْلِي

وما أشرف قول ابن شرف [من الطويل] :

لِخَلْقِ الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بَيَّاهُ ' فَهَذَا لَهُ ' فَنٌ وَهَذَا لَهُ ' فَنٌ

فَلِخَلَالِ الْعُلِيَاءِ ، وَلِلْمَعْدِمِ الْغَنَى وَلِلْمَذْنَبِ الْعَنَى ، وَلِلخَائِفِ الْأَمْنُ

وقول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نرجو سؤلوا في رسوم بينها الأغصانُ سكرى والحامُ مُتيم
هذي تمل إذا تَنَسَّمتِ الصبا والورقُ تذكرُ شجرة هافتهم

ولابن جابر الأندلسي [من المتقارب] :

لقد عطفتني على حبها بوجعٍ تبدى على عطفه
فهذا هو البدر في أفقه وهذا هو العنق في حنقه

ولأبي الحسين الجزار [من الوافر] :

وزبر ما تقلد قط وزراً ولا دانه في مثوى أنام
وجل فماله صادات بر صلات أو صلاة أوصيام

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب] :

لنا ملك واجد ما أشتى ولكنه لم يجد مثله
ملاذى به ومثولى لديه ومبلى إليه ومدحى له

ومثله قول بعضهم مجوناً [من الخفيف] :

وبديع الجمال مُتَدَلِّ القَا مة كالنصن حن قلبي إليه
أشهى أن يكون عندي وفي يئسى وبمضى فيه وكلى عليه

ومن المضحك فيه قول السراج الوراق [من مجزوء الوافر] :

رأت حالى وقد حالت وقد غال الصبا فوت
فقلت إذ تشاجرنا ولم يُجفَضْ لنا صوت
أشيخ مفلس بهوى ويشق فأنك الفوت
فلا خير ولا مير ولا ير فذا موت

ولطيف قول بعضهم [من الطويل] :

وفي أربع مَنَى حَلَّتْ مِنْكَ أَرْبَعٌ فَمَا مِنْهُ أَدْرَى أَيُّهَا هَاجَ لِي كَرْبِي
أَوْ جَهْلِكَ فِي عَيْنِي أَمْ الرِّيقُ فِي فَمِي أَمْ التَّنَطُّقُ فِي مَعْنَى أَمْ الْحُبُّ فِي قَلْبِي
وقد سمع يسقوب بن إسحاق السكندی هذا فقال : هو تقسيم فلسفي
وقد أخذَه الحُمَانِيُّ المَلَوِيُّ لَجَعَلَهُ خَمْسَةً فقال [من الطويل] :

وَفِي خَمْسَةٍ مَنَى حَلَّتْ مِنْكَ خَمْسَةٌ فَرَيْقَكَ مِنْهَا فِي طَيْبِ الرَّشَفِ
وَوَجْهَكَ فِي عَيْنِي وَلِسْكَ فِي يَدِي وَنُطْقَكَ فِي مَعْنَى وَعَرَفَكَ فِي أَنْفِي

والمتلئس ^(١) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي ^(٢) ، وهو أحد الثلاثة
المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر على أنه أشعرهم ، وهم المتلئس ، والمسيب بن علس
وحصين بن الحُجَّام ، ولقب بالمتلئس لقوله [من الطويل] :

وَذَاكَ أَوَانُ الْبَرِضِ طَنْ ذَبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمَتْلَسُ ^(٣)

وكان هو وطرفة بن العبد يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان
سوء الخلق شديده ، وكان قد حرق من تميم مائة رجل فجهَّزوه وكان مما هجاه به
المتلئس قوله [من الكامل] :

إِنْ الْخِيَانَةَ وَالْمَقَالَةَ وَالْخُلَا وَالْقَدْرَ نَرُكُهُ بِيْلَدَةٍ مُقْسِدٍ ^(٤)

(١) نجد للمتلئس ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٥-٨٨) وفي
الأغاني (٢١ : ١٢٠-١٣٧) وفي شعراء النصرانية (٣٣٠)

(٢) في الأصول « الضبعي » وهو تحريف ما أثبتناه ، وهو أحد
بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار

(٣) العرض : الوادي . وروى « جن ذبابه » وروى « حن ذبابه » وغنى
بالأزرق المتلئس القباب الأخضر ، وأصله من قولهم : تلس فلان الحاجة ، إذا
طلبها سراً ، وكانه يبحث عنها بيده فيمنسها

(٤) في الأصول « إن الخيانة والمقالة » وهو تحريف ما أثبتناه ، والمقالة -
بالعين المعجمة - الغيلة ، وهي القتل خفية

«لَكَ يَلَاغِبُ أُمُّهُ وَقَطِينَهَا رِخْوُ الْفَاغِلِ بَطْنُهُ كَلَرْزُودٍ
فَإِذَا حَلَّتْ فَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَاكَ وَارْهَدْ (١)»

وهجاء طرفة بما تقدم في ترجمته في شاهد التكيل ، فاستحيا أن يقتلها
بحضرتها وبينه وبينهما إبدال النادمة ، فكتب لها صحتين وختمها لتلا
يدلما ما فيها ، وهو أول من ختم الكتاب ، وقال لها : ادخبا إلى علي والبحرين
فقد أمرته أن يصلحكما بالجواز ، فذهبا فريا في طريقهما بشيخ يُعَدِّثُ وَيَأْكُلُ
من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه فيقصمه ، قال المنلس : ما رأيت شيئا
كاليوم أحق من هذا ، قال الشيخ : ما رأيت من حقى ، أخرج الماء ، وأدخل
الدواء ، وأقبل الأعداء ، وروى : أطرح خبيثاء وأدخل طيبا ، وأقتل عدوا ،
أحبق والله مني من يحمل حنقه بيده ، فاستراب المنلس بقوله ، فطلع عليهما
غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب ، قال له المنلس : أقرأ يا غلام ؟ قال :
نعم ، ففك حينئذ الصحيفة فإذا فيها : إذا أتاك المنلس فاقطع يديه ورجليه وادفنه
حيا « فقال لطرفة : ادفع إليه صحتك فإن فيها مثل هنا ، قال طرفة : كلام
يكن لي جتري ، علي ، وكان غرا صغير السن ، فحنف المنلس بصحيفته في نهر
الحيرة وقال [من الطويل] :

قَدَفْتُ بِهَا بِالْنِي مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنَى كُلِّ قِطْرٍ مُضَلِّلٍ (٢)

(١) وقع في شعراء النصرانية (فدون بيتي غاوة) بالواو ، وفسرها بأنها
قرة قرب حلب .

(٢) التني : منعطف النهر ، وكافر : اسم لنهر الحيرة ، وأقنى - بضم همزة
المضارعة - بمعنى أحفظ ، والقط - بكسر القاف - الكتاب ، وكأنه يقول :
لا أحفظ الكتاب الذي يضلني إلا بقذفه في النهر ، وروى « أنفو » بفتح
همزة المضارعة ، وروى « كذلك ألقى »

رضيتُ بها لما رأيتُ مدادها يحولُ به التيارُ في كلِّ جدولٍ
وأخذ نحو الشام وقال: (١) [من السكامل]:
ألقى الصحيفة كي يخففَ رحلُهُ والزَّادَ حتى نعلُهُ ألقاها
يريد أنه تخفف للفرار وألقى ما يثقل وما لا بد للسفر منه.

وأما طرفة فانه وصل إلى البحرين وقتل كما مر في ترجمته، وهلك المتلئس
في الجاهلية، وقال ابن فضل الله في حقه: هو رجل نبيه الذكر، معروف بصحة
العكر، وهو الذي يضرب المثل بصحيفته، ومن شعره [من الطويل]:
ألم ترَ أن المرءَ رَهْنُ منيةٍ صرَّيعاً في الطيرِ أو سوفَ يرْمسُ
فلا تقبلنَّ ضياءَ حذارٍ منيةٍ وموتنَّ بها خراً وجلدك أملسُ^(٢)
فمن حذر الأوتار ما حزَّ أنفه قصيرٌ وخاض الموت بالسيف يبهسُ
وما الناس إلا ما رأوا وتحدثوا وما العجز إلا أن يضاموا فيجلسوا
فان ثقيلوا بالود ثقيلٌ بمنله وإلا فانا نحن أبى وأشمسُ
ومن شعره أيضاً [من الطويل]:
تعبرنى أمى رجال ولا أرى أخا كرمٍ إلا بأن يتكرم^(٣)

(١) المعروف عند النحاة أن هذا البيت من كلام أبي مروان النحوى
يقوله في قصة المتلئس.

(٢) بروي « مخافة ميتة » في مكان « حذار منية » ووقع في الأصول
« وموتن بها واحيا » وهو تحريف رواية أخرى وصوا بها « واحين » أمر من
الحياة مؤكداً بالنون الخفيفة فيأوه مفتوحة.

(٣) في الأصول « تعبرنى أمى رجالا » وهو تحريف مفسد للمعنى، فان
مقصوده أن يقول: يعبرنى بأمرى رجال.

أَحَارِثُ إِنَّا لَوُتَّاسُطٌ دَمَاؤُنَا تَزِيلُنَ حَتَّى لَا يَمْسُ دَمٌ دَمَا^(١)
 لَذَى الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تَفَرَّعُ الْمَصَا وَمَا عَلَّمُ الْإِنْسَانُ إِلَّا لَيْعَلًا
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بَكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَحَدَمَا
 يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتْفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْآخِرَى عَلَيْهَا مَقْدَمَا
 فَاطَّرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَمَا^(٢)
 إِذَا مَا أَدِيمُ الْقَوْمِ أَنْهَجَهُ الْبِلْمَى تَفَرَّؤُا وَإِنْ كَتَبْتَهُ وَتَخَرَّمَا
 وَمَا يَتِمُّثَلُّ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ [مِنْ الْوَافِرِ] :

وَأَعْلَمُ عِلْمٍ غَيْرِ ظَنٍّ لَتَقْوَى اللَّهُ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ
 وَحِفْظُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ ضَيَاعِ وَضَرْبُ الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
 وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(٣)
 وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مَطْلَعُهَا :

صَبَّامٌ بَعْدَ سُلُوكِهِ فَوَادَى وَأُمْتَحَجٌ لِلْقَرِينَةِ بِالْقِيَادِ
 وَقَدْ ضَمَّنَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْمَجَاءِ فَقَالَ [مِنْ الْوَافِرِ] :
 يُحَصِّنُ زَادَهُ عَنْ كُلِّ ضِرْسٍ وَيُعْمَلُ ضِرْسُهُ فِي كُلِّ زَادِ
 وَلَا يَرَوَى مِنَ الْأَشْعَارِ شَيْثَا سِوَى بَيْتٍ لَا بَرْهَةَ إِلَّا يَادَى
 قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

- (١) فِي الْأَصُولِ «لَوْ تَسَاطَطَ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَتْبَعْنَاهُ ، وَتَسَاطَ - بِالسَّيْنِ
 مَهْمَلَةً - أَيْ تَخَلَّطَ ، وَيَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَمْهَاتِ «تَشَاطَ» بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةً - وَمَعْنَاهُ
 تَهَدَّرَ ، وَتَزِيلُنَ : أَيْ تَمِيزُنَ وَانْفَصَلَ دَمِي عَنْ دَمِكَ لِأَنَّ دَمَ الْمُلُوكِ لَا يَخْتَلِطُ بِدَمِ
 السُّوقَةِ ، وَيُرْوَى «تَزَالِنَ» وَهِيَ بِمَعْنَى تَزِيلُنَ
 (٢) يُرْوَى النِّجَاحَةُ هَذَا الْبَيْتُ «وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَمَا» .
 (٣) يُرْوَى صَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ «قَلِيلُ الْمَالِ تَصْلَحُهُ فَيَبْقَى» كَمَا سَيَقُولُ
 الْمُؤَلِّفُ بَعْدَ .

وشطر هذا البيت رواية في شطر البيت السابق ، وأخذه ابن وكيع فقال
[من مجزؤه الكامل] .

مَالٌ يُخْلَعُهُ الْفَقِي لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا
خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَضَدِهِ إِخْوَانُهُ مُسْتَرْفِدَا

ويقول : إن حاتم الطائي لما سمع قول المنس هذا قال : ماله قطع الله لسانه
يحمل الناس على البخل والتباخل ، ألا كان يقول [من الأوليل] :

وَمَا الْبَذْلُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ
فَلَا تَلْتَمِسْ قَفَرًا يَعْيشُ فَانُهُ لِكُلِّ غَدَرٍ رِزْقٌ يُعَوِّدُ جَدِيدُ
أَلَمْ تَدْرُ أَنَّ الْمَالَ غَايِرٌ وَرَاحٌ وَأَنَّ الْأَذَى يُعْطِيكَ لَيْسَ يَبِيدُ
انتهى .

وقد قال البلغاء في معنى الأول : إن في إصلاح مالك جمال وجهك ، وبقاء
عزك ، ونقاء غرضك ، وسلامة دينك ، وطيب عيشك ، وبناء مجدك ، فأصلحه
إن أردت هذا كله ، وفي المثل « احفظ مافي الوعاء ، بشد الوكاه » يضرب في الحث
على أخذ الأمر بالحزم ، وقيل : من أصلح ماله فقد صان الأكرمين الدين والعرض
وقيل : التديير يشر التيسير ، والتبذير يبرد الكثير ، ولا جود مع تبذير ، ولا بخل
مع اقتصاد ، والاعتدال في الجود ، أحسن من الاعتداء على الموجود ، والرزق
مقسوم محدود ، فرزوق ومحدود^(١) والله أعلم بالوجود

قدم - نحمد الله تعالى وعونه - الجزء الثاني من « معاهد التنصيص » و يليه
- إن شاء الله تعالى - الجزء الثالث ، مفتحا بشواهد الجمع مع التفريق ، نسأله
- سبحانه - الاعانة على إكماله ، والتوفيق إلى إتمامه .

(١) محدود الأول من الحمد بمعنى تحديد الشيء بنهاية يقف عندها
لا يتجاوزها ، ومحدود الثاني بمعنى الذي لاحظ له ولا يبحث .

ثانيا - في الجزء الثاني

موضوعات شواهد الفن الثاني	٥٣	شاهد إمكان وجود المشبه
(علم البيان)	٥٦	شاهد ندرة حصول المشبه به في
٤ شاهد التشبيه الخيالي	٥٧	الذهن عند حضور المشبه
٧ شاهد التشبيه الوهمي	٥٩	شاهد التشبيه المقلوب
١٠ شاهد التشبيه التخيلي		شاهد ترك التشبيه والعدول إلى
١٧ شاهد المركب الحسى في التشبيه الذي		الحكم بالتشابه احترازا من ترجيح
طرفاء مفردان		أحد المتساويين
٢٨ شاهد المركب الحسى في التشبيه الذي	٧٨	شاهد تشبيه المركب بالمفرد
طرفاء مركبان	٨٠	شاهد التشبيه الملقوف
٣٢ شاهد المركب الحسى في الهيات التي	٨١	شاهد التشبيه المفروق
تقع عليها الحركات	٨٨	شاهد تشبيه التسوية
٣٤ شاهد مجرد الحركة عن غيرها من	٩٠	شاهد التشبيه المجمل
الأوصاف	٩١	شاهد التشبيه المفضل
٢٨ شاهد التركيب في هيئة السكون	٩٢	شاهد تفصيل التشبيه بأخذ بعض
٥١ شاهد المركب العقلي المترع من متعدد		الأوصاف وترك بعضها الآخر

فهرست الموضوعات البلاغية

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٩٣	شاهد التصرف في التشبيه المبثذل بما يجعله غريباً	١٦١	شاهد جواز البناء على الفرع ، وهو المشبه به
٩٤	شاهد التشبيه المشروط	١٦٣	شاهد الاستعارة بالكناية
٩٥	شاهد التشبيه المؤكد	١٧١	من شواهد الاستعارة بالكناية أيضاً
١١٢	موضوعات شواهد الاستعارة	١٧٢	شاهد الكناية التي يراد بها موصوف
١١٣	شاهد ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به	١٧٣	شاهد الكناية التي يراد بها نسبة موضوعات شواهد الفن الثالث وهو
١٢٩	شاهد انبناء شيء على ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به	علم البديع	
١٣١	شاهد القرينة اللفظية للاستعارة	١٧٨	شاهد طباق التدييع
١٣١	شاهد مجيء القرينة لمعاني ملتزمة	١٨٤	شاهد إيهام التضاد
١٣٢	شاهد الاستعارة الغريبة	٢٢٧	شاهد مراعاة النظر
١٣٤	شاهد التصرف في الاستعارة العامة	٢٣٦	شاهد الإرساد (أو التسميم)
١٤٧	شاهد على أن مدار قرينة الاستعارة	٢٥٢	شاهد المشاكلة
١٤٩	شاهد الاستعارة المجردة	٢٥٥	شاهد المزاجية
١٥١	شاهد اجتماع التجريد والترشيح	٢٥٧	شاهد الرجوع
١٥٢	شاهد على أن معنى الترشيح على تناسي التشبيه	٢٦٠	شاهد الاستخدام
		٢٦٩	من شواهد الاستخدام أيضاً
		٢٧٣	شاهد اللف والنثر على غير ترتيب
		الف	
		٢٨٣	شاهد الجمع
		٣٠٠	شاهد التفريق
		٣٠٦	شاهد التقسيم